المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٨ "



موقف ابن تيمية من النصرانية

تأليف الدكتورة

مريم عبد الرحمن عبد الله زامل

الجزء الأول

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الزامل ، مريم عبد الرحمن بن عبد الله

موقف ابن تيمية من النصرانية ـ مكة المكرمة

٤٦٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم (أبحاث ودراسات إسلامية) (الجزء الأول)

ردمك ٥ ـ ٧٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

ردمد ٣٧١٦ ـ ١٣١٩

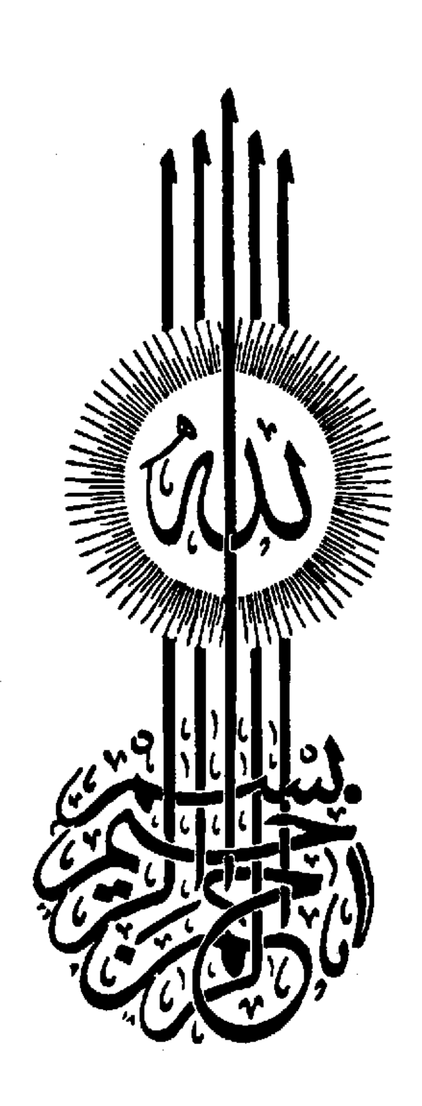
١ ـ الإسلام والمسيحية ٢ ـ المسيحية أ ـ العنوان ب ـ السلسة

ديوي ٢١٤,٢٧ ١٦/١١٤٠

رقم الإيداع : ١٦/١١٤٠

ردمك ٥ ـ ٧٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

ردمد ٣٧١٦ ـ ١٣١٩


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العمل هو رسالة دكتوراة في « موقف ابن تيمية من النصرانية » من جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الشريعة .

قسم : العقيدة

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

شكر و تقدير

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات حمدا كثيرا طيبا مباركا ثمّ الصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد بن عبدالله، معلّم البشرية وهاديها الى سبيل الرشاد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد .. أتقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في مساعدتي لانجاز رسالتي هذه، وأخصّ بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الدكتور الشيخ/ عثمان عبدالمنعم يوسف، الذي كان لي نعم الموّجه والمرشد، فقد منحني من وقته وعلمه الكثير الذي ساعدني في اجتياز جميع الصعوبات التي واجهتني أثناء دراستي، فجزاه الله عنّي وعن طلبة العلم خير الجزاء، وأسأل المولى الكريم أن يمدّ في عمره، ويلبسه رداء الصحة والعافية..

كما لا يفوتني أن أشكر جميع أساتذتي الفضلاء في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أمّ القرى، وجميع العاملين المخلصين فيها، وكذلك أمينات المكتبة بقسم الطالبات.

وأشكر أيضا كل زميلة وصديقة شاركتني حسيا ومعنويا في هذه الرسالة.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي متقنا ينال رضاه ثمّ رضى أساتذتي الأفاضل. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد ..

فقد دخل تحت حكم الإسلام كثير من المناطق التي كانت تدين بالنصرانية، ومنها مصر والشام. ولقد كان لأهل هذه البلاد الحرية في أن يدخلوا في الإسلام، أو يبقوا على دينهم. فدخل فيه من دخل، وبقي على نصرانيته من بقي منهم، ينعمون بسماحة الإسلام، وعدالة حُكّامه، وبما كان لهم من الحرية التامة في أداء طقوسهم الدينية، وبما ضمنت لهم المعاهدات الإسلامية من المحافظة على كنائسهم، وأديرتهم، وجميع حقوقهم. ولقد عاشوا مستمتعين بهذه السماحة في المعاملة، وبهذا الوفاء في العهود. ولقد كان من الممكن أن يستمر هذا الوضع دون مواجهة فكرية بينهم وبين علماء الإسلام، فيما يتعلق بأمر العقيدة والدين، لولا أنّ بعض علمائهم قد استغلوا جوّ الحرية، والسماحة الإسلامية الذي يعيشون فيه؛ للتنفيس عن أحقادهم الدينية، ضد الدين الجديد. فبدأوا يكتبون الرسائل، والكتب، وليس لشرح العقيدة النصرانية، ومحاولة الترويج لها بين المسلمين، وعمومها، ووجوب الإيمان بها، وانكار البشارات الكتابية بها، وكذلك الطعن في صحة القرآن، وتواتره، وحفظه، وفي كمال الشريعة الإسلامية، إلى غير ذلك من المطاعن في الإسلام، وكتابه، ونبيّه فحسب، ولكن لإثارة المشاكل العقدية في الوسط الإسلامي، بالترويج للشبهات، وكذلك لمحاولة الاستدلال على العقائد النصرانية، واعتبار كتبها بأدلة

قرآنية، وكذلك الطعن على صدق النبوة المحمدية.

وكانت هذه الكتب والرسائل تَفِدُ من المناطق النصرانية، الواقعة على أطراف الدولة الإسلامية، كطليطلة، وقبرص. فقد ألف أبوعبيدة الخزرجي كتابه مقامع الصلبان؛ ردّاً على رسالة وردت اليه من قسّ مسيحي في طليطلة، يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية، مبيّنا له – من وجهة نظره – فضائلها، ومساوئ الإسلام كما يزعم.

وقد ذكر الإمام القرافي في كتابه (الأجوبة الفاخرة، في الرّد على الأسئلة الفاجرة) ، بأنّ الداعي إلى تأليف كتابه هذا هو أنّ بعض النصارى قد أنشأ رسالة مشتملة على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية، ثمّ ذكر فيها ما يربو على مائة سؤال لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) تتضمّن الطعن على عقيدة الإسلام، وكتابه، ونبيّه، وأجاب عنها في كتابه هذا، ثمّ عارض أسئلتهم، بمائة سؤال، أوردها على الفريقين، تتضمّن أوجه البطلان في ديانتهم (اليهود والنصارى) يتعذّر عليهم الجواب عنها.

أمّا شيخ الإسلام ابن تيمية* فقد ذكر لنا في مقدمة كتابه (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) أنّه جعله جوابا لرسالة وردت اليه من قبرص،

---

* ابن تيمية هو : تقيّ الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم ابن الخضر بن محمد بن تيمية الحرّاني الحنبلي الدمشقي.

ولد يوم الاثنين، في العاشر من شهر ربيع الأول، سنة احدى وستين وستمائة من بعد الهجرة النبوية. وكان مولده بمدينة حرّان (مهد الفلسفة والفلاسفة)، ثمّ ترك مسقط رأسه وهو في السابعة من عمره، فرارا من التتار، وهاجر مع أسرته إلى دمشق.

تربى في حجور العلماء، فقد كات أسرته أسرة متوارثة للعلم، والنزوع اليه، امتازت بقوة البيان =

فيها الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتجّ به علماء دينهم، وفضلاء ملّتهم، قديما وحديثا، من الحجج السمعية، والعقلية وفيها الطعن على صحة النبوّة المحمدية، وصحة القرآن الكريم، ومحاولة الاستشهاد منها زورا على صحة العقائد النصرانية، وكتبها ... الخ وهي منسوبة إلى بولس الراهب، أسقف صيدا الانطاكي، كتبها الى بعض أصدقائه.

= والذاكرة، وحبست نفسها على العلم، حيث كان والده عالما مقدّما في الحديث، وكانت له حلقات للتدريس بمسجد دمشق، وتولّى مشيخة الحديث بدار السكرية، التي كان مقيما بها. فنشأ ابن تيمية محبا للعلم، والعلماء، لايلوي على شيء، غير الاشتغال بالعلم.

وقد سمع العلم في دمشق من والده، كما سمعه من ابن الدائم المقدسي، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والمجد بن عساكر، ويحي بن الصيرفي الفقيه، وأحمد بن أبي الخير الحداد، والقاسم الأربلي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والمسلم بن علان، وابراهيم بن الدرجي، وخلق كثير.

جلس إلى التدريس، بدار الحديث السكرية بدمشق، بعد وفاة والده بسنة، عام (٦٨٣هـ)، وهو في الثانية والعشرين من عمره. دعا الى المذهب السلفي، ونهى عن البدع، وناصر السنة، وسار على مذهب الإمام أحمد.

جاهد بقلمه، وسيفه، وكان له دور كبير، وبارز في انتصار المسلمين على التتار، حيث قدم من دمشق إلى مصر، واستنهض السلطان الناصر وأمراءه، على إعداد العدة، وجمع الجند، ومحاربة التتار، ومازال به حتى خرج السلطان بجنده الى الشام، وهزم التتار، وأجلاهم عن دمشق.

وقد أحاط ابن تيمية بكل تراث الفكر في عصره، وألمّ بجميع ألوان الثقافات، بل لقد اطلع على كتب النصارى، وأهل الديانات الأخرى، كما يبدو من كتابه/ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.

تتلمذ على يديه كثيرون، من أشهرهم تلميذه ابن القيّم، المتوفي عام (٧٥١هـ)، والحافظ الذهبي، المتوفي سنة (٧٤٨هـ)، الذي وصف شيخه ابن تيميه بقوله : « ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى، وحفظه للحديث، ورجاله، وصحته، وسقمه فما يلحق فيه. وأمّا نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين، فضلا عن مذاهب الأربعة، فليس له فيه نظير، وأمّا معرفته بالملل والنحل، والأصول، والكلام، فلا أعلم له فيه نظيرا. وأمّامعرفته بالسير والتاريخ فعجب عجيب. وأمّا شجاعته، وجهاده واقدامه، فأمر يتجاوز الوصف».

=

وقد كتب الامام القرطبي هو الآخر كتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) ردّاً على الكتاب الذي ألفه أحد النصارى بطليطلة، وسماه (تثليث الوحدانية)، وقد كتب هذا الكتاب بعد أن تغلّب النصارى على طليطلة، ووصلت نسخته الى الإمام القرطبي، وهو في قرطبة، فقام بالردّ فى كتابه، على ما تضمنه هذا الكتاب المذكور من الشبهات، والمطاعن، وأظهر مافي النصرانية، وكتبها من النقائض، والاباطيل.

= مؤلفاته – رحمه الله – تفوق الحصر، حيث ألّف في أغلب الطوم والفنون، التآليف العديدة، منها :

(١) رسالة الفرقان بين الحق والباطل.

(٢) معارج الوصول . وهو تفنيد لقول الفلاسفة، والقرامطة، الذين يذهبون الى أنّ الأنبياء قد يكذبون في بعضالأحيان.

(٣) العقيدة الواسطية.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. وهو في الردّ على رسالة (بولس) أسقف صيدا الأنطاكي. وفيه هاجم المسيحية، المحرفة، ورفع من شأن الإسلام.

(٦) العقيدة التدمرية.

(٧) اقتضاء الصراط المستقيم، ومجانبة أصحاب الجحيم.

(٨) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية.

(٩) مجموع الفتاوي. في سبعة وثلاثين مجلدا، وتحتوي على معظم الطوم الإسلامية.

(١٠) جواب عن « لو » مطبوع على هامش كتاب السيوطي / الأشباه والنظائر.

(١١) درء تعارض العقل والنقل ... وغيرها كثير.

ومما تجب ملاحظته : أنّ المنزلة الرفيعة التي نالها ابن تيمية عند العامة والخاصة، كانت مثيرة لحسد الحاسدين، وحقد الحاقدين، فتآمر الأعداء والخصوم على شيخ الإسلام، ولفّقوا له التهم الكاذبة، لدى الأمراء، وذوي السلطان آنذاك، فلا يكاد يخرج من السجن حتى يعود اليه، ولم يرحمه أعداؤه حتى في شيخوخته، واضطهدوه اضطهادا عنيفا، بل لقد لفظ أنفاسه الأخيرة في سجنه بقلعة دمشق، في ليلة الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة، سنة (٧٢٨هـ – ١٣٢٨م)، وهو على =

وكانت هناك الى جانب ذلك مناظرات تجري بين علماء النصرانية، وعلماء الإسلام،. وان كانت تلك المناظرات تجري في نطاق محدود هي مجالس الخلفاء، حيث كانت مجالسهم عامرة بمناظرات العلماء، والفلاسفة، والأدباء، ورجال الدين.

ولعل ما أشرنا اليه من الرسائل، والكتب التي كتبها علماء النصارى، ترويجا للنصرانية؛ وطعنا في الإسلام – لعلّ تلك الرسائل والكتب من أهمّ الأسباب التي دفعت بعلماء الإسلام الى الكتابة في النصرانية تاريخا، وعقيدة، وبيان مافي تلك العقيدة من الأضاليل، والى الدفاع عن النبوة المحمدية، وردّ الشبهات عنها، وبيان موقفها الصحيح من النصرانية، وعقائدها وكتبها، وذلك ردّاً على تلك الكتب والرسائل النصرانية التي كتبها أصحابها، وأذاعوها بين

= حاله مجاهداً في ذات الله.

فجزاه الله خيرا عن جهاده في سبيل اعلاء دينه.

راجع في ترجمة ابن تيمية :

* ابن كثير / البداية والنهاية ج١٣ ص ٣٠٣، ٢٤١، ج١٤ ، ص ١١، ١٥
* محمد السيد الجلقيد/ الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل.
* الحافظ محمد بن أبي بكر الدمشقي / الرّد الوافر.
* محمد بن أحمد بن عبد الهادي / العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.
* محمد بهجة البيطار / حياة شيخ الإسلام.
* الحافظ عمر بن علي البزار / الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية.
* محمد خليل هراس / ابن تيمية السلفي.
* محمود مهدي الاستانبولي / ابن تيمية بطل الإصلاح الديني.
* الشيخ محمد أبو زهرة / ابن تيمية (حياته وعصره وآراؤه الفقهية).
* دائرة المعارف الإسلامية / المجلد الأول ص ٢٣١ وما بعدها ... وغيرها.

المسلمين؛ تحقيقا لأغراضهم، من الترويج للنصرانية، والطعن في الإسلام، ونبيّه.

ويتضح هذا مما ذكره كل من الخزرجي، والقرافي، وابن تيمية، والقرطبي، وغيرهم ممن لم نرد الاطالة بذكرهم – مما ذكره كل منهم؛ بيانا للدوافع التي دفعتهم الى الكتابة في النصرانية؛ كشفا لأباطيلها، والى الدفاع عن الإسلام، ضد ما أثاره النصارى حوله، وحول نبيه من شبهات، حيث يذكر كل منهم السبب الذي من أجله كتب ما كتب في هذا الموضوع – على ما ذكرنا آنفا – وهي تلك الرسائل والكتب التي وقعت بأيديهم مما كتبه علماء النصارى، واضطروا للردّ عليه.

هذا إلى جانب ماكان للنصارى فى بعض الفترات التاريخية من ظهور شأنهم، وإستعلاء أمرهم، إلى الحدّ الذى يتطاولون فيه على المسلمين سياسياً، واجتماعياً، وهو الأمر الذى كان ولا شكّ يثير حمّية علماء الإسلام ضدهم، للحطّ من شأنهم، والردّ على أباطيلهم، ومحاولة إضعاف أثرهم فى البيئة الإسلامية. ومن هذه الفترات التاريخية ما أعقب سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ)، واستيلاء التتار على بلاد الشام – ما أعقب ذلك من تأييد هولاكو، ونوّابه للنصارى ضد المسلمين، واستثنائهم من المذابح الرهيبة التى وقعت بديار الإسلام، واتاحة الفرصة أمامهم للتطاول على المسلمين، واظهار شعائرهم بشكل يثير الحفيظة الإسلامية، ومن هذه الفترات أيضاً ما أعقب سقوط الأندلس مدينة مدينة، وما نال المسلمين فيها من المذابح، أو الإكراه على النصرانية، أو إخراجهم من ديارهم، وكذلك فترة الحروب الصليبية، وما كان فيها، أو أعقبها من أحداث، رفعت من شأن النصرانية والنصارى فى بلاد الإسلام، وذلك قبل أن ينتهى أمرها، وينهزم الصليبيون، ويرحلون عن بلاد الإسلام إلى الأبد.

لقد كان لهذه الفترات أثرها ولاشكّ فى إثارة علماء الإسلام للوقوف حربياً، وفكرياً ضد النصارى، والنصرانية، والتنبّه لخطر ما يكتبه رجال الدين النصراني، بين صفوف المسلمين، من الرسائل والكتب، وذلك بتفنيدها، والرّد عليها، والدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد شبهاتهم حولها، وبيان مافي النصرانية، وكتبها من الأضاليل، والأوهام.

واذا كانْ موضوع هذه الرسالة، هو دراسة موقف أحد كبار علماء الاسلام، بل شيخ الاسلام من النصرانية، كما يتمثّل فى ردّه على ما كتبه أحد علماء النصارى حول هذه القضية. فالواقع أنّ موقف شيخ الاسلام فى هذه القضية ليس إلا حلقة فى سلسلة طويلة من المواقف والدراسات التي سبقه أو لحقه فيها علماء آخرون.

وقبل أن نعرض لموقف ابن تيمية من النصرانية، وللدوافع التي دفعت به الى الكتابة فيها، نحب أن نشير في ايجاز الى من سبقه من العلماء على هذا الطريق.

فقد كتب الجاحظ ـ وهو من معتزلة القرن الثالث ـ في هذا المجال رسالة، سمّاها (الردّ على النصارى).

وكان اليعقوبى المتوفى سنة (٢٩٢هـ) من المؤرخين القدامى، الذين تحدّثوا عن ملوك الروم المتنصرة، وخاصة قسطنطين، الذى عقد مجمع نيقية سنة (٣٢٥م)، وأظهر فيه الأمانة(١)، ثمّ أورد دراسة كاملة عن الأناجيل، مما يؤكد اطلاع المؤلف عليها.

وللامام (البلخي) المتوفى سنة (٣٤٠هـ) كتاب (البدء والتاريخ) أورد فيه

(١) هي الإعلان الذين أعلنوا فيه عقيدتهم.

مباحث هامة عن الديانة النصرانية، تناول فيها فرقهم، التي تتفق على أنّ معبودهم ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم شيء واحد...

أمّا (المسعودى) المتوفى سنة (٣٤٦هـ)، فقد أورد مبحثا عن المسيحية، فى كتابه (التنبيه والاشراف).

وكذلك المؤرخ الاسلامى (أبو الريحان البيروني) المتوفى سنة (٤٤٠هـ)، قدّم لنا معلومات مستفيضة فى كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) عن الأناجيل، وتحريفها، وتناقضها، وعن فرق النصارى، ومذاهبهم، وزعمائهم الكهنوتيين، وعن شعائرهم الدينية(١).

وقد ذكرنا من قبل ما كتبه في هذا المجال كل من أبى عبيدة الخزرجي، المتوفي سنة (٥٨٢هـ) في (مقامع الصلبان)، وألامام القرطبى المتوفى سنة (٦٧١هـ) فى (الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام)، والامام القرافي المتوفى سنة (٦٨٤هـ) في (الأجوبة الفاخرة فى الرد على الاسئلة الفاجرة).... الى غيرهم من العلماء.

وجاء ابن تيمية بعد هؤلاء، فكتب كتابه الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. وقد ذكر فى مقدمة كتابه هذا السبب الذى من أجله كتبه، وهو أنه اطلع - كما يقول - على رسالة وردت من قبرص، فيها الاحتجاج لدين النصارى، مما يحتّج به علماء دينهم، وفضلاء ملّتهم قديماً وحديثاً من الحجج السمعية والعقلية... وهى مضافة الى (بولس) الراهب، أسقف صيدا الأنطاكي، كتبها الى بعض أصدقائه، وسمّاها: «الكتاب المنطيقى الدولة خانى المبرهن عن

(١) انظر هؤلاء الأعلام لدى / حاجي خليفة في كتابه / كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، ص ٩، ٢٢٧، ٤٩٣، ٨٣٨.

الاعتقاد الصحيح، والرأى المستقيم». وضمنها ست دعاوى:

الدعوى الأولى:

أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم (أى النصارى)، بل بعث الى أهل الجاهلية من العرب، وأنّ القرآن فيه ما يدل على ذلك، وكذلك العقل.

الدعوى الثانية:

أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى فى القرآن على دينهم ـ أى النصرانية ـ الذى هم عليه، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الدعوى الثالثة:

أنّ كتب الأنبياء المتقدمين ـ كالتوراة والزابور والانجيل، وغير ذلك من الصحف، والنبوات ـ تشهد لما عليه دينهم من الأقانيم، والتثليث والاتحاد، وغير ذلك، وأنه يجب التمسك به، اذ لايعارضه شرع ولا يدفعه عقل.

الدعوى الرابعة:

أنّ ما هم عليه ثابت بالعقل والشرع، متفق مع الأصول.

الدعوى الخامسة:

أنهم موحّدون، وأنّ ما عندهم مما يوهم التعدد، كألفاظ الأقانيم، إنما هي من جنس ماعند المسلمين من النصوص التى يظهر فيها التشبيه، والتجسيم.

الدعوى السادسة:

أنّ المسيح ـ عليه السلام ـ جاء بعد موسى ـ عليه السلام ـ بغاية الكمال،

فلا حاجة بعد الى شرع آخر، بل يكون مابعد ذلك شرعا آخر غير مقبول(١).

ونظرا لما تضمنته هذه الرسالة من هذه الدعاوى الخطيرة - كما ذكرها ابن تيمية - فانه أخذ نفسه بالرد عليها، واظهار أباطيلها، والدفاع عن الاسلام ونبيّه، ضد ما تضمنته من شبهات. وكذلك اظهار ما في العقائد والعبادات والشرائع النصرانية من أوجه البطلان، وما في كتبها من التحريف والتناقض. قدّم كل ذلك في دراسة موضوعية، ليس فيها شيء من التعصّب، ولا من الذاتية البغيضة. فيقول في مقدمة الرد عليها:

«ونحن - ولله الحمد والمنة - نبيّن أنّ كل ماالحتجوا به (أى النصارى) من حجة سمعية - من القرآن، أو من الكتب المتقدمة على القرآن - أو عقلية، لاحجة لهم في شيء منها، بل الكتب كلها مع القرآن، والعقل حجة عليهم، لا لهم، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء، ومن المعقول هو نفسه حجة عليهم، ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية.»(٢)

ولا يتمثّل موقف ابن تيمية من النصرانية في هذا العمل فقط، ولكنه يتمثّل أيضاً في كثير من صفحات كتبه، وفتاويه، وهي تلك الصفحات التى يتناول فيها عقائد النصارى، من خلال تفسيره لآيات القرآن التي تتناولها أوتذكر كتبهم.

ولا نظن أنّ دوافع شيخ الاسلام الى الكتابة في هذه القضية تقتصر فقط علي هذه الرسالة، ولكنها تكمن أيضا في حياة شيخ الاسلام نفسه، وما أحاط

---

(١) انظر الكتاب المذكور ج١ ، ص ٣ ، ٤.

(٢) المرجع السابق ج ١ ، ص ٢٠ ، ٢١

بها من أحداث. فقد ولد شيخ الاسلام بعد سقوط بغداد على يد التتار بقليل(١).
وقضى شبابه في بلاد الشام، حيث تأثّرت مشاعره ولا شك بما كان يمارسه النصارى في تلك البلاد من مظاهر التعالي، والغطرسة على المسلمين، بعد تأييد هولاكو، ونوّابه لهم، حتى انهم كانوا يتظاهرون بالخمر في نهار رمضان، ويرشونه على ثياب المسلمين، وعلى أبواب المساجد، ويرفعون الصلبان، ويلزمون أرباب الحوانيت بالقيام، اذا مرّوا بالصليب عليهم، ويهينون من يمتنع عن ذلك، ويمرّون به فى الشوارع الى كنيسة مريم، ويقفون به، ويخطبون في الثناء على دينهم. وقالوا ـ جهرا ـ: ظهر الدين الصحيح دين المسيح. فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو «كتبغا»، فأهانهم، وضرب بعضهم، وعظّم قدر قسوس النصارى، ونزل الى كنائسهم، وأقام شعائرهم...(٢)

وكان ابن تيمية الى جانب ذلك يعيش في ثغور الشام، وكانت هذه الثغور دائما موضع الاحتكاك بين المسلمين والنصارى البيزنطيين. وقد رأى ابن تيمية ـ ولا شكّ ـ ما أحدثته الحروب الصليبية فى بلاد الاسلام ولا سيما في مصر والشام، من تدمير استمر قرابة قرن ونصف قبل أن يلقى بهم المسلمون فى البحر، ويتخلصوا من شرورهم.

ولا شكّ أنّ كل ذلك وغيره أثار مشاعر شيخ الاسلام، ضد النصارى، والنصرانية، وحرّكه للكتابة ضدهم، والرد عليهم فيما يكتبون، وإظهار الفتاوى العديدة، فيما يجب أن يلتزموا به من المظاهر الاجتماعية فى زيّهم، حتى أفتى بضرورة أن يكون لأهل الذمة شارة يعرفون بها، ليس تحقيرا لشأنهم، ولكن ليعرفوا، حتى يمكن الاحتياط منهم، نظرا لما أظهروه خلال الحروب الصليبية

(١) كانت ولادته – رضي الله عنه – عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢م.
(٢) راجع ابن كثير / البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ٢١٩.

من التعاون مع الغزاه الصليبيين، ضد المسلمين.

لقد كان شيخ الاسلام اذن ممتلئ الفكر والشعور، ضد النصارى والنصرانية؛ لمواقفهم المناوئة للاسلام، وأباطيلهم التى يثيرونها حوله وحول نبيّه. ومن هنا كان موقفه من النصرانية في كتبها، وعقائدها، وعباداتها، وشرائعها، وكان دفاعه كذلك عن الاسلام ونبيّه، ضد ما أثاره علماء النصرانية حولهما من شبهات.

وقد استمرّ علماء الاسلام فى متابعة هذا النهج، الذى نهجه شيخ الاسلام، ومن سبقه من العلماء، حيث كتب ابن القيم المتوفي سنة (٧٥١هـ)، كتابه (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى). وكتب عبد الله الترجمان الأندلسى ـ وكان من أفاضل النصارى، ثم أسلم ـ كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب). بيّن فيه تحريف أناجيلهم وتناقضها، وابطال عقائدهم، وشرائعهم بالنقل والعقل. وكذلك الامام أبو البقاء الجعفرى المتوفى في القرن العاشر الهجرى، كتب كتابه (تخجيل من حرف الانجيل)...

واستمرّ الكتّاب المحدَثون على هذا النهج، مثل الشيخ (محمد أبو زهرة) رحمه الله، وغيره من العلماء. وكان استمرار هؤلاء فى الرد على النصرانية، نتيجة لاستمرار النصارى فى كتاباتهم؛ ترويجا لها في صفوف المسلمين وطعنا في دين الاسلام، ونبيّه، وكتابه.

ويتمثّل موقف ابن تيمية فى هذه القضية ـ كما أشرنا ـ فى أمرين:

الأول :

ابطاله للعقائد والعبادات والشرائع النصرانية، وبيانه لما نال كتبها من تحريف أو تبديل.

الثانى:

ابطاله للشبهات التي أثارها ويثيرها علماء النصارى حول الاسلام ونبيّه، وكتابه.

وسوف نقتصر في هذه الرسالة علي الجانب الأول؛ بيانا لموقف ابن تيمية من النصرانية. أما الجانب الثانى، وهو ابطاله لشبهات النصارى حول النبوه المحمدية، فسوف نجعله بعون الله تعالى، وتوفيقه موضوع دراسة أخرى. نسأل الله تعالي العون عليها، والتوفيق فيها.

ولعلّ العرض الذى قدمناه، يكشف لنا عن أهمية الموضوع الذى نحن بصدده، فهو:

أولاً: يبرز لنا ذلك الاسهام القيّم، الذى قدمه شيخ الاسلام، في كشف عُوار النصرانية، عقلا ونقلا، حتى يزداد بيان ما فيها من الأباطيل، أمام العقول، فلا تنخدع بها الأفهام، ولا تتأثّر بها المشاعر. وهو

ثانياً: مزيد من التأكيد، والتأييد لما في الاسلام من حق، بالمقارنة الى ما فى العقائد الآخرى من باطل، وذلك من باب «وبضدها تتميّز الأشياء» ومع أنّ الاسلام غنى بنفسه في الدلالة على أحقيّته من بين الأديان المعاصرة جميعا، الاّ أنّ مقارنة الأديان تقدم ولا شك مزيدا من البيان لهذه الأحقية، وذلك من أهم الطرق في التعرف الى الاسلام، واعتناقه عن يقين.

ثمّ انّ هذه الدراسة من جهة ثالثة هى دراسة لجانب مهم من فكر شيخ الاسلام ابن تيمية، ذلك الفكر الغنى الذي تناول جميع فروع المعرفة الانسانية، وهو جانب مقارنة الأديان. فدراسة كتب شيخ الاسلام فى هذا الجانب، تدل علي مدى اطلاعه، على الأديان المختلفه، وتعمقه لما فيها من وجوه البطلان،

ووقـوفـه على تاريخ أهلـهـا بصـورة واسـعـه. ومـثـل هذه الدراسـه تضـاف الى دراسات قيمة تناولت جوانب متعددة من فكر شيخ الإسلام، بيانا لموقفه من الفرق المختلفة، حيث كُتب عن موقفه من التصوّف، وموقفه من المعتزلة، وموقفه من الكرامية. ولما لم يكتب أحد عن موقفه من النصرانية، رأيت أن أكتبَ فيه. ولا يزال المجال واسعا لدراسة موقف ابن تيمية من المتكلمين والفلاسفة والمنطقيين، وأصحاب الديانات الأخرى ... الخ فبمثل هذه الدراسات المقارنة، يتجلي فكر شيخ الاسلام العظيم ويزداد الانتفاع به.

هذا هو موضوع رسالتى، وهذه هى وجوه أهمية هذا الموضوع. ولعلّ ذلك يكشف فى نفس الوقت عن صعوبته، حيث لا يتركز فكر شيخ الاسلام فى هذه الناحية في كتاب واحد، وانما ينتشر في عشرات المجلدات، من كتاباته الكثيرة، وان كان كتاب/ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح بأجزائه الأربعة يأخذ مكان الصدارة فى ذلك. ويضاف الى هذه الصعوبة ما هو معروف من تناول شيخ الاسلام للقضية الواحدة في مواضع متعددة، ومن اسهاباته فى عرض القضايا.

ولم يكن من الممكن عرض ابطالات ابن تيمية للكتب، والعقائد والعبادات، والشرائع النصرانية بشكل واضح، دون أن أعرض قبل ذلك بالدراسة التحليلية لهده الكتب، والعقائد، والعبادات والشرائع، حتى يتضح أمرها قبل عرض ابطال ابن تيمية لها. ولقد كان هذا هو منهجى في كل باب، بل فى كل فصل من فصول الرسالة، ملتزمة طريق الأمانة في النقل، والدقة في العرض، واستقاء المعلومات من مصادرها الأصلية، وعرضها، وعرض أدلتهم عليها من تلك المصادر، فى نزاهة علمية تامة، دون أى انفعال دينى. واذا أضفت مزيدا من النقد الى النصرانية، بالاضافة الى ما قدمه ابن تيمية، فعلى أسس عقلية،

ونقلية صحيحة. ولم يفتني أن أعقد المقارنات التاريخية بين العقائد النصرانية، وما سبقها من العقائد في الوثنيات القديمة، وأن أكشف عن الموقف الصحيح للقرآن من النصرانية، بكل تفاصيلها، وأن أبيّن كذلك أنّ نقد ابن تيمية، وغيره من العلماء للنصرانية انما هو نقد لتلك النصرانية التى انحرف بها أصحابها عن مسيرة التنزيه والتوحيد، وليس للنصرانية الصحيحة التى أنزل الله كتابها على عيسى - عليه السلام - والتي بقى بعض النصارى عبر التاريخ متمسكين بها، سائرين علي خط التوحيد، خارجين عبر التاريخ على انحراف الكنيسة، وتحريفها. فلم تصرفنى رؤية الصور الباطلة في تاريخ النصرانية عن رؤية هذه الصور المشرقة، وتسجيلها، رغم ندرتها، ورغم اضطهاد الكنيسة لأصحابها.

كان هذا هو منهجى فى الدراسة، وهو اجمال يأتى تفصيله على صفحات هذه الرسالة.

وقد اتبعت فى رسالتى هذه الخطة التالية:

قسمتُ الرسالة بعد هذه المقدمة الى ثلاثة أبواب، وكان موضوع الباب الأول: الأناجيل، واثبات ابن تيمية لتحريفها، وتناقضها.

وقد تناول هذا الباب بالدراسة ثلاث فصول:

عرضت في الفصل الأول منه لبيان أنّ هناك انجيلا نزل على عيسى عليه السلام، وهو غير موجود الآن، ثم تحدثت عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى، ثمّ عقبت على ذلك ببيان خلو هذه الكتب من القداسة، والالهام، وأنّ دعوى الالهام فيها باطلة، لما يكتنف هذه الكتب من التناقضات، ويحيطها من المجاهيل، والغموض، فى مصنفيها، وفى لغة تدوينها، وتاريخ التدوين.

وفى الفصل الثانى ذكرتُ أنواعا للتحريف الواقع فى الأناجيل، مع أدلته

لدى ابن تيمية. وذكرت شبهات النصارى على تحريف كتابهم، وابطال ابن تيمية لها.

ثمّ انتهيت الى التعقيب على هذا الفصل، بمزيد من التاكيد لدي العلماء الآخرين؛ لاثبات التحريف الواقع فى كتب النصارى عامة، وفى الأناجيل بصورة خاصة، مع ذكر الفرق بين كتب النصارى، وبين القرآن الكريم، المحفوظ في السطور والصدور.

أمّا فى الفصل الثالث فقد أتيت بأمثلة، ونماذج مختلفة من الأناجيل، تبّين مدى التناقض الحاصل فى كتبٍ يدّعون إلهاميتها، وقداستها. ثمّ عقّبت على ذلك بالحديث عن انجيل (القرن العشرين)، ذلك الانجيل المختزل، الذى أصدرته مجلة/ ريد رزدا يجست، ووافق عليه مجلس الكنائس العالمي.

أمّا الباب الثانى: فهو فى العقائد النصرانية، وبيان موقف ابن تيمية منها، ويحتوى على خمسة فصول. وقد تناولتُ فى كل فصل من هذه الفصول الخمسة ابطال ابن تيمية لعقيدة من العقائد النصرانية.

ففي الفصل الأول بيّنت ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى فى الحلول والاتحاد.

وفى الفصل الثانى ابطاله لعقيدة النصارى ببنوّة المسيح - عليه السلام - لله تعالى، وألوهيته.

وابطاله لعقيدة النصارى بألوهية روح القدس، فى الفصل الثالث.

أمّا فى الفصل الرابع، فقد بيّنتُ فيه ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى بالتثليث.

وكان آخر فصول هذا الباب هو الفصل الذي قدمتُ فيه ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى بالصلب والفداء.

وقد قدمتُ فى كل فصل فى الحديث عن كل عقيدة فى هذه الفصول، بيانا لوضعها في النصرانية الصحيحة، ثمّ بدء انحراف النصارى بها، وتطور هذا الانحراف عبر المجامع، والأدلة الدينية التى يستند إليها النصارى فى تلك العقيدة الباطلة، وابطالاتى لتلك الأدلة عقلا، ونقلا، ثمّ بيان ابطال ابن تيمية لتلك العقيدة من جميع الوجوه التاريخية، والعقلية، والنقلية، بشكل تفصيليّ. ثمّ عقّبت على كل فصل، بتعقيب مطوّل، أتناول فيه بالدراسة الجذور التاريخية لتلك العقيدة، ومزيداً من النقد والابطال لها، وبيانا لموقف أحرار النصرانية منها، ثمّ بيانا لموقف القرآن الكريم.

أمّا الباب الثالث والأخير، فكان فى العبادات والشرائع النصرانية، وابطال ابن تيمية لها. تناولتُ فيه بالعرض والتحليل، والبيان المفصل لما فى النصرانية من العبادات: كالصلاة، والصيام، والتعميد، والعشاء الربانى، والرهبانية،. ولما فيها من الشرائع: كتحليل لحم الخنزير، وتحريم الختان، وتقديس الصور والتماثيل. وقد عرضتُ كل موضوع من هذه الموضوعات فى فصل مستقل، بلغت تسعةَ فصول، وقد ختمتها بفصل أخير، بيّنت فيه وجوه ابطال ابن تيمية لها، سواء من ناحية اجمالية، كعدم تواتر كتبهم، وفقدانهم الأساس الديني الصحيح، أو ما تناوله بالدراسة التفصيلية، كالرهبانية، والعشاء المقدس؛ لتناقضها مع العقل الصريح، والنقل الصحيح.

أمّا الخاتمة، فقد أبرزت فيها أهم نتائج البحث.

وقد بذلت في رسالتى هذه غاية جهدى، وأخلصت فيها لله قصدى، والعصمة بعد ذلك لله وحده، فما فيها من خير فمن الله، وما فيها من عيب أو

قصور، فما أجدر الانسان بالاساءة والعيوب، اذا لم يحفظه علاّم الغيوب.

أحمده تعالى وأشكره، على نعمائه التى لاتحصى، وأن أعانني على اتمام رسالتى هذه. وانى أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يجزى عني خير الجزاء كل من قدّم لي عونا، حتى أتممته على هذه الصورة، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنى الى مواصلة رسالتى في خدمة العلم والدين. انه على كل شيء قدير. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين...

*** *** ***

الباب الأول
في الأناجيل

وإثبات ابن تيمية لتحريفها وتناقضها وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : الأناجيل

الفصل الثاني : تحريف الأناجيل

الفصل الثالث : تناقض الأناجيل

الفصل الأول

في الأناجيل

(أ) من إنجيل عيسى – عليه السلام – إلى الأناجيل الأربعة :

١ – ماهو الإنجيل ؟

٢ – إنجيل عيسى عليه السلام .

٣ – ضياع إنجيل عيسى عليه السلام .

٤ – كثرة الأناجيل في القرون المسيحية الأولى.

٥ – اختيار الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية.

(ب) الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى :

١ – إنجيل متى .

٢ – إنجيل مرقس .

٣ – إنجيل لوقا.

٤ – إنجيل يوحنا.

٥ – تعقيب .

الفصل الأول

الأناجيــل

من إنجيل عيسى إلى الأناجيل الأربعة

١ - ما هو الإنجيل :

قبل الكلام عن تاريخ الأناجيل، ونظرة المسيحيين إليها، ونقد ابن تيمية لها، وبيان تناقضاتها لابد لنا من بيان مدلول كلمة الإنجيل في كتب اللغة والتفاسير، وكتب مقارنات الأديان فنقول :

« الانجيل هو اسم كتاب الله المنّزل على عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - يذكّر ويؤنّث ، فمن أنثَ أراد الصحيفة، ومن ذكرّ أراد الكتاب، والجمع أناجيل، ومنه الحديث في صفة الصحابة رضى الله عنهم «صدورهم أناجيلهم» وفي رواية «أناجيلهم في صدورهم».

اختلف في لفظ الانجيل فقيل : اسم عبراني، وقيل : سيرياني، وقيل : عربي. وعلى الأخير قيل : مشتق من النجل، وهو الأصل، أو من نجلت الشئ أي أظهرته، أو نجله إذا استخرجه، وحكى شمر عن الأصمعي : الانجيل كل كتاب مكتوب وافر السطور، وهو أفعيل من انجل، وبه قرأ الحسن قوله تعالى {وليحكم أهل الأنجيل} بفتح الهمزة، وليس هذا المثال من كلام العرب، والإنجيل بالكسر كإكليل وإخريط.

قال الزجاج : ولقائل أن يقول : هو اسم أعجمي، فلا ينكر أن يقع بفتح

الهمزة، لأن كثيرا من الأمثلة الأعجمية تخالف الأمثلة العربية نحو : هاجر، وإبراهيم وهابيل وقابيل.»(١)

وقيل إن « كلمة إنجيل (Gospel) كلمة يونانية معناها (الحلوان) وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى، ثم أريد بالكلمة البشرى عينها. أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى بُشرى الخلاص التي حملها الى البشر واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه».(٢)

وجاء فى مقدمة إنجيل (تولستوى) لكاتبه سليم أفندى قبعين :

« إن لفظة إنجيل باللغة اليونانية مركبة من كلمتين : (Eu ايو). ومعناها: جيد ـ حسن ـ صلاح ـ خير ـ صدق.

و (ـ anghilion) ومعناها : الإخبار ، ويكون تعريب اللفظتين معاً : الإخبار بالخير أو الخبر الحسن.»(٣)

وقد جاءت لفظة (إنجيل) فى مواضع عدة من كتاب الله الكريم منها :

قوله تعالى : { نزّ ل عليك الكتاب بالحق مصدِّقاً لما بين يديه وأنزل

---

(١) محمد مرتضى الزبيدي / تاج العروس من جواهر القاموس المجلد الثامن ص ١٢٨.
وانظر كذلك : ابن منظور : لسان العرب ج ١١ ص ٨٦٤ (مادة نجل) طبعة بيروت.

(٢) د. أحمد شلبي (مقارنة الأديان) المسيحية ص ٢٠١ طبعة ٥.
وكذلك الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج١ ص ٩٧.
وكذلك : محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج٣، ص ١٥٨، ١٥٩.
وكذلك : عباس محمود العقاد في موسوعته (توحيد وأنبياء) ج١ ، ص ٧١٩.

(٣) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٣٨٩.
وانظر كذلك عبد الأحد داود : الانجيل والصليب ص ٢٤.

التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان .....} الآية[1]

وقوله تعالى : {وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورا .....} الآية[2]

قال أبو السعود ـ وغيره من المفسرين ـ عند الكلام على قوله تعالى : {وأنزل التوراة والإنجيل} قال :

«هما إسمان أعجميان الأول عبرى والثانى سريانى، ويعضده القراءة بفتح همزة الإنجيل، فإن أفعيل ليس من أبنية العرب، والتصدى لاشتقاقها من الورى والنجل تعسف».[3] والقول بأعجمية الإنجيل هو الصواب.

وأياً كان الإختلاف فى الأصل اللغوى لكلمة الإنجيل فهى تدل فى الإصطلاح القرآنى على «ما أوحاه الله إلى رسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من البشارة بالنبى الذى يتمم الشريعة و الحكم والأحكام وهو ما يدل عليه اللفظ .....»[4]

إلى غير ذلك مما تتضمنه من العبادات والأخلاق والتشريعات.

---

(١) سورة آل عمران آية ٣.

(٢) سورة المائدة آية ٤٦ ، وكذل آية ٤٧ ، ٦٨ ، ١١٠.

وانظر كذلك : سورة الأعراف آية ١٥٧، والتوبة آية ١١١، والفتح آية ٢٩، والحديد آية ٢٧.

(٣) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٤ .

وكذلك سائر كتب التفاسير تشارك أبا السعود الرأي في كون اسم انجيل أعجميا وليس عربيا.

مثل : تفسير الكشاف للزمخشري ج١ ص ٤١٠، وتفسير النسفي ج١ ، ص ٤٥ ، وتفسير الإمام البيضاوي ص ٦٦ ، وتفسير القرطبي المجلد الرابع ص ٥ ، ٦.

(٤) محمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج ٢ ص ١٥٩.

٢ ـ انجيل عيسى ـ عليه السلام ـ :

نحن ـ المسلمين ـ مؤمنون بأن هناك إنجيلا، أنزله الله على المسيح ـ عليه السلام ـ، متضمن من الهدى والنور، ما فيه كفاية للمهتدين، وهو مصدق للتوراة، ومحيى لشريعتها، ومؤيد للصحيح من أحكامها، ومبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد، ومشتمل على هدى ونور وموعظة.

والدليل على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم، من قوله تعالى :

{ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاًلما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين }(١).

وقوله تعالى على لسان المسيح – عليه السلام – :

{ اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا }(٢).

« والمراد بالكتاب هنا : الإنجيل ، لأن الألف واللام ههنا للجنس، أي آتاني من هذا الجنس»(٣).

وقوله جل جلاله :

{ ... ... الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ...} (٤) الآية.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٦.

(٢) سورة مريم آية ٣٠.

(٣) الفخر الرازي (التفسير الكبير) المجلد ١١ج٢١ ص٢١٥.

(٤) سور الأعراف آية ١٥٧.

فالقرآن الكريم من خلال هذه الآيات، يحدثنا عن كتاب سماوى، أنزله الله على عيسى - عليه السلام -، وأن هذا الكتاب السماوىِ كان يسمى الإنجيل، وأن هذا الإنجيل كان مكتوباً، بدلالة قوله تعالى :

(يجدونه) أى إسم الرسول صلى الله عليه وسلم، (مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل) فلم يكن هذا الإنجيل مجرد مواعظ شفوية يلقيها المسيح - عليه السلام -، على مسامع اتباعه ومن يدعوهم الى دينه، ولكنه كان يكتب كل ما أنزل الله عليه؛ ليكون فى يد أتباعه، وإن كنّا لانعرف الطريقة التى كتب بها الإنجيل فى حياة المسيح - عليه السلام -، ولا من قام بكتابته.

ومما يشهد كذلك لكون الإنجيل كتاباً سماوياً، أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، أن ينادى النصارى بوصفهم (أهل كتاب)، وذلك فى قوله تعالى:

{قل ياأهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}.(١)

وقوله تعالى : {قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم}.(٢)

أى : (قل) يامحمد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما تبلغهم عن الله تعالى : {لستم على شيء} يعتدّ به من أمر الدين، ولا ينفعكم الإنتساب إلى موسى وعيسى والنبيين. {حتى تقيموا التوراة والإنجيل} فيما دعيا إليه من التوحيد الخالص، والعمل الصالح، وفيما بشرا به من بعثة النبى، الذى يجيء

---

(١) سورة آل عمران اية ٦٤.

(٢) سورة المائدة اية ٦٨.

من ولد اسماعيل، الذى عبر عنه المسيح بروح الحق وبالبارقليط*.»[1]

ثم إن القـرآن الكريم يسـجل عليـهم، أنهم أخـفـوا بعض مـا أوتـوا من الكتاب، وذلك فى قوله تعالى : {ياأهل الكتاب قد جاء كم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير.}[2]

يقول الإمام البيضاوى عند تفسيره لهذه الآية :

{ياأهل الكتاب} يعنى : اليهود والنصارى، ووحّد الكتاب؛ لأنه للجنس.

{قد جاء كم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب} كنعت محـمـد صلى الله عليه وسلم، وآية الرجم فى التـوراة، وبشـارة عـيسى - عليه السلام - بأحمد صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل ...»[3]

لهذه الشواهد وغيرها من القرآن الكريم نقول :

ان الإنجيل كان كتاباً سماوياً، مكتوباً، جاء مصدقا لما قبله من التوراة، ومتضمناً لما أنزله الله على عيسى، من مختلف الأحكام وألوان الهداية الربانية.

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يعرفون ذلك، ويؤمنون به، مع إيمانهم بوقوع التحريف فى ذلك الكتاب، فقد روى البخارى فى صحيحه، عن ابن عباس رضى الله عنهما بسنده فى كتاب الإعتصام قوله :

---

* شرح معني هذه الكلمة موجود في ص ١٢٩/١٣٠ من هذه الرسالة.

(١) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج٦ ص ٤٧٤.

(٢) سورة المائدة آية ١٥.

(٣) تفسير القرآن الكريم المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ص ١٤٦.

وانظر كذلك محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج ٦ ص ٣٠٣.

(كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرءونه محضا* لم يشب**، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا : هو من عند الله {ليشتروا به ثمنا قليلا}(١) ألا ينهاكم ما جاء من العلم عن مساءلتهم، لا، والله ما رأينا رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم.)(٢)

وهنا يأتى السؤال : أين هو هذا الإنجيل الذى تحدث عنه القرآن الكريم؟ وهل يعنى عدم تداوله الآن بين المسيحيين أنه لم يكن موجودا فى يوم ما؟ وهل يوجد فى كتابات الباحثين والمؤرخين ما يدل على الوجود التاريخى لهذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى؟؟؟

نسأل هذا السؤال لا لأننا نأخذ من كتابات هؤلاء الباحثين والمؤرخين التصديق لما جاء به القرآن فهو صادق، حتى ولو لم يعثر المؤرخون على هذا الإنجيل، وإنما نسأل لنعرف من أبحاثهم المصير التاريخى لهذا الإنجيل المنزل من عند الله، وما إذا كان قد بقى أو فُقد فلم يعثروا عليه.

يرى بعض مؤرخى المسيحية أنه لم يكن هناك قبل إنجيل (متى) الذى كتبه سنة (٣٨م) – على حد زعمهم – إنجيل آخر.

---

* محضا : خالصا .

** لم يشب : لم يخلط . انظر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٥ ص ٢٩٢.
وانظر : القسطلاني : ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٤ ص ٤١٢.
وكذلك ج ١٠ ، ص ٣٥٢.

(١) سورة البقرة آية ٧٩.

(٢) صحيح البخاري ج٩ ص ١٣٦، وروى البخاري هذا الحديث أيضا بسند آخر في كتاب الشهادات من الصحيح ج٣ ص ٢٣٧.

يقول الأستاذان زكى شنودة وميشيل جرجس :

إن «ما استقر عليه الرأى الأخير بين المسيحيين فى أوائل القرن الرابع الميلادى هو العهد الجديد، وبه سبعة وعشرون سفرا، منقسمة إلى ثلاثة أقسام ... إلخ. أما قبل ذلك فهناك فترتان :

الفترة الأولى :عدم وجود إنجيل؛ لأن (متى) بدأ كتابة إنجيله عام (٣٨م)

الفترة الثانية : وجود كثرة ساحقة من الأناجيل.»[١]

ومعنى هذا : أن الفترة التى سبقت (متّى) سواء فى حياة المسيح – عليه السلام – أو بعد رفعه، لم يكن فيها إنجيل مكتوب، كما يعتقد هذان الكاتبان، ولم يقدّما دليلا على ما ذهبا إليه، من عدم وجود إنجيل سابق على الأناجيل الأربعة؛ التى كتبت بعد رفع المسيح، وحتى لو لم يوجد هذا الإنجيل، فلا يدل عدم وجوده على خلو تلك الفترة منه لجواز فقده وضياعه.

وعلى عكس ما يذهب إليه الكاتبان المذكوران، فإننا نجد من مؤرخى المسيحية من يصرّح بوجود رسالة سابقة على الأناجيل الأربعة، يرجّح أنها كانت هى إنجيل المسيح – عليه السلام –، من أولئك : المؤرخ المسيحى الألمانى (أكهارن) حيث يذكر :

«أنه كان فى ابتداء الملة المسيحية، فى بيان أحوال المسيح، رسالة مختصرة، يجوز أن يقال : أنها هى الإنجيل الأصلى، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا أحواله

(١) نقلا عن د. رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ... ج١ ص ١٤٦ ط١ دون أن يذكر اسم المصدر الذي استقى منه هذا النص.

بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب.»(١)

ويستظهر (رحمة الله الهندى) من كلام أكهارن السابق : أن الإنجيل الأصلى قد فقد.(٢)

ومما يشهد لوجود إنجيل لعيسى – عليه السلام –، ما جاء فى إنجيل برنابا الحوارى*، مما يفيد نزول كتاب على المسيح، وأن جبريل قد أتاه به من

---

(١) انظر : رحمة الله الهندي الكيرانوي : اظهار الحق ج١ ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) انظر اظهار الحق ج ١ ص ٣٠٢.

* برنابا هو أحد الحواريين الاثني عشر الذين اختارهم المسيح لصحبته، واختصهم بالزلفى اديه. وله انجيل لايعترف به النصارى مع أن قوة النسبة فيه لاتقل عن قوة النسبة في أناجيلهم الأربعة المعتمدة. إلاّ أنهم رفضوه؛ لأنه خالفهم في نقاط أساسية وجوهرية هامة.

– فهو لم يعتبر المسيح إلها ولا ابن آله.

– كما أنه بشر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم صراحة باسمه.

– وذكر أن الذبيح الذي تقدم به ابراهيم الخليل – عليه السلام – للفداء هو اسماعيل ، – كما هو ثابت في القرآن الكريم – وليس اسحاق كما ورد في الأناجيل المعتمدة لدى النصارى .

– وقد نفى انجيل برنابا القول بصلب المسيح وقتله – بخلاف ما تدعيه الأناجيل المعتمدة.

– وذكر أن الصلب والقتل وقع على الشبيه فجاء مطابقا للقرآن.

؟؟؟

– وكان الدافع لكتابة انجيله – كما يذكر هو ذلك في مقدمته :

الضلال والكفر الشديدان اللذان أصبحا علامة وسمة بارزة في المبشّرين بالمسيحية وعلى رأسهم بولس ومن شايعه، حيث أخذوا يدعون الناس الى الإيمان بأن المسيح ابن الله ، وتحريضهم على ترك الختان الذي أمر الله به، وتجويزهم أكل كل لحم نجس حرّمه الله.

فكتب لذلك إنجيله داحضاً مزاعمهم، مبيناً العقيدة الحقة فيما جاء به المسيح فى هذه الجوانب ـ كما ذكرنا آنفاً ـ.

أنظر إنجيل برنابا الفصل ٩:١٤ـ١٧، وكذلك الفصول ٤١ . ٤٣ . ٤٤ . ٢١٥ . ٢١٧ . ٢٢١ . كلها تحكى ما ذكرناه.

عند الله، متضمن لكل الأحكام والشرائع التى أراد الله تبليغها لبنى إسرئيل، بواسطة عيسى – عليه السلام –، وهو ما نؤمن به نحن المسلمين.

يقول برنابا فى ذلك :

«ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرنى بذلك نفسه، صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتوناً، وبينما كان يصلى فى الظهيرة، وبلغ هذه الكلمات «يارب برحمة ...»، وإذا بنور باهر قد أحاط به، وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون «ليتمجّد الله»، فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة، فنزل إلى قلب يسوع الذى عرف به ما فعل الله، وما قال الله، وما يريد الله، حتى أن كل شىء كان عرياناً ومكشوفاً له، ولقد قال لى :

«صدِّق يابرنابا، إنى أعرف كل نبى وكل نبوة، وكل ما أقوله إنما قد جاء فى ذلك الكتاب».

ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع، وعلم أنه نبى مرسل إلى بيت اسرائيل، كاشَف مريم أمه، بكل ذلك قائلاً لها : إنه يترتب عليه إحتمال اضطهاد عظيم لمجد الله، وإنه لايقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها، فلما سمعت مريم هذا أجابت : «يابنى، إنى نبئت بكل ذلك، قبل أن تولد، فليتمجد إسم الله القدوس.»

ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه؛ ليمارس وظيفته النبوية.»(١)

ويدل هذا الكلام على أن أول ما أوحِي إلى عيسى من الله سبحانهُ مثّل له فى كتاب، استضاء ت به بصيرته، كما أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الفصل العاشر كله. ترجمة الدكتور خليل سعادة.

وسلم بنمط من ديباج فيه كتاب وقال له : {اقرأ باسم ربك الذى خلق}.(١)

وإثبات إنجيل لعيسى - عليه السلام -، لا يقتصر على قول برنابا السابق فى إنجيله، ولكنه يتعدى ذلك إلى إثبات الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين - لهذا الإنجيل السابق عليها، كما يستفاد ذلك مما ورد فيها من أقوال، فالمتصفح لهذه الأناجيل يرى أن هذا الإنجيل الموحى به من الله للمسيح - عليه السلام -، ليس بغريب على المسيحيين أنفسهم، وكثيراً ما تردد ذكره على ألسنة كُتّاب تلك الأناجيل الأربعة، وفى رسائل بولس.

فها نحن نقرأ فى إنجيل (متّى) على لسان المسيح - عليه السلام - فى قصة المرأة التى سكبت الطيب عليه : «الحق أقول لكم، حينما يكرّز* بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكاراً لها».(٢)

وهذا النص موجود بعينه فى إنجيل مرقس.(٣)

كما أن كلمة إنجيل بمعنى (البشارة)، قد وردت فى الأناجيل التى بين أيدينا الآن.

فقد جاء فى إنجيل (متّى) : «وكان يسوع يطوف كل الجليل، يعلّم فى مجامعهم، ويكرز، ببشارة الملكوت.»(٤)

---

(١) سورة العلق آية ١.

وانظر عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٣٨٩.

* معناها : يبشر.

(٢) ٢٦ : ١٣.

(٣) ١٤ : ٩.

(٤) ٤ : ٢٣.

«وبشارة الملكوت هي ترجمة كلمة (إنجيل) باليونانية، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل الأربعة قد وجد في عهد المسيح بالإتفاق، وليس من المعقول أن يلفظ بأقوال تلاميذه وهم بعد لايزالون في دور التعليم.»(١)

كما نطالع أيضاً في (مرقس) قوله على لسان المسيح حين بدأ دعوته أنه قال : «جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل.»(٢)

فأى إنجيل هذا الذى بدأ المسيح دعوته طالباً الإيمان به؟

أفَلاَ يدل ذلك على وجود إنجيل فى حياة المسيح يعرفه الجميع، ويشير هو إليه؟ وهل من المعقول أنه كان يعنى هذه الأناجيل وهى لم توجد بعد؟!

ليس هذا فحسب، بل إن بولس في رسالته لأهل رومية، يؤكد لنا وجود انجيل للمسيح، فيقول : «فإن الله الذى أعبده بروحى، فى إنجيل ابنه، شاهد لي، كيف بلا انقطاع أذكركم»(٣)

فهنا قد ذكر لفظ الإنجيل منسوبا إلى المسيح (الإبن)، وليس واحد من الأناجيل الحالية يستحق هذه النسبة.

وجاء فى رسالته الأولى لأهل كورنثوس :

«صرت للضعفاء كضعيف؛ لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء؛ لأخلّص على كل حال قوما، وهذا إنما أفعله لأجل الإنجيل؛ لأكون شريكاً

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٥٤ ط٣.
(٢) ١ : ١٤، ١٥.
(٣) ١ : ٩.

فيه.»[1]

وليس واحد من الأناجيل الأربعة المعروفة لدينا الآن تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه، يصح أن ينسب إلى عيسى – عليه السلام – ؛ لأن كل إنجيل منسوب إلى كاتبه.

ولا يكتفى بولس بإثبات وجود إنجيل لعيسى عليه السلام، بل يثبت انحراف المسيحيين عن ذلك الإنجيل، وتحريفهم له، فيقول فى رسالته إلى أهل غلاطية :

« إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى انجيل آخر، ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن يحوّلوا انجيل المسيح »[2].

«فالمسيح كان له إنجيل واحد، وبيّن بولس أنه كان فى عصره من القرن الأول أناس يدعون المسيحيين إلى إنجيل غيره بالتحويل، أى التحريف كما فى الترجمة القديمة، وفى ترجمة الجزويت «يقلّبوا» «بدل» «يحوّلوا» وهى أبلغ فى التحريف والتبديل، وبين بولس أن الناس كانوا ينتقلون سريعاً إلى دعاة هذا الإنجيل المحرّف، المحوّل عن أصله الذى جاء به المسيح»[3]. بل إن بولس يذكر لنا فى رسائله حرفياً، أن هناك إنجيل للمسيح، لا لغيره، فيقول فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى :

---

(١) ٩ : ٢٢، ٢٣.

(٢) ١ : ٦، ٧.

(٣) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج٦ ص٢٩١.

«إذا كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضا.»[1]

وقوله كذلك فى نفس الرسالة : «فأرسلنا تيموثاوس أخانا، وخادم الله، والعامل معنا، فى إنجيل المسيح ».[2]

ومما ورد كذلك، من أقوال بولس، فى إثبات وجود إنجيل للمسيح – عليه السلام – قوله :

«فى نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح.»[3]

وقوله أيضاً فى رسالته الأولى إلى تيمو ثاوس :

« حسب إنجيل مجد الله المبارك، الذى أؤتمنت أنا عليه.»[4]

وقد عقب الشيخ محمد أبو زهرة، على بعض هذه النصوص، المنقولة عن بولس، وخرج من هذه الأقوال بالنتيجتين التاليتين :

«أولاً : لاشك أن الإنجيل المذكور فى كل هذه النصوص ليس واحداً من هذه الأناجيل.

وعلل السبب فى ذلك فقال :

---

(١) ٢ : ٨.

(٢) ٣ : ٢.

(٣) تسالونيكى الثانية ١ : ٨.

(٤) ١ : ١١.

١- لأنها لا تضاف إلا إلى أصحابها باتفاق النصارى.

٢- لأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل، كما جاء فى عبارته السابقة (التى نقلناها).

ثانياً : ان هذا الإنجيل، قد ذُكر فى هذه الأناجيل على أنه كان قائماً فى عهد عيسى، وحيث أنه ذُكر من غير نسبه كما فى إنجيل مرقس (النص السابق)، وكما في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس التي نقلناها سابقا)، وليس واحداً من هذه الأناجيل الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه.»[١]

ومما تجدر ملاحظته : أن القرآن الكريم عبّر عن إنجيل عيسى - عليه السلام - بلفظ المفرد، الأمر الذى يدل على أنه غير الأناجيل الأربعة، المتداولة بين أيدى المسيحيين، والمنسوبة إلى كاتبيها.

ويتساءل ابن قيّم الجوزية مقرِراً : أن إنجيل عيسى - عليه السلام - لايمكن أن يكون أحد هذه الأناجيل الأربعة المعروفة فيقول :

«كيف يكون فى الإنجيل الذى أنزل على المسيح، «قصة صلبه» وما جرى له، وأنه أصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، ... وغير ذلك مما هو كلام شيوخ النصارى.»[٢]

ومما يدل على أن إنجيل المسيح ليس واحداً من هذه الأناجيل الأربعة :

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص٥٤، ٥٥ بتصرف ط٣.

(٢) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ٤٨. الناشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ.

« أن علماء النصرانية يقررون بأن الأناجيل الأربعة المتداولة، قد تم إختيارها من بين حوالى مائة إنجيل، كانت منتشرة بين النصارى، فى القرن الرابع الميلادى، ومن المعلوم بالضرورة، أن عيسى - عليه السلام - قد أتى بإنجيل واحد، وهم لايستطيعون أن يتنبؤا أن أحد الأناجيل الأربعة مطابق بنصه ومعناه للإنجيل الذى جاء به المسيح.

لذا فمن المحتمل أن يكون الإنجيل الأصلى الحقيقى واحداً من الأناجيل التى زعموا أنها زائفة، وأسقطوها، وإذا وجد الإحتمال ، بطل الإستدلال.»(١)

وسوف نرى فيما بعد، أن بعض الكتاب المسيحيين ينتقدون هذه الأناجيل، ويثبتون عدم صحتها، فهى إذن لاتمثل فى نظرهم الإنجيل الصحيح الذى أوتيه عيسى عليه السلام.

وننتهى مما قدمناه إلى أن المسيح - عليه السلام - كان له إنجيل مكتوب وأن هذا الإنجيل ليس هو أحد هذه الأناجيل الأربعة التى سنتكلم عنها فيما بعد.

٣ - ضياع إنجيل عيسى - عليه السلام - :

يؤخذ مما قدمناه أن إنجيل عيسى - عليه السلام - كان موجوداً فى حياته وبعد مماته، ولأمر ما ضاع هذا الإنجيل، أو لم يعثر عليه حتى الآن، قد يكون ذلك الضياع يرجع إلى ما تعرض له المسيحيون الأوائل من إضطهاد شديد أضاع ما فى أيديهم وشغلهم عن كتابة شيء غيره بضع عشرات من

---

(١) ابراهيم السليمان الجبهان : ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ٤١ ط ١.

السنين، بعد رفع المسيح - عليه السلام - ظلوا ينتظرون خلالها رجوعه الثانى* الذى وعدوا به، إلى أن يئسوا من هذا الرجوع، فكتبوا ما كتبوه من الأناجيل فيما بعد.

يقول أحمد عبد الوهاب فى كتابه (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية):

«لقد كان الإضطهاد اليهودى للمسيحيين شديداً، ثم ما لبث هؤلاء أن تعرضوا للمذابح على أيدى حكام روما، وسواء كانت اليد الخفية وراء ذلك الإضطهادالرومانى هى يد اليهود، - كما هو شائع - عما حدث فى روما تحت حكم نيرون، أم لم تكن، فالذى يعنينا هو أن تلك السنوات الأولى الهامة الحاسمة فى تشكيل العقيدة المسيحية، قد اتسمت من قبل السلطات المسئولة - سواء كانت دينية يهودية أو دنيوية - باضطهاد دموى، ومطاردات وتشريد، وهو الأمر الذى ساعد على صد الطائفة المسيحية الجديدة عن الإهتمام بالكتابة، وأعاقها عن التسجيل، فاكتفت بمعتقداتها فى المجيء الثانى، وقعدت تنتظر الخلاص الوشيك.

ولكن لما أوشك الجيل الأول الذى عاصر المسيح على الإنقراض، وتباعد الأمل فى تحقيق المجيء الثانى، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات، وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثانى فى المسيحية.(١)

وهكذا بدأت كتابة الأناجيل بعد عشرات السنين، من رحيل صاحب الدعوة، وقتل وتشريد أغلب تلاميذه، ومريديه، وسط أجواء تغلفها الكآبة،

---

* الرجوع الثانى أو المجيء الثانى : أى عودة المسيح ثانية إلى الأرض فى مجده.

(١) ليس هذا صحيحاً، فكتابة الأناجيل بدأت على يد أفراد من الجيل الأول، كما سيأتى توضيحه بعد قليل.

ويسودها الإضطراب.»(١)

٤-كثرة الأناجيل فى القرون المسيحية الأولى :

ولقد نشط المسيحيون فيما بعد فى كتابة الأناجيل، والرسائل، الدينية التى تحكى حياة المسيح، وأقواله، حتى كان لديهم «فى القرنين الأول والثانى الميلاديين أناجيل كثيرة، غير الأناجيل الأربعة (المعروفة)، وكان لكل فرقة من فرقهم إنجيلها أو أناجيلها الخاصة التى تعتمد عليها، وتغفل ما عداها من الأناجيل، أو تحكم بزيفها وبطلانها. فكان ثمة إنجيل ينسب لمتّى غير إنجيله، وإنجيل ينسب لبرنابا، وإنجيل ينسب للحوارى يعقوب، وإنجيل ينسب للحوارى توماس ... وإنجيل ينسب للقديس نيكوديم*، وإنجيل يقال له : إنجيل الإثنى

---

(١) ص٥٠، ٥١.

* نيكوديم هو : «أحد رؤساء اليهود فى عهد المسيح ، وقد لقى المسيح، وجرت له معه مناقشات فى الشؤون الدينية، وآمن برسالته، وقد كتب إنجيله باليونانية، ويقصّ فيه بعض تفاصيل لم تذكرها الأناجيل الأخرى.

انظر الدكتور علي عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ٨٠، ٨١ ط١.

ديصان هو : «أحد الأساقفة بالرها، ومن القائلين بالإثنين، ظهر فى أيام مرقس أوريليوس قيصر، كان يسمى الشمس أبا الحياة، والقمر أم الحياة. ويقول : إنه فى أول كل شهر تخلع أم الحياة النور الذى هو لباسها وتدخل على أبى الحياة فيباشرها، فتلد أولاداً يمدّون العالم السفلى بالنمو والزيادة».

انظر : بطرس البستانى : دائرة المعارف جـ ١ ص٤٨٣.

«مانى بن فاتك (٢١٥ ــ ٢٧٦) مؤسس مذهب المانوية القائل بمبدأين : مبدأ الخير، ومبدأ الشر، النور والظلام، حيث كان أبوه فارسياً ينتمي إلى شيعة ثنائية فأنشأه عليها.»

انظر منجد الأعلام ص٦٣١ ط٢٦ وكذلك يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٨.

مرقيون أو مرسيون «كاتب مسيحي. نشر كتاب «المتناقضات» أظهر فيه الفرق بين =

عشر، وإنجيل اشتهر باسم (التذكرة)، وإنجيل كان يسمى إنجيل العبريين أو الناصريين، وإنجيل كان يسمى إنجيل المصريين، وكان لكل من أتباع ديصان* وأتباع مانى*، وأتباع مرقيون* أو مرسيون، وأتباع أبيون*، إنجيل خاص يختلف عن أنجيل من عداهم.»(١)

«ولم يكتب شيء من هذه الأناجيل في زمان المسيح، ولكن بعد انتهاء أمر المسيح بالخاتمة التى انتهى بها، قام بعض التلاميذ، وتلاميذهم، وتلاميذ تلاميذهم، وكتبوا قصصاً كثيرة، وكل واحد يسمى ماكتبه (إنجيلا)، حتى لقد قيل :إن الأناجيل بلغت نيفا ومائة إنجيل.»(٢)

ويسجل (ول ديورلنت)* هذه الظاهرة، ظاهرة كثرة الأناجيل فى القرون المسيحية الأولى، قبل إختيار الأناجيل الأربعة المعروفة فيقول :

= العهدين (القديم والجديد)، ولم يعترف إلا بإله العهد الجديد ...» منجد الأعلام ص٦٥٦ ط٢٦.

أبيون «فقيه لغوى، أسكندرى، عاش فى القرن الأول الميلادى، واشتهر ببحوثه عن هوميروس، وبرسالته التى هاجم فيها اليهود مهاجمة عنيفة، مما حدا بالمؤرخ اليهودى (يوسيفوس) إلى كتابة رسالة للرد عليه. ورغم أنه وفرقته قبلوا المسيح إلا أنهم قبلوه بمعني المهدى المنتظر، ورفضوا الإقرار بالوهيته وولادته العذرية. «وتذكر بعض المراجع : أنه لايوجد شخص بهذا الإسم.

انظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص٤٤.

وانظر كذلك : الدكتور عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٤٣.

وانظر أيضاً : ص؟؟؟ من هذه الرسالة.

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٨٠، ٨١ ط١.

(٢) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٣٩٩.

* «مؤرخ أمريكى حاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩١٧م، وله مؤلفات عديدة، أشهرها : قصة الفلسفة وقصة الحضارة .....

ويعتبر مؤلف قصة الحضارة من أعظم أعماله». الموسوعة الأمريكية جـ٩.

«أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة، ذلك أن الأناجيل الأربعة التى وصلت إلينا، هى البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيرا، كانت فى وقت ما منتشرة بين المسيحيين فى القرنين الأول والثانى.»(١)

٥ - اختيار الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية* :

ولقد أجمع على هذا الذى ذكرناه عن الأناجيل مؤرخو المسيحية، وأنها ظلت رائجة بين المسيحيين، حتى انعقد مؤتمر نيقية سنة (٣٢٥م) فاختار من بينها الأناجيل الأربعة المعروفة، وألغى جميع ما سواها من الأناجيل، واعتبرها أناجيل كاذبة.

وفيما يلى كلمة موجزة عن كيفية اختيار هذه الأناجيل فى مجمع نيقية :

ونعنى بمجمع نيقية : المؤتمر المسيحى العام، الذى دعا إليه الإمبراطور الرومانى (قسطنطين) سنة (٣٢٥م)، وكان قد تظاهر بالنصرانية سنة (٣٢٤م)، وذلك للفصل فى المنازعات، التى كانت تدور بين الطوائف المسيحية حول العقائد والأناجيل.

« والمجامع نوعان :

١- مجامع عامة أو مسكونية - على حد تعبيرهم - وهى تجمع رجال

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ترجمة محمد بدران ص٢٠٦ ط٣

* نيقية : (Nikaia) مدينة قديمة فى آسيا الصغرى. وهى المدينة التى إجتمع بها آباء الملة المسيحية عام ٣٢٥م، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر أباً، وهو أول مجمع لهم فيها. وبه أظهروا (الأمانة) التى هى أصل دينهم، وقد أصبحت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية عام ١٢٠٤ ـ ١٢٦١م.

انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ص٣٣٣.

الكنائس المسيحية في كل أنحاء العالم.

٢- مجامع مكانية، وهي التي تعقدها كنائس مذهب، أو أمة في دوائرها الخاصة، إمّا لاقرار عقيدة، أو رفض عقيدة أخرى.»(١)

والأهمية القصوى في نظر المسيحيين والدارسين للمسيحية، إنما هي للمجامع المسكونية أو العامة؛ لما كان لها من أثر في تاريخ الديانة المسيحية.

ونحن في هذا المقام لانعنى - من بين هذه المجامع العامة - إلا بأولها، وهو مجمع نيقية؛ لأنه المجمع الذي تم فيه اختيار الأناجيل الأربعةالمعروفة، واعتمادها دون ماسواها من الأناجيل.

ويرجع انعقاد هذا المجمع إلى سببين :

سببعام : وهو اختلاف الطوائف المسيحية الأولى حول شخصية المسيح، أهو رسول من عند الله، أم له بالله صلة خاصة، أكبر من كونه رسولا.

وسببخاصومباشر : وهو مادار من الخلاف بين أريوس، وبين رجال كنيسة الأسكندرية. فيما كان يذهب إليه من التوحيد، والقول بأن عيسى مخلوق وليس بإله. وقد انتهى المجمع المذكور من مناقشاته، إلى تقرير ألوهية المسيح - عليه السلام - واختيار الأناجيل الأربعة المعروفة، التي تتضمن تلك العقيدة (المنحرفة)، مع إحراق ما عداها من الأناجيل، باعتبارها أناجيل زائفة.

ونرجيء الحديث عن تفاصيل الخلاف الذي دار بين المسيحيين، حول عقيدتهم في المسيح، والتي كانت سبباً في دعوة قسطنطين لألفين وثمانية

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص١٢١ ط٣ بتصرف قليل جداً.

وأربعين من رجال الكنيسة، للبتّ فى هذه الخلافات العقدية بين الفرق المسيحية.

كما نرجيء الكلام عن كيفية إقرار هذا المجمع للعقيدة المسيحية التى انتهى إليها إلى موضعه من الفصول التالية.

فالذى يهمنا هنا بالدرجة الأولى من قرارات هذا المجمع، ما انتهى إليه من اختيار الأناجيل الأربعة المعروفة. ففى هذا المجمع تم اختيار أناجيل : (متّى ومرقس ولوقا ويوحنا). من بين عشرات الأناجيل التى كانت منتشرة بين الطوائف المسيحية، خلال القرون الثلاثة الأولى، فأصبحت هى الأناجيل المعتمدة لدى المسيحيين دون ما سواها، بل إن الكنيسة حرّمَت الإطلاع على الأناجيل الأخرى، وأهدرت قيمتها. وهذا ما تحدّث عنه الكاتب المسيحى، الذى هداه الله للإسلام (عبد الأحد داود الأشورى) حيث يقول :

«إن هذه السبعة والعشرين سفراً، أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية* كتّاب لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة، باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية، إلاّ فى القرن الرابع، بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة (٣٢٥م)، لذلك لم تكن أى من هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة، وجميع العالم العيسوى قبل التاريخ المذكور، ثم من الجماعات العيسوية فى الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحاني، ومعهم عشرات الأناجيل، ومئات الرسائل إلى نيقية، لأجل التدقيق، وهناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة، من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلاً، وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين** من

---

* يعنى بذلك كُتّاب الأناجيل الأربعة، وكُتّاب بقية رسائل العهد الجديد.

** ماعدا أعمال الرسل ورؤيا يوحنا فهما سفران.

رسائل لاتعد ولاتحصى، وصودق عليها، وكانت الهيئة التى اختارت العهد الجديد هى تلك الهيئة التى قالت بألوهية المسيح، وكان اختيار كتب العهد الجديد، على أساس رفض الكتب المسيحية، المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية، واحراقها كلها.»(١)

وهكذا يتضح لنا، أن ما وافق أهواء القوم أقروه، وما خالفها رفضوه، فاختيار المجمع لهذه الأناجيل الأربعة دون ما سواها، إنما هى عملية وافقت هوىً فى أنفسهم، فهى الوحيدة من بين الكثرة الساحقة من الأناجيل التى تثبت ألوهية المسيح، التى أقرها المجمع، وفرضها على الناس فرضا، بقوة السلطان وجبروته.

وكان ذلك بمثابة إيذان باعتناق الوثنية الباطلة، بدلا من المسيحية الصحيحة الحقة بصفة رسمية.

يقول ول ديورانت فى ذلك :

«وصدر مرسوم امبراطورى، يأمر بإحراق كتب أريوس جميعها ويجعل إخفاء أى كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام.»(٢)

«وكان فى الوقت نفسه إيذانا، باستبدال المسيحية بالوثنية، وجعلها المظهر الدينى، والعضد القوى، للإمبراطورية الرومانية.

---

(١) الإنجيل والصليب ص١٤. وعن مجمع نيقية وقراراته : انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ص٢٢ ـ ٢٤.

وكذلك ابن القيم : هداية الحيارى ص١٧٤، ١٧٥.

وكذلك إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢ ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم١١ ص٣٩٦ ط٣ ترجمة محمد بدران.

وهكذا بدأت حضارة جديدة، مؤسسة على دين جديد، تقوم على أنقاض ثقافة مضعضعة، وعقيدة محتضرة.»(١)

وفيما يلى من صفحات، سنرى أن الأمر لم يقتصر على اختيار الأناجيل الأربعة فقط، بل حتى هذه الأناجيل الأربعة لم تسلم من التحريف.

ب - الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى

قلنا فيما سبق : إن مجمع نيقية قد انتهى إلى اختيارالأناجيل الأربعة، المنسوبة إلى متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، واعتمدها دون ما سواها.

وذكرنا الأسس التى اعتمد عليها المجمع فى اختيارها، وإهدار قيمة ما عداها.

ولنأخذ الآن فى التعريف بهذه الأناجيل، وكاتبيها، قبل أن نضعها موضع النقد والتمحيص.

وسنبدأ الحديث عن الأناجيل الأربعة المعتمدة، بإنجيل متّى، ثم مرقس، ثم لوقا، ثم يوحنا، وذلك تمشياً مع الترتيب الموجود حالياً فى الكتاب المقدس*.

---

(١) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

* يقال إن إنجيل (مرقس) هو أقدم الأناجيل تاريخاً، وحيث إن (متّى) رتّب إنجيله حسب الموضوعات، وليس حسب الوقائع، فجمع أعمال المسيح وأقواله حسب مشابهاتها، فبدأ النظام الجديد كأنه تتميم للنظام القديم، وليس ناسخاً له، وبذلك استحق إنجيله أن يوضع فى صدر العهد الجديد، لكونه حلقة الإتصال بين العهدين(القديم والحديث)، وبين الناموس والإنجيل.

انظر الدكتور عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٠٠.

١ - إنجيل متّى :

(متّى) إسم مشتق من الإسم العبرى (شيتا)، الذى معناه، (عطية يهوه)، أى عطية الله، ويدعى لاوى بن حلفى، وهو أحد الحواريين الإثنى عشر، وكان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب* للرومان، فى كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين. وقد اختاره المسيح تلميذاً له، حيث جاء فى الإصحاح التاسع من إنجيل (متّى) :

«وبينما كان يسوع سائراً، رأى شخصاً جالساً، عند مكان الجباية اسمه (متّى)، فقال له : اتبعنى، فقام وتبعه.»[١]

ولما صعد المسيح إلى ربّه جال (متّى) للتبشير بالمسيحية فى بلاد كثيرة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة، داعياً للمسيحية، مبشرًابها، وكان موطن دعوته - كما يروى مؤرخو المسيحية - هو الحبشة.

ومات فى سنة (٧٠م) ببلاد الحبشة، على أثر ضرب مبرح، أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة.

وفى رواية أنه طعن برمح، فى سنة (٦٢م) بالحبشة.[٢]

---

* جباة الضرائب هم العشّارون الذين كانوا يأخذون عُشر المحاصيل وغيرها، ضريبة لبيت المال، وكان اليهود يزدرون الجباة، ويحتقرونهم؛ لما تنطوى عليه مهنتهم من الظلم والعنف.

(١) فقرة ٩.

(٢) انظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤١، ٤٢ ط٣.

وكذلك: الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٥٧ ط١.

وكذلك : عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٠٠.

وقد تضاربت الآراء، واختلفت، بخصوص اللغة الأصلية للإنجيل – الذى كتبه متّى – وحول من قام بترجمته، على النحو الآتى :

١ – ذهب أكثر الكتاب إلى أن (متّى) كتب إنجيله أولاً بالعبرية أو الآرامية التى كانت لغة فلسطين فى تلك الأيام، وذلك لأنه كتبه لليهود؛ يبشّر بالمسيحية بينهم؛ وليقرأه مؤمنوهم بها. قال جيروم* :

«إن متّى كتب الإنجيل باللسان العبرى، فى أرض يهودية؛ للمؤمنين من اليهود.»

وذكر ابن البطريق** : «إن متّى كتب إنجيله بالعبرانية فى بيت المقدس.»(١)

ويقول جرجس زوين*** اللبنانى فيما ترجمه عن الفرنسية :

---

* جيروم هو أحد الآباء الذين كُلفوا فى القرن الخامس الميلادى، بوضع نظام علمى للاهوت، يقنع المثقفين، الذين ألفوا التفكير الكلاسيكى.

راجع Ou Gheane of crt Tome 111 p. 18

نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٣ ط٢.

** سعيد بن البطريق (٨٧٧ – ٩٤٠م) من أشهر مؤرخى المسيحية، عرف عند الإفرنج بإسم (أوطيخيوس). بطريرك الأسكندرية، كان طبيباً ومجادلاً ومؤرخاً. له مختصر فى التاريخ العام سماه (نظم الجوهر). وهو الكتاب الذى اطلع عليه ابن تيمية واستعان به فى سرد تاريخ النصرانية فى كتابه (الجواب الصحيح)، كما ردّ على بعض ماورد فيه من الناحية العقلية. انظر : منجد الأعلام ص٣٥٦ ط٢٦.

(١) قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من ذوى الإختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٣٣ وكذلك د : رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٤٩ ط٢

*** هو جرجس بن سمعان (١٨٣٠ – ١٨٩٢م)، كاتب صحفى، ولد فى قرية يحشوش، بلبنان، حرر فى مجلة المجمع الفاتيكانى. وجرائد التبشير، ولسان الحال وغيرها. من آثاره :

الرد القويم على ميخائيل مشاقة. انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين جـ٣ ص١١٩.

«ذهب بانتيوس ليكرز بالإيمان المسيحى في الهند، فوجد إنجيلاً لمتّى الرسول، مكتوباً بالعبرانية، فجاء به إلى الأسكندرية، وبقى محفوظا في مكتبة قيصرية إلى أيام القديس أبرينموس، لكن هذه النسخة العبرانية قد فُقدت، وبعد فقدها ظهرت ترجمتها فى اليونانية.»(١)

٢ - وذهب آخرون : إلى أنه كتب أصلاً باليونانية، كما هو الآن، وليست النسخة اليونانية ترجمة لغيرها، بل هى النسخة الأصلية.يقول الدكتور بوست*: «أن هناك من يقول : إنه كتب باليونانية(٢). ثم يرجح أنه ألف باليونانية مخالفاً بذلك رأى الكثرة فى كتابته بالعبرانية.»(٣)

وسواء كتب إنجيل متّى بالعبرية أو اليونانية، وسواء كانت النسخة اليونانية نسخة أصلية، أو مترجمة، فهذا لا يغيّر من طبيعة الموضوع بالنسبة لنا. فالنسخة العبرية مفقودة فى نظر من يقول بها، ولاتوجد إلا النسخةاليونانية، التى ترجمت إلى اللغات الأخرى، وإلى هذه النسخة، وإلى

---

(١) انظر الشيخ : محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢ ط٣. دون أن يعين إسم الكتاب ورقم الصفحة التى استقى منها النص.

* هو جورج بوست (١٨٣٨ ـ ١٩٠٩م) طبيب أمريكى مستشرق ولد فى نيويورك وتعلّم بها، ورحل إلى سوريا، وتعلّم العربية، فلما أنشئت الجامعة الأمريكية فى بيروت عيّن أستاذاً للطب والنبات فيها، أقام ببيروت حتى توفى بها، له مؤلفات بالعربية منها : «نبات سوريا وفلسطين ومصر «ومبادىء علم النبات»
وقد أعدّ "فهرس الكتاب المقدس" و" معجم الكتاب المقدس". انظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص٤٣٤.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢، ٤٣ ط٣
وكذلك الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة ص٦٥ ط١.
وكذلك أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٤٩.

(٣) الشيخ محد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢، ٤٣ ط٣.

ترجماتها، يرجع المتدينون والباحثون على السواء، وإن كنّا نلاحظ - كما قدمنا - أنه ليس هناك ما يؤكد أن متّى كتبها بهذه اللغة؛ لما في ذلك من المخالفة، لما تذهب إليه الكثرة الغالبة من المسيحيين.

«ويبدو أن آباء الكنيسة القديمة كانوا يروْن أن (متّى) هو الذى ترجم إنجيله إلى اليونانية، ولهذا كانوا يستشهدون به».(١)

وإن كنت لاأرى ما يؤكد أن (متّى) هو الذى ترجم إنجيله بنفسه، على القول بأنه كتبه أولاً بالغة العبرانية، فقد فُقدت هذه النسخة العبرية، لكن متى فُقدت؟ هل فُقدت قبل موت (متّى) فيكون هو الذى ترجمها إلى اليونانية، أو أمر بترجمتها؟

أم فُقدت بعد موته، ويكون غيره هو الذى ترجمها إلى اليونانية قبل فَقْد النسخة العبرية؟

أياً كان الأمر، فقد ضاعت النسخة العبرية، ولم يبق إلاّ النسخة اليونانية، سواء كانت ترجمة (متّى) نفسه، أو ترجمة غيره، وإن كان ذلك الـ(غير) لم يعرف حتى الآن، ولم تعرف أحواله، فهى ترجمة مفقودة الإسناد.

يقول صاحب إظهار الحق :

«الإنجيل الذى ينسب إلى متّى الآن، وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم، ليس من تصنيفه يقيناً، بل ضيعوه بعدما حرّفوه، لأن القدماء المسيحيين كافة، وغير المحصورين من المتأخرين، على أن إنجيل (متّى) كان باللسان العبرانى، وقد ضاع وفُقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية، والإنجيل الموجود الآن

---

(١) قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوى الإختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٣٣ ط٢.

ترجمته، ولايوجد عندهم إسناد هذه الترجمة، حتى لم يعلم إسم المترجم أيضاً إلى هذا الحين، كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم فضلاً عن علم أحوال المترجم.»(١)

ويرى ابن البطريق، أن يوحنا – صاحب الإنجيل – هو الذى ترجم إجيل (متّى) إلى اليونانية، لكنه لم يقدم لنا الدليل، على صحة قوله هذا، مخالفاً فيه قول الغالبية من المؤرخين.»(٢)

أما من ناحية تاريخ التدوين والترجمةلهذا الإنجيل، فنجد الفرق شاسعاً، والإختلاف كبيراً، والتضارب فى الأقوال والآراء، أكثر بكثير من الإختلاف فى لغة هذا الكتاب ومترجمه.

يقول ابن البطريق :

إن إنجيل متّى دوّن فى عهد قلوديوس قيصر الرومان(٣)

ويستنتج الشيخ محمد أبو زهرة، من كلام ابن البطريق هذا، احتمالات عدة، فى السنة التى ألّف فيها (متّى) إنجيله فيقول :

يلاحظ أن ابن البطريق، لم يعيّن السنة التى كتب فيها (متّى) إنجيله، بل عيّن الملك الذى كتب فى عهده، وهذا الملك لم يكن هو الذى عاصر المسيح، ولا الذى يليه، بل الذى عاصر المسيح، وصلب – على زعمهم – فى عهده

---

(١) رحمة الله الهندى. جـ١ ص٤٢٣.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢ ط٣.
وكذلك : الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة ص٦٥ ط١.
وكذلك : د. عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٠٠.

(٣) المراجع السابقة نفسها وكذلك الصفحات. وارجع إلى أوّل مذكور.

طيباريوس* وولى من بعده غابيوس، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر، ثم جاء من بعده قلوديوس، وملك أربع عشرة سنة، فيحتمل تدوين هذا الإنجيل أن يكون فى آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح، ويحتمل أن يكون فى أول أوْ آخر العشرة الخامسة، أوْ أوائل السادسة، فكلام ابن البطريق يحتمل كل هذا.(١)

ويقول جون فنتون (عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد فى إنجلترا) :

ان إنجيل (متّى) كتب فى حوالى الفترة من ٨٥ إلى ١٠٥م.(٢)

ويذكر جرجس زوين اللبنانى : «أن (متّى) كتب بشارته فى أورشليم سنة (٣٩م) للمسيح.»(٣)

وتقول دائرة معارف القرن العشرين :

«إن إنجيل متّى هو أقدم الأناجيل الأربعة، كتب بعد عيسى – عليه السلام – بثلاثين سنة فى أورشليم باللغة العبرية.»(٤)

«وذهب البعض إلى أن إنجيل متّى كتب قبل خراب أورشليم.

وذهب بعض القدماء إلى أنه كتب فى السنة الثامنة بعد الصعود.

---

* طيباريوس قيصر : هو الأمبراطور الرومانى الثانى ولد سنة ٤٢ق.م. وتوفى سنة ٣٧م. أنظر قاموس الكتاب المقدس. لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٥٨٤ ط٢.

(١) الشيخ محمد أبوزهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢ ط٣.

وكذلك: الدكتور: عبد المنعم الحفنى: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٠٠.

(٢) تفسير أنجيل متّى ص١١. نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب : كتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٥٩ ط١.

(٣) الشيخ محمد أبوزهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢ ط٣.

(٤) دكتور محمد فريد وجدى جـ١ ص٦٥٥ مادة (انج).

وآخرون إلى أنه كتب فى الخامسة عشر.

ويظن البعض أنه كتب سنة ٦٠، ٦٥م.»[١]

ويقول هورن* :

«ألّف الإنجـيل الأول سنة ٣٧، أو سنة ٣٨، أو سنة ٤١، أو سنة ٤٣، أو سنة ٤٨، أو سنة ٦١، أو سنة ٦٢، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من الميلاد.»[٢]

ويقول صاحب ذخيرة الألباب** :

«إن متّى كتب إنجيله فى السنة الواحدة والأربعين للمسيح.»[٣]

وهكذا لم يسلم هذا الإنجيل من الإختلاف فى تاريخ كتابته،كما لم يسلم – قبلُ – من هذا الإختلاف حول لغته التى كتب بها، وحول من قام بترجمته، أو التاريخ الذى تمت فيه هذه الترجمة.

٢ – إنجيل مرقس :

ومرقس إسمه يوحنا، أما كلمة مرقس فهى لقب له[٤]، وهى إسم لاتينى،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس/ لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٣٣ ط٢

* هو: فيليب دى مونتورنسى (١٥١٨ – ١٥٦٨م) هولندي الأصل، اشترك مع (أجمونت) فى الاحتجاج على أعمال أسبانيا فى هولندا، أعُدم بعد محاكمة غير نظامية. انظر محمد شفيق غربال. الموسوعة العربية الميسرة ص١٩١٥.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ٤٣ ط٢.

** هو محمد بن عبد النبى النيسابورى الشيعى الأخبارى.

(٣) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٤) أعمال الرسل ١٢ : ١٢، ٢٥ وكذلك الإصحاح ١٥ : ٣٧ من نفس السفر.

معناه (المطرقة)[١].

وهو من أوائل الذين آمنوا بالمسـيح، وأجـابوا دعـوتـه، لكنه لم يكن من الحواريين الإثنى عشر، الذين اختصّهم المسيح بالزلفى إليه.

وقد جعله المسيح من بين السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس – في اعتقادهم – من بعد رفع المسيح، وأُلهموا بالتبشير بالمسيحية، كما أُلهموا مبادئها[٢].

وأصله من اليـهـود القـاطنين في شـمـال افـريقـيـا، ثم هاجـر أبواه الى فلسطين، وأقاما في أورشليم – وهو ابن أخت برنابا كما جاء في رسالة بولس الى أهل كولوسي[٣]، وهو أول من دعا الى المسيحية في مصر، وأسس فيها بطرياركية الأسكندرية، وهو ينكر ألوهية المسيح، واستمر بمصر الى أن ائتمر به الوثنيون، فسجنوه، وعذبوه، وقتلوه، وكان ذلك سنة ٦٢م، وقيل سنة ٦٧م[٤].

وفيما يتعلق بمدى صحة نسبة إنجيل مرقس إليه، فإنّ الأمر يدور بين قولين :

---

(١) قاموس الكتاب المقدس/ لنخبة من نوى الإختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٥٣ ط٢.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٤ ط٣.

(٣) ٤ : ١٠.

(٤) انظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٥ ط٣.

وكذلك : الدكتور على عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٦٢ ط١.

وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٣ ط٢.

الأول :

يذهب ابن البطريق إلى أن بطرس – رئيس الحواريين – هو الذى كتب الإنجيل، ونسبه إلى مرقس. يقول فى ذلك :

«إن بطرس رئيس الحواريين هو الذى كتب إنجيل مرقس، فى مدينة رومية، ثم نسبه إلى مرقس.»(١) أى أن مرقس ليس هو الكاتب الحقيقى للإنجيل المنسوب إليه، ولاندرى لماذا يفعل بطرس هذا؟ ولماذا لاينسب الإنجيل إلى نفسه إذا كان هو الذى كتبه؟

أما القول الثانى :

فهو قول «ايرينيوس» – أحد آباء الكنيسة الأولين – وهو أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس* (٢).

ومعنى ذلك :

أنه هو كاتبه الحقيقي، وليس لغيره دخل فيه، وهذا هو الذى يجرى عليه

---

(١) انظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٥ ط٣.
وكذلك : الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٦٢ ط١.
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٢ ط١.

* قتل بولس سنة ٦٧ أو سنة ٦٨م حسبما يذكر ذلك صاحب قاموس الكتاب المقدس (ص١٧٧) ط٢. أما بطرس فقد وصف المؤلفون كيفية سجنه وصلبه بالتفصيل، غير أنه لايستطيع أحد تأكيد أين ومتى كان ذلك بالضبط.
ويقال : إن بطرس قتل عام ٦٥م. انظر الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٥ ط٢.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٦ ط٣.

العمل بين المسيحيين.

أما من ناحية اللغة التى كتب بها إنجيل مرقس، فقد اتفق المسيحيون على أنه كتب باللغة اليونانية، وعليه تهميشات باللاتينية، ولم نر أحدا منهم ناقض ذلك.

وقد أكد ذلك صاحب قاموس الكتاب المقدس وغيره من كتاب المسيحية.(١)

ولو نظرنا إلى تاريخ التدوين لهذا الإنجيل، لوجدنا أن الكُتّاب المسيحيين قد اختلفوا فى زمن تأليف إنجيل مرقس على أقواله :

١ - فمنهم من يقول : انه أُلّف فى زمن بطرس، وبولس، ولكنهم لايتفقون على عام معين.

يقول صاحب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين :

قد زعم أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس عام ٦١م.

ويقول المستر (هورن) فى تفسيره المجلد الرابع :

أُلّف الإنجيل الثانى سنة ٥٦، أو ما بعدها، إلى سنة ٦٥م، والأغلب أنه أُلّف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣م.(٢) وهى السنوات التى عاشها بولس وبطرس.

---

(١) انظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٥ ط٣
وكذلك الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٤، ١٥٥.
وكذلك قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من نوى الإختصاص من اللاهوتيين ص٨٥٥ ط٢.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٥ ط٣.
وكذلك الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٤، ١٥٥.

٢ – ومنهم من يقول : أنه أُلّف بعد موتهما (أي بطرس وبولس) وهؤلاء أيضاً لايتفقون على عام معين(١) فقد قال ايرينيوس :

«بعد أن نادى بطرس وبولس بالإنجيل فى روما، وبعد انتقالهما أو (أوخروجهما)، سلم لنا مرقس كتابه، مضمون ما نادى به بطرس.»(٢)

«وإذا كان الأمر كذلك، فربما كتب هذا الإنجيل بين عام ٦٥م وعام ٦٨م.»(٣)

ويرى الدكتور فريدريك كلفتن جرانت* : أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل، إذ كُتب بعد رحيل المسيح بنحو ٣٥ عاما، أى عام ٦٨ تقريبا.(٤)

وهناك حقيقة مثيرة فى إنجيل مرقس ذكرها (وليم باركلى) مفسر هذا الإنجيل، وهى :

«أن إنجيل مرقس يتوقّف فى نسخه الأصلية إلى حد الإصحاح السادس عشر، فقرة (٨). أما الفقرات الباقية من (٩ـ٢٠) فى نفس الإصحاح فليست

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية ص٤٥ ط٣. انظر كذلك الدكتور رؤوف شلبى / ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٤، ١٥٥.
وانظر كذلك الدكتور على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٦٥ ط١.

(٢) لنخبة من ذوى الإختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٥ ط٢.

(٣) المرجع السابق.

* هو أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الإتحادى بنيويورك. انظر الأناجيل (أصلها وتطورها) ص٢٠، ٢١ نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٣١ ط١.

(٤) على القول المرجّح بأن رفع المسيح كان سنة ٣٣م.

موجودة فى أقدم النسخ وأصحها، كل ما هنالك هو أنها وجدت مؤخراً فى نسخ أقل قيمة، ومتأخرة فى ترتيبها الزمنى، كما أن أسلوبها اللغوى يختلف عن بقية الإنجيل، حتى أنه يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الإنجيل.

ومن الناحية الأخرى، نجد أنه من غير المعقول أن يتوقف مرقس عند (٨:١٦)، فهى نهاية فجائية تعسفية. ولهذا فأمامنا أحد احتمالين :

الأول : إمّا أن يكون مرقس قد استشهد قبل أن يتم كتابة إنجيله، وهذا بعيد الوقوع.

وإمّا – وهذا أقرب الإحتمالين – أن تكون النسخة الأصلية للإنجيل قد بلي جزؤها الأخير، فلقد جاء وقت أهملت فيه الكنيسة إنجيل مرقس، وفضلت عليه إنجيل متّى ولوقا.

ومن الجائز جداً أن تكون جميع نسخ هذا الإنجيل قد ضاعت، ولم تبق منها سوى نسخة واحدة بلى جزؤها الأخير. فإذا كان الأمر كذلك، فلقد كانت الكنيسة إذن فى خطر فَقْدِ أهم إنجيل كتب عن حياة ابن الله.»[١]

وهكذا نرى أن «افتقار الإنجيل الثانى إلى معرفة صاحبه الذى كتبه والتاريخ الذى كتب فيه ... هذا الإفتقار كفيل بأن يجعل الإنجيل الثانى ليس على درجة من الثبات تجعله كتابا مقدسا.»[٢] بل ذلك مما يقدح فى قدسية هذا

---

(١) تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس) نقله إلى العربية الدكتور القس فهيم عزيز ص١٤، ١٥ بتصرف قليل.

وانظر كذلك : موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٨٦.

وعن الحاقية هذه الفقرات فى أنجيل مرقس انظر ص؟؟؟/؟؟؟ من هذه الرسالة.

(٢) الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٦ ط٢.

الإنجيل وأنه بإلهام من الله.

٣ - انجيل لوقا :

« لوقـــا اسم لاتيــني، ربمـا كـان اخـتـصـارا لـ (لوقـانــوس) أو لوكيـوس)[١].

ولد في أنطاكـيـة، ودرس الطب، وزاول مـهنتـه بنجاح، وهـو ليس من الحـواريين، ولا من السبعين المختـارين، الذين نزل عليهم الروح القدس ـ في زعمهم ـ وإنما هو تلميذ بولس، ورفيقه في أسفاره، وأعماله، وهذا محل اتفاق من المسيحيين[٢]، وهو كاتب الأنجيل الثالث، وأعمال الرسل ـ حسب اعتقادهم ـ، وقد كتب أنجيله الى شخص شريف، يدعي (ثاوفيلس)*[٣]. وتؤكد الفقرات الأولى من الاصحاح الأول لهذا الانجيل أن لوقا كتب انجيله الى رجل يسمى (ثاوفيلس)، تقول الفقرات :

«إذا كانوا كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين، وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شيء من الأول، أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز (ثاوفيلس).

---

(١) قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من ذوى الإختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٢٢ ط٢.

(٢) انظر : الإصحاح الرابع من رسالة بولس إلى أهل كولوسى، والإصحاح الرابع من رسالة بولس الثانية إلى أهل تيموثاوس، ورسالة فليمون. ففى هذه الرسائل ما يدل على رفقة لوقا لبولس فى أسفاره وأعماله.

* ثاوفيلس هو أحد المسيحيين من أصل أممي وهو من عظماء الروم.

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص٨٢٢ ط٢.

وانظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٦ ط٣.

وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٧ ط٢.

لتعرف صحة الكلام الذى علمت به»[1].

«وقد أوضح ابن البطريق في تاريخه، أن المراد من لوقا هو الأنطاكي الطبيب»[2]. ولكن الدكتور بوست يذهب الى «أن لوقا ـ صاحب الانجيل الثالث ـ كان رومانيًا، نشأ في ايطاليا»[3].

«وبيّن أن الذين يقولون إنه أنطاكي، وهموا ذلك، أو ظنوه من اشتباهه بلوكيوس* »[4].

وهكذا نراه مجهول النسبة الى موطن معين. فمن قائل : إنه أنطاكي، ولد بأنطاكية. ومن قائل : إنه روماني، ولد بايطاليا.

أما من ناحية الصناعة : فنرى أن كون (لوقا) طبيبًا، لم يكن محل اتفاق من المسيحيين، بل «من المؤرخين المسيحيين من يقرر أن لوقا كان مصورًا، ولم يكن طبيبًا»[5].

---

(١) ١ : ٤

(٢) انظر الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٦ ط٣.
وكذلك الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٧ ط٢.

(٣) الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٧ ط٢.

* لوكيوس المشار إليه هو أحد القناصل الرومان فى سنة (١٣٩ ق.م)
انظر قاموس الكتاب المقدس ص٨٢٤.

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٧.

(٥) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٧.
وانظر كذلك : الدكتور أحمد شلبى : المسيحية ص٢١٢ ط٥.
وكذلك : الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٣٦.
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص٥٧ ط٢.

أما الدكتور موريس بوكاى* فيرى أن «لوقا أديب وثني وآمن بالمسيحية، واتجاهه الي اليهودية يتضح مباشرة»(١).

ويؤكد ذلك الأب كانينجسر (R.P.Kannengiesser) - أستاذ بمعهد الكاثوليكي بباريس - فيقول :

«لوقا هو أكثر كُتّاب الأناجيل الأربعة ارهافا في الحسّ، وأكثرهم ميلاً للأدب، أنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي»(٢).

إذن كاتب أنجيل لوقا مجهول الصنعة، فمن قائل : إنه طبيب، ومن قائل : إنه مصور، ومن قائل : إنه أديب.

والمسيحيون يختلفون كذلك فالقوم الذين كُتب لهم هذا الإنجيل، بعضهم يقول : إنه كتب لليونان. وهناك من يقول : إن لوقا كتب انجيله للمصريين، لأن (ثاوفيلس) هذا مصري وليس يونانيًا، فهو إذن قد كُتب للمصريين وليس لليونانيين(٣).

---

* د. موريس بوكاى هو طبيب فرنسي، عمل فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية بضع سنوات وعندها اطلع على ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم فذهله ما وجد من توافق تام بينه وبين العلم الحديث وخاصة فى مجال الطب، فاعتنق الإسلام.
ألف كتاب يقارن فيه الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم بالعلم الحديث) ألفه بالفرنسية وترجم الى الإنكليزية والعربية. وسمى: (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة) طبع أربع مرات ونشرته دار المعارف بمصر ودار الكندى ببيروت.
نقلاً عن : سارة العبادي : التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ص ٣٦ ولم تشر إلى المصدر الذي أخذت عنه هذا التعريف.

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٨٧ ط٤.

(٢) انظر : الدكتور موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٨٩.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٨ ط٣.
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٨ ط٢.

إذن كاتب انجيل لوقا – كما ذكرنا – مجهول النسبة، مجهول الصنعة مجهول القوم الذين وجّه اليهم لوقا انجيله.

أما لغة تدوين هذا الإنجيل، فيتفق المؤرخون المسيحيون جميعهم، على أن لغة التدوين التي كتب بها لوقا الإنجيل الثالث هي اللغة اليونانية[1].

أمّا عن تاريخ تدوينه فيقول الدكتور بوست :

« كتب هذا الإنجيل (أي انجيل لوقا) قبل خراب أورشليم*، وقبل الأعمال، ويرجح أنه كتب في قيصرية بفلسطين، في المدة التي كان بولس فيها أسيراً، مابين عام (٥٨) الى (٦٠) من الميلاد، غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك[2].

« وهذا القول معناه : أن (بوست) يرى أن (لوقا) كتب انجيله و (بولس مازال حيا.

ولكن نرى العلامة (لارون) يقرر : أن لوقا قد حرر انجيله بعد موت بطرس وبولس. بينما يرى المستر (هورن) أن الإنجيل الثالث ألف سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤م. على حسب عادته المألوفة في ذكر السنين دون تدليل أو ترجيح»[3].

---

(١) المرجعان السابقان نفسيهما.

* أى قبل خراب أورشليم الثانى ـ حيث أن أورشليم تعرضت للخراب مرتين الأولى على يد بختنصر عام (٥٨٦ ق.م) والأخرى على يد تيطس الرومانى سنة (٧٠م)

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٨ ط٣.

وكذلك الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٨ ط٢.

(٣) المرجعان السابقان. وارجع لثانى مذكور.

وورد في قاموس الكتاب المقدس :

« ان تاريخ كتابه انجيل لوقا يتوقف الى حد كبير على تعيين تاريخ كتابة سفر الأعمال، وقد كتب حوالي سنة ٦٢ - ٦٣م.

لذا فكل الدلائل تشير الى أن هذه البشارة كتبت حوالي عام ٦٠م»[١].

« ويمكن تقدير تاريخ انجيل لوقا بالنظر الى عوامل عدة، فقد استعان لوقا بانجيلي (مرقس ومتى) - كما تقول الترجمة المسكونية - ، فيبدو أنه قد عايش حصار القدس، وتدميرها، تحت جيوش تيتوس عام (٧٠م) وعلى ذلك يكون هذا الإنجيل لاحقا على ذلك التاريخ. ويحدد النقّاد الحاليون غالبا تاريخ تحريره، بما بين (٨٠ -٩٠م)، ولكن هناك معلقين آخرين ينسبونه الى تاريخ أكثر قدما»[٢].

« وقبل أن ننهي كلامنا عن انجيل لوقا المقدس - في زعمهم - تتوارد على الذهن أسئلة عديدة :

* من هو كاتب الإنجيل ؟
* وما هي جنسيته ؟
* وما هي صناعته ؟
* ومن هم القوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل ؟
* وما هو الزمن الذي وقع فيه تدوين هذا الإنجيل ؟

---

(١) لنخبة من ذوى الإختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٢٣.
وانظر كذلك هلال أمين موسى : تفسير إنجيل لوقا ص٤.

(٢) الدكتور موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٨٨.

فلئن أجابوا .. فإنما تكون اجاباتهم قوامها التخمين والحدس الذي تمليه أمزجة أصحاب النحل التي تتبع الهوى والتعصب.

فهل يقال لمثل هذا الإنجيل الفاقد للسند، والصاحب والأصل، إنه كتاب مقدس ؟!»[1].

٤ - انجيل يوحنا :

« يوحنا هو من كبار الحواريين الاثني عشر، وهو ابن زبدي، وزبدي من السابقين الأولين الى المسيحية، ومن كبار دعاتها، وأمه سالومي، قدّيسة شهيرة، وهي على الأرجح أخت مريم أم يسوع، وقد جاءت من زبدي بيوحنا، وأخيه يعقوب الكبير، وهو من كبار الحواريين الاثني عشر أيضا. ويقول التاريخ المسيحي.

إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين، لمّا قدمتهما اليه سالومي، وكان يوحنا أحب الحواريين الى المسيح، وأقربهم الى قلبه؛ لذلك أطلق عليه اسم : (الحواري الحبيب) أو (التلميذ الحبيب)[2].

وقد اتخذ مهنة الصيد حرفة ، - كما هي عادة اليهود، والتي تقضي على أولاد الأشراف أن يتعلموا حرفة ما.

وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين، وهو آخرها تأليفا، وثلاث رسائل من الرسائل الكاثوليكية، ورؤيا

---

(١) الدكتور رؤوف شلبي : ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء جـ١ ص١٥٩ ط٢.

(٢) انظر إنجيل يوحنا ٢٠ : ٢، ١٣ : ٢٣ و١٩ : ٢٦، ٢١ : ٧ و ٢٠.

يوحنا»[1].

« وجمهور النصارى، على أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد»[2].

« لكن هناك من محققي المسيحيين من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري، بل كتبه يوحنا آخر، لايمتّ إلى الأول بصلة روحية، ولم يردّ أحد انكارهم ممن وُجدوا في ذلك الوقت»[3].

وهناك من يقول : « ان الإنجيل الرابع، وكذلك الرسائل المنسوبة إلى يوحنا ... إنما صنّفها شخص مجهول، وذلك في ابتداء القرن الثاني»[4].

ويظن البعض : أن كاتب هذا الإنجيل شخص آخر يدعى (يوحنا الشيخ) الذي جاء ذكره في أوائل القرن الثاني الميلادي»[5].

ونرى الباحث والمؤرخ المسيحي (وول ديورانت) يعترف بالتناقضات الحاصلة بين انجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأخرى، وينقل شكوك الباحثين المسيحيين، في نسبة هذا الإنجيل الى يوحنا الحواري. فيقول :

---

(١) قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الإختصاص ومن اللاهوتيين ص١١٠٨ ، ١١٠٩.
وانظر كذلك الدكتور : علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ٥٦ ط١.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ٤٨ ط٣.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ٤٩.
وانظر كذلك : الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص ١٦١ ط٢.

(٤) المرجعان السابقان وارجع الى ثاني مذكور.

(٥) قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١١١٠ ط٢.

« إن إنجيل يوحنا يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل، وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح. وان ما يصطبغ به الكتاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين : بأن الخلاص لايكون بالإيمان، بل بالمعرفة، ومافيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية، قد جعلا الكثيرين من الباحثين في الدين المسيحي يشكّون في صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنا»(١).

وجاء في دائرة المعارف البريطانية التي هي زبدة أفكار خمسمائة عالم من علماء النصارى ما نصه :

« أما انجيل يوحنا فإنه لامرية ولا شك كتاب مزوّر، أراد صاحبه مضاهاة اثنين من الحواريين بعضها لبعض، وهما القديسان (يوحنا ومتّى)، وقد ادعى هذا الكاتب المذكور في متن الكتاب، أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاّتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوارة التي لارابطة بينها، وبين من نسبت إليه.

وانا لنرأف ونشفق، على الذين يبذلون منتهى جهدهم، ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألّف هذا الكتاب في الجيل الثاني، بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى؛ بخبطهم على غير هدى»(٢).

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٢٠٩ ط٣.

(٢) انظر : عبد الرحمن بك باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤٢، ٣٤٣.
وكذلك : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ٤٩ ط٣.
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص ١٦٢ ط٢.

اذن من هو مؤلف هذا الإنجيل ؟

ومن يكـــون ذلك الرجـــل الفلسفي الذي ألّـــف هـــذا الكتاب ونسبه إلى يوحنا ؟

« الإجابة سهلة، فالتأليف الفلسفي روح مدرسة الاسكندرية، وعقيدة التثليث عقيدة مدرسة الاسكندرية.

ولعل الأستاذ (استادلن) على حق حينما قال :

« إن كـــافـــة انجـيل يوحنا تصنيـــف طالب من طلبـــة مـــدرســـة الاسكندرية»[1].

« والذي نلاحظه من كلام هؤلاء المسيحيين أن كاتب الإنجيل الرابع شخصية غير معروفة تاريخياً، وعلى فرض أن يوحنا الصياد هو الذي كتبه، فقد كتبه في سن الشيخوخة، التي لا أمان معها على شئ من العلم، ولا مع الفهم»[2]. حيث كتبه بعد أن تجاوز المائة عام طبقا لبعض الروايات.

ويؤيد ذلك ما ذكره الأستاذ/ زكي شنوده* «من أن يوحنا كتب انجيله بعد أن خرج من منفاه بعد مقتل (دوقيانوس) عام ٩٦م**»[3].

---

(١) الدكتور أحمد شلبي : المسيحية ص ٢١٤ ط٥.

(٢) الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص ١٦٢ ط٢.

* زكي شنودة هو : بطريرك الأقباط الارثوذكس ولد في مركز أبنوب (اسيوط) في عام ١٩٢٣م ، ترهّب عام ١٩٥٤م، ثم صار بطريركاً في عام ١٩٧١م
له مؤلفات عديدة في النصرانية. انظر منجد الأعلام ص ٣٩٣ ط ٢٦.

** توفي يوحنا مابين عام ٩٨ و ١٠٠م وقد تجاوز المائة عام.

(٣) الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص ١٦٢ ط ٢.

« ويكون يوحنا بذلك قد قام بأعمال الكرازة وبناء الكنائس، ورسم القساوسة والشماسة، قبل أن يكتب انجيلا، وهذا دليل الفرية الكاملة في التبشير المسيحي، إذ أنه كان يدعو دون كتاب مقدس يعتمد عليه»[1].

بقي أن نقول : إن لهذا الإنجيل خطر وشأن كبيرين؛ لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرًا صريحًا لألوهية المسيح.

وبعد .. فإننا نخرج من خلال هذا العرض بنتيجتين حول شخصية مؤلف هذا الإنجيل الرابع:

النتيجة الأولى : إن هذا الإنجيل إما أن يكون قد وضعه طالب في مدرسة الاسكندرية.

النتيجة الثانية : إن هذا الإنجيل قد وضعه رجل أنهكته الشيخوخة وآلام النفي.

وفي كلتا الحالتين فليس لهذا النجيل قيم تذكر، وهذا ما أكّده السير آرثر فندلاي في كتابه (الكون المنشور) حيث قال :

« ان انجيل يوحنا ليس له قيمة تستحق الذكر في سرد الحوادث الأكيدة، ويظهر أن محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دورًا بعيدًا »[2].

وقد كُتب انجيل يوحنا تحت دافع معين ولغرض خاص هو : إثبات ألوهية المسيح، والقضاء على التعاليم التي تؤكد انسانيته.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص ١٦٢ ط٢.

يقول الدكتور/ يوسف الدبس* الخوري في مقدمة تفسيره (تحفة الجيل) مؤكداً ذلك :

« إن يوحنا صنّف انجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا، والسبب :

أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذِكْر ما أهمله متّى ومرقس ولوقا في أناجيلهم»(١).

وهكذا ... يتضح لنا أن انجيل يوحنا كتب بالالتماس، وعار على المسيحي أن يدّعي قدسية كتاب صنف بالالتماس.

وفي ذلك يذكر الشيخ محمد أبو زهرة أنه «لما أراد معتقدوا ألوهية المسيح أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم – في زعمهم – لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك فاتجهوا الى يوحنا ، فكتب – كما يقولون – إنجيله الذي يشتمل على الحجة وبرهان القضية»(٢).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس :

« وكان الداعي الى كتابة الإنجيل الرابع، تثبيت الكنيسة الأولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح»(٣).

---

* ولد عام ١٨٣٣م وتوفي عام ١٩٠٧م. مطران بيروت الماروني، عالم ومؤرخ.
أسس مدرسة الحكمة عام ١٨٧٥م. وشيّد كاتدرائية القديس جرجس في بيروت. أنظر : منجد الأعلام ص ٢٨٣ ط٢٦.

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤١.
(٢) محاضرات في النصرانية ص ٥٣ ط ٣.
(٣) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١١١١ ط ٢.

« ومن هنا ندرك أن هذا الإنجيل كتب لينصر مذهبا خاصا يقول بألوهية يسوع، ومن هنا جاء الفرق بين الأناجيل الثلاثة الأولى التي لم تذكر شيئا عن ألوهية يسوع، وهذا الإنجيل الرابع الذي كتب ليستنصر لهذا المذهب الخاص.

لذلك فالقول بألوهية المسيح سابق على تدوين الإنجيل الرابع»[1].

ولو أردنا معرفة لغة هذا الإنجيل، فإننا نجد أن جمهور النصارى قد اتفقوا على أن لغة تدوين هذا الانجيل هي اللغة اليونانية[2].

أما تاريخ التدوين لهذا الإنجيل فيذكر صاحب الأسفار المقدسة : « أن يوحنا ألف انجيله حوالي سنة (٩٠م) على أرجح الأقوال»[3].

ويقول السير آرثر فندلاي :

« كتب يوحنا انجيله حوالي عام ١١٠م »[4].

ويرى الدكتور بوست :

ان انجيل يوحنا ألف في الفترة ما بين ٩٥، ٩٦، ٩٨(٥).

أما (هورن) فيرى أن الإنجيل الرابع ألف سنة ٦٧، أو ٦٩، أو ٧٠، أو

---

(١) الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص ١٦٤ ط٢.

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس لنخبة من نوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١١١١ ط٢.

(٣) الدكتور على عبد الواحد وافي ص ٦٧.

(٤) الكون المنشور. نقلا من الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى سواء ج١ ص ١٦٥ ط. دون أن يشير الى الصفحة التي أخذ منها النص.

(٥) نقلا عن الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى سواء ج١ ص ١٦٥ ط٢.

٨٩ أو ٩٨[١].

ويقول صاحب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين :

« انه لايوجد اتفاق بين العلماء على ضبط السنة التي كتب فيها يوحنا انجيله، فيزعم بعضهم أنه كتب سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم.

وآخرون يرون أنه كتب عام ٩٨م بعد رجوعه من المنفى»[٢].

وجاء في دائرة معارف القرن العشرين :

« كُتب انجيل يوحنا بعد رفع المسيح - عليه السلام - بستين سنة أي سنة ٩٣م»[٣].

وها نحن نجد أن الخرق قد اتسع على الراقع، فميدان الخلاف في عام تدوين هذا الانجيل أصبح واسعا، كما اتسع من قبل في شأن يوحنا (كاتبه) مع عدم وجود السند المتصل في روايته. بل إنه قد جاء في الإصحاح العاشر من هذا الإنجيل على لسان المسيح - في زعمهم - عن الذين سبقوه من الأنبياء والمرسلين ما نصه : « جميع الذين أتوا قبلي سراقا ولصوصا »[٤].

وهذا النص وحده كافٍ لنسف هذا الإنجيل من أساسه لو كانوا يعقلون.

---

(١) المرجع السابق .
وانظر كذلك : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق (الأول).

(٣) الدكتور محمد فريد وجدي ج١ ص ٦٥٥.

(٤) فقرة (٨).

٥ – تعقيب :

من خلال هذا العرض للأناجيل ، وبيان قيمتها التاريخية وقدسيتها عند أصحابها، نرى أنها تخلو من القداسة والإلهام، وذلك للمجاهيل التي تكتنفها وللغموض الذي يحيطها، سواء في مصنفيها أو لغة تدوينها، أو تاريخ التدوين. بل إن دعوى أن الأناجيل موحى بها من الله، وأن أصحابها ملهمون «دعوى باطلة من أساسها، ليس لعدم اقامة الدليل، بل لأن البيانات كلها قائمة ضد هذه الدعوى، ولأن ما كان وحيًا أو الهامًا لايختلف ولا يتناقض ولا يهدم بعضه بعضا»[١].

وصدق الفيلسوف الفرنسي (غوستاف لوبون) حين قال عن الأناجيل بأنها :

« مجموعة من الأوهام والذكريات غير المحققة التي بسطها خيال مؤلفيها»[٢].

انها لا تعدو أن تكون سيرًا وقصصًا كتبها أتباع المسيح عن حياته ودعوته، كما سمعوها من أسلافهم الذين رأوا المسيح وخدموه، وهي تشبه كتب السيرة عندنا نحن المسلمين – من جهة موضوعها لامن جهة ثبوتها – مع الاختلاف بينها وبين كتب السيرة، من ناحية السند المتصل، ومن ناحية نسبتها الى مؤلفيها، ومن ناحية أنها لم تفرض بسلطة قانونية أو كهنوتية[٣].

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ٨٣ ط٣.

(٢) حياة الحقائق ص ٦٢ نقلا عن : سفر بن عبدالرحمن بن أحمد : العلمانية وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة (رسالة ماجستير) ص ٢٣.

(٣) انظر رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج١ ص ٣٠٤.

وكذلك ابن تيمية (اجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ج٢ ص ١١ ، ١٢.

وهذا موريس بوكاي يقول :

« ان الأناجيل المتداولة ليست بأقوى سنداً من أضعف الأحاديث المنسوبة الى نبي الإسلام»[1].

ويعتبروها « توليفات غامضة لم يسعفها الحظ لتعطي صورة واضحة عن حياة المسيح. وأنها ضعيفة السند ولا تقوى على النقد العلمي النزيه»[2].

ويقول الدكتورد فردريك جرانت :

« ان العهد الجديد كتاب غير متجانس؛ ذلك أنه شتات مجمع، ولايمثل وجهة نظر واحدة، تسوده من أوله إلى آخره، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة، وإن الإنسان ليستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التي سار فيها التفكير المسيحي ، كما يتتبع - الى حد ما - التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة، وكذلك مراحل التطور الأولي لعقيدة الكنيسة، وأخلاقياتها، وعباداتها، وتنظيماتها»[3].

ولا يقتصر الشك المحيط بالأناجيل الأربعة على التشكيك في كونها وحياً معصوماً، بل إنه يتعدى ذلك الى التشكيك في صحة نسبتها حتى إلى من تنتسب اليهم من الحواريين والكُتّاب.

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديث ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) نقلا عن الدكتور رؤوف شلبي : المسيحية الرابعة ص١٨٩/ ١٩٠ دون أن يشير إلى المصدر الذي أخذ عنه هذا النص.

(٣) الأناجيل : أصلها وتطورها ص ١٢ ، ١٥، ١٧ نقلا عن المهندس أحمد عبدالوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ١٥ ط١.

وقد ظفر السيد (هاتفلد) في سنة ١٧٩٣م بجائزة من كلية اللاهوت في (جوتنجن) بألمانيا، لبحث قدمه، أورد فيه البراهين الدامغة، على أن (متّى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا) ، لم يؤلّفوا الأناجيل التي تحمل أسماءهم، وأن علاقتهم بها لم تتعدّ انتساخهم اياها[1].

*** *** ***

(١) عصام الدين حفني ناصف : المسيح في مفهوم معاصر ص ١٥٠ ط١.

الفصل الثاني

تحريف الأناجيل في نظر ابن تيمية

(أ) أنواع التحريف وأدلته وعوامل وقوعه :

١ – مفهوم التحريف .

٢ – أنواع التحريف الواقعة في الكتاب المقدس.

٣ – أدلة ابن تيمية على وقوع التحريف في الكتاب المقدس.

٤ – عوامل وقوع التحريف.

٥ – نماذج من تحريف الأناجيل.

(ب) شبهات النصارى على عدم تحريف كتبهم، وإبطال ابن تيمية لها.

(جـ) التعقيب :

١ – تأكيد العلماء لما يذكره ابن تيمية بوقوع التحريف في الكتاب المقدس.

٢ – تأكيد العلماء لأنواع التحريف عند ابن تيمية.

٣ – تأكيد العلماء لعوامل التحريف عند ابن تيمية.

٤ – عوامل حفظ القرآن الكريم من التحريف. والفرق بينه وبين كتب النصارى في نظر ابن تيمية.

الفصل الثاني

في

تحريـــــف الأنـاجيـــل

أ - مفهوم التحريف وأنواعه وأدلة وقوعه وعوامل ذلك في نظر ابن تيمية.

١ - مفهوم التحريف :

يتهم ابن تيمية النصاري بالتبديل والتحريف لكتبهم، ولا يخص بذلك الأناجيل فقط، ولكنه يضم اليها أسفار التوراة باعتبارها العهد القديم لكتابهم المقدس - عندهم - فيثبت فيها وقوع التحريف على أيدي اليهود وكأنه يريد أن يقول :

إن كتب النصارى سواء منها القديم والجديد قد وقع فيها التحريف .

وقبل أن نتكلم عن أنواع التحريف نقدّم المعنى اللغوي للتحريف فنقول :

« حرّف عن الشئ يحرّف حرفا ، وانحرف وتحرّف واحرورف : عدل .

وإذا مال الإنسان عن شئ يقال : تحرّف وانحرف واحرورف.

وتحريف الكلم عن مواضعه : تغييره.

والتحريف في القرآن والكلمة : تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغيّر معاني التوراة بالأشباه،

فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى : { يحرفون الكلم عن مواضعه }.

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضى الله عنه : (آمنتُ بمحـرف القلوب) هو المزيل. أي مميلهـا، ومـزيلهـا، ومـصـرفـهـا. وهو الله تعالى»[1].

وجاء في القاموس المحيط :

« التحريف : التغيير، وقط القلم محرفا واحرورف : مال وعدل كانحرف وتحرّف ... »[2].

« واذا مال الإنسان عن شئ ، يقال : تحرّف وانحرف واحرورف »[3].

فالتحريف انحراف الشئ عن جهته، وميله عنها الى غيرها.

وهو يقتضي الخروج عن جادة الطريق.

والمراد به هنا : اخراج الوحي والشريعة عما جاءت به بالتغيير والتبديل في الألفاظ أو بالكتمان، والتأويل الفاسد، والتفسير الباطل[4].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج ٩ ، ص ٤٣.
وكذلك السيد محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ج ٦ ، ص ٦٩،
وكذلك : الفيروز ابادي : القاموس المحيط ج ٣ ، ص ١٢٧.

(٢) فصل الحاء باب الفاء (مادة حرف) ج ٣ ص١٢٧.
وكذلك السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس ج ٦ ص٦٩.

(٣) السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس ج ٦ ص٦٩.

(٤) د. محمد سيد طنطاوى : بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة ج ٢ ص٩٩/١٠٠.

٢ – أنواع التحريف الواقعة في الكتاب المقدس :

التحريف الذي يتحدث عنه ابن تيمية نوعان :

الأول : تحريف لفظي : وهو تغيير جميع الألفاظ أو بعضها، سواء كان هذا البعض قليلا أو كثيرا. (وهذا النوع تنكره النصارى).

الثاني : تحريف معنوي : وهو تأويل هذه الألفاظ بمعان لا تدل عليها، ولا تحتملها تلك الألفاظ إلاّ بنوع من التعسف والإفتعال. (وهذا النوع تقره وتعترف به النصارى).

وكلا النوعين – كما يرى ابن تيمية – واقع في كتب اليهود والنصارى.

لكن ما هي طبيعة التحريف الواقع في هذه الكتب ؟

والى أي مدى وصل اليه في العهدين : القديم والجديد ؟

وما الذي تناوله هذا التحريف من ألفاظها ومعانيها؟ وهل يتفق ابن تيمية مع غيره من العلماء في الإجابة على هذه الأسئلة، وفيما يذهب اليه من طبيعة هذا التحريف ومداه ؟

لابدّ من الإجابة على كل هذه الأسئلة لتوضيح فكر ابن تيمية في هذا الموضوع، وموقفه من تلك الأسفار والأناجيل، قبل أن نقدم أدلته على ما يذهب اليه، وقبل أن نقدم ردوده على أهل الكتاب فيما يعارضون به وقوع التحريف في كتبهم.

يقول ابن تيمية – بيانا لآراء المسلمين فيما وقع من التحريف في كتب اليهود والنصارى وبيانا لما يختاره هو من هذه الآراء – يقول :

« ... الأصل الثاني الفاسد الذي بنوا عليه سؤالهم الذي جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم، ظنهم أن المسلمين يقولون : إن هذه الكتب حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا مما لا يقوله المسلمون، ولكن قد يقول بعضهم : انه حرف بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ألفاظ بعض النسخ، فإن الجمهور الذين يقولون : إن بعض ألفاظها حرفت، منهم من يقول : كان هذا قبل البعثة ، ومنهم من يقول : كان بعدها، ومنهم من يثبت الأمرين أو يجّوزهما، ولكن لايقولون : إنه حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة في مشارق الأرض ومغاربها، كما حكاه هذا الحاكي عنهم، ولكن علماء المسلمين، وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف في المعاني والتفسير، وان كانت كل طائفة (من أهل الكتاب) تزعم أن الأخرى هي التي حرفت المعاني.

وأما ألفاظ الكتب، فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى أن ألفاظها لم تبدل، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب.

وذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب الى أنه بُدل بعض ألفاظها. وهذا مشهور عن كثير من علماء المسلمين، وقاله أيضا كثير من علماء أهل الكتاب، حتى في صلب المسيح ذهبت طائفة من النصارى إلى أنه إنما صلب الذي شبه بالمسيح، كما أخبر به في القرآن، وان الذين أخبروا بصلبه كانوا قد أخبروا بظاهر الأمر، فانه لما ألقى شبهه على المصلوب ظنوا أنه هو المسيح أو تعمدوا الكذب.

ثم هؤلاء منهم الذين يقولون : إن في ألفاظ الكتب ما هو مبدل، ومنهم من يجعل المبدل من التوراة والإنجيل كثير منهما، وربما جعل بعضهم المبدل أكثرهما، لاسيما الإنجيل، فإن الطعن فيه أكثر وأظهر منه في التوراة.

ومن هؤلاء من يسرف حتى يقول : انه لا حرمة لشئ منهما، بل يجوز الاستنجاء بهما. ومنهم من يقول : الذي بدلت ألفاظه قليل منهما، وهذا أظهر، والتبديل في الإنجيل أظهر، بل كثير من الناس يقول :

هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلا القليل، والإنجيل الذي هو كلام الله ليس هو هذه الأناجيل.

والصحيح : أن هذه التوراة والانجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب فيهما ما هو حكم الله، وان كان قد بدّل وغيّر بعض ألفاظهما لقوله تعالى :

{ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومن الذين هادوا سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه، يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه، وان لم تُؤْتَوْه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. سماعون للكذب أكّالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم، وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا. وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين، وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك، وما أولئك بالمؤمنين}(١).

فعلم أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس بعد مجئ بختنصر، وبعد مبعث المسيح، وبعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيها حكم الله، والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة المائدة آية ٤١ - ٤٣.

وسلم، وان قيل : إنه غيّر بعض ألفاظها بعد مبعثه فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك، فان هذا غير معلوم لنا، وهو أيضا متعذر*، بل يمكن تغيير كثير من النسخ واشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلاّ ما غيّر بعد ذلك، ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والانجيل متفقه في الغالب، إنما يختلف في اليسير من ألفاظها، فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسـول ممكن، ولايمكن أحـد أن يجـزم بنفـيـه، ولا يقـدر أحـد من اليـهـود والنصارى أن يشـهد بأن كل نسخة في العالم من الكتابين متفقة الألفاظ، إذ

---

* جاء فى رسالة الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية قوله :

«قيل : ليس فى العالم نسخة بنفس ما أنزل الله فى التوراة والانجيل، بل ذلك مبدل، فان التوراة انقطع تواتره، والانجيل إنما أخذ عن أربعة، ثم من هؤلاء من زعم أن كثيراً مما فى التوراة أو الانجيل باطل ليس من كلام الله، ومنهم من قال : بل ذلك قليل. وقيل : لم يحرف أحد شيئاً من حروف الكتب، وإنما حرفوا معانيها بالتأويل، وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين، والصحيح القول الثالث، وهو أن فى الأرض نسخاً صحيحة، وبقيت الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، ونسخاً كثيرة محرفة، ومن قال : إنه لم يحرف شئ من النسخ فقد قال مالا يمكنه نفيه، ومن قال جميع النسخ بعد النبى صلى الله عليه وسلم حرفت، فقد قال ما يعلم أنه خطأ».

والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله فى التوراة والانجيل، ويخبر أن فيهما حكمه، وليس فى القرآن خبر أنهم غيّروا جميع النسخ..

واذا كان كذلك، فنقول :

هو سبحانه قال : {وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه} (المائدة ٤٧) ، وما أنزله الله هو ماتلقوه عن المسيح ...

وكذلك {لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم}(المائدة آية ٦٨).

وقوله : {ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} فإن إقامة الكتاب : العمل بما أمر الله به فى الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول ...

ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص٧٨، ٧٩. دار احياء التراث العربى

وانظر كذلك ابن تيمية : مجموع الفتاوى المجلد ١٣ ص١٠٣/١٠٤. مقدمة التفسير.

هذا لاسبيل لأحد إلى علمه، والاختلاف اليسير في ألفاظ هذه الكتب موجود في الكثير من النسخ، كما قد تختلف نسخ بعض كتب الحديث أو تبدل بعض ألفاظ بعض النسخ، وهذا بخلاف القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور، وبالنقل المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب كما قال تعالى : { إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون }(١) وذلك أن اليهود قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى عهده وبعده، منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، وعندهم نسخ كثيرة من التوراة. وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة، ولم يتمكن أحد من جمع هذه النسخ وتبديلها، ولو كان ذلك ممكنًا لكان ذلك من الواقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها، وكذلك في الإنجيل.

قال الله تعالى : { وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه}(٢). فعلم أن في هذا الانجيل حكماً أنزله تعالى، لكن الحكم هو من باب الأمر والنهي، وذلك لايمنع أن يكون التغيير في باب الإخبار، وهو الذي وقع فيه التبديل لفظا*.

وأما الأحكام التي في التوراة فما يكاد أحد يدعي التبديل في ألفاظها.

وقد ذكرت طائفة من العلماء أن قوله تعالى فى الأنجيل: {وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه} هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل، لا الموجودين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ {وليحكم أهل الإنجيل}

---

(١) سورة الحجر / آية ٩.

(١) سورة المائدة / آية ٤٧.

* بحثنا عن استشهادات لابن تيمية. بالتبديل اللفظى فلم نجده قد تحدث عنها وذكر منها الاّ القليل النادر كما سنذكر ذلك فى صفحة ١٠٥.

بكسر اللام كقراءة حمزة[١].

ويؤخذ مما تقدم أن ابن تيمية يرى أن التحريف الواقع فى التوراة لم يتناول جميع الألفاظ، بل القليل منها، ولاسيما فى الناحية التشريعية، وإنه مازالت هناك بقايا فى التوراة والإنجيل طلب من أصحابها الحكم بما أنزل الله فيه قوله تعالى: {قل يا أهل الكتاب لستم علي شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم}[٢].

وفيما يتعلق بالتحريف المعنوى، فإن ابن تيمية يرى أن جميع الطوائف اليهودية والنصرانية متفقة على وقوعه، لأن كل طائفة ترى أن غيرها أوّل الكلام بما لا تحتمله الألفاظ من المعانى، وهذا يرجع الى اختلاف فهمهم للعقيدة، وأختلاف ما تأخذه كل طائفة من مدلولات هذه الألفاظ. ويرى ابن تيمية – كما قدمنا – أن المسلمين يشهدون على النصارى بهذا النوع من التحريف. فيقول:

"فأما تحريف معانى الكتب بالتفسير والتأويل، وتبديل أحكامها فجميع المسلمين واليهود والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها، كما يشهد النصارى والمسلمون على اليهود بتحريف كثير من معانى التوراة وتبديل أحكامها..."[٣].

وابن تيمية يعنى بذلك اتهام أصحاب هذه الأديان بعضهم لبعض – بل وأرباب الفرق داخل كل دين – بأنهم ينحرفون فى تأويل ما فى كتبهم وتفسيرها بحيث يجعلها كل فريق دالة على مذهبه مهما اختلفت بينهم تلك

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ١ص٣٦٧/٣٦٩.

(٢) سورة المائدة : آية ٦٨.

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص٣٤٧/٣٤٨.

المذاهب، فكل فريق يتهم الآخر بالتحريف المعنوى لهذه النصوص وصرفها عما يرى أنه هو المعنى الصحيح لها.

بل إن تيمية يصرّح بذلك فيقول:

«... وكل عاقل يعلم أن الكتب التى بأيديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى، وبين النصارى واليهود ما يوجب القطع بأن كثيراً من ذلك مبدّل محرّف»(١).

٣ - أدلة ابن تيمية على وقوع التحريف في الكتاب المقدس :

يورد ابن تيمية أدلة كثيرة على وقوع التحريف فى الكتاب المقدس - عند النصارى - بعهديه (القديم والجديد)، سواء كانت أدلة نقلية أو عقلية. (واقعية)، بل ويستشهد على ذلك بمظاهر كثيرة من مظاهر التحريف الواقعية الموجودة فى صفحات هذا الكتاب. فليس اتهامه لهذا الكتاب بالتحريف مجرد دعوى بلا دليل، وانما يقدم الأدلة والشواهد الكثيرة علي ذلك.

وفيما يلى نورد بعض هذه الأدلة والشواهد:

الدليل الأول: يستشهد ابن تيمية على وقوع التحريف بآيات من القرآن الكريم من ذلك:

قوله تعالى : { ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه. يقولون : إن

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص٣٦٢.

أوتيتم هذا فخذوه وأن لم تُؤْتوهْ، فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم}(١).

ومن شواهد القرآن على تحريف اليهود والنصارى لكتبهم قوله تعالى فى شأن النصارى(٢):

{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منها، فامنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا، خيراً لكم، انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد، له ما فى السموات وما في الأرض، وكفى بالله وكيلا}(٣).

---

(١) سورة المائدة آية ٤١. وقد روى ابن تيمية – فى كتابه الجواب الصحيح ج ١ ص٣٧٢ – ٣٧٣ – أن سبب نزول هذه الآية : ما رواه مسلم عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : مرّ على النبى صلى الله عليه وسلم بيهودى محمّم مجلود. فدعاهم فقال : هكذا تجدون حدّ الزانى فى كتابكم؟ فقالوا : نعم، فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟ قال : لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك. نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ، فقلنا : تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه)، فأمر به فرجم، فأنزل الله تعالى : {يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ...} الآية.
أنظر صحيح مسلم : كتاب الحدود. باب رجم اليهود، أهل الذمة، فى الزنى حديث رقم ٢٨ ج ٣ ص١٣٢٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – الناشر دار احياء التراث العربى، بيروت.

(٢) أنظر : تفسير ابى السعود ج ٢ ص٢٥٩.
وكذلك الرازى المجلد ٦ ج ١١ ص١١٧.

(٣) سورة النساء آية ١٧١.

وقال تعالى فى شأن النصارى أيضاً: {ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم، فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون }(١).

ثم خاطب عز وجل اليهود والنصارى بعد ذلك مباشرة فقال تعالى :

{ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين }(٢).

الدليل الثانى : ويستشهد ابن تيمية كذلك بما رواه الإمام أحمد فى مسنده دليلاً على وقوع التحريف. فيقول :

«قد أدرك سلمان الفارسى طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح – عليه السلام –، واحد بالموصل وآخر بنصّيبين، وآخر بعمورية. وكل منهم يخبر بأنه لم يبق على دين المسيح – عليه السلام – إلاّ قليل، الى أن قال له آخرهم : لم يبق عليه أحد، وأخبره أنه يبعث نبى بدين إبراهيم من جهة الحجاز، فكان ذلك سبب هجرة سلمان إليه وإيمانه به»(٣).

ويستفاد مما رواه مسلم – فى هذا المقام – عن عياض بن حمار المجاشعى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ...) الحديث(٤).

---

(١) سورة المائدة آية ١٤.

(٢) سورة المائدة آية ١٥.

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ص٨، ٩.
وقد أخرجه الامام أحمد في مسنده ج ٥ ص٤٤١/ ٤٤٤ واسناده حسن.

(٤) صحيح مسلم / كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ج ٤ ص٢١٩٧ الحديث رقم (٦٣) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

وكذلك مما روى في قصة سلمان الفارسى أن الذين بقوا على الدين الصحيح للمسيح قليلون. معنى هذا : أن الكثرة الغالبة انحرفت عن هذا الدين الصحيح وحرفت كتبها.

ثم يورد ابن تيمية من الأحاديث ما يدل على أن اليهود على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يتعمدون اخفاء بعض نصوص التوراة وأحكامها.

١ - ففى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : إن اليهود جاءوا الى رسول الله صلى عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلاً زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون فى التوراة فى شأن الزنا؟ قالوا : نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام : كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبدالله : ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا : صدقت يا محمد، فأمر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما[١].

٢ - وأخرج البخارى عن عبدالله بن عمر أنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى ويهودية قد زنيا، فانطلق حتى جاء اليهود. فقال : ما تجدون فى التوراة على من زنا؟ قالوا : نسوّد وجوههما، ويطاف بهما، قال : {فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين}[٢]. قال : فجاءوا فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذى يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال عبدالله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُره

(١) أنظر صحيح البخارى (كتاب الحدود) ج ٨ ص٢٠٥.
وكذلك صحيح مسلم (كتاب الحدود) ج ٣ ص١٣٢٦ الحديث رقم (٢٦) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط ١. وقد استشهد به ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح ج ١ ص٣٧٢.

(٢) سورة آل عمران آية ٩٣.

فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، قالوا : صدق، فيها آية الرجم، ولكننا نتكاتمه بيننا، وان أحبارنا أحدثوا التحميم والتحبية*، فأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم برجمهما فرجما [1].

٣ - وأما السنن : ففي سنن أبي داود عن زيد بن أسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أتي نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القُفّ[2]. فأتاهم إلى المدراس[3]، فقالوا : يا أبا القاسم إن رجلا منا، زنا بامرأة فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها، ثم قال : ائتوني بالتوراة، فأتي بها، فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها، وقال : آمنت بك، وبمن أنزلك، ثم قال : ائتوني بأعلمكم،

---

* معنى التحميم : الفحم البارد، وحمّ الرجل : سوّد وجهه بالفحم، ومنه حديث الرجم : أنه مر بيهودي محمم مجلود، أى مسود الوجه من الحمة أنظر : السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس ج ٨ ص٢٦٢. فصل الحاء من باب الميم.

معني التحبية : أن يحمل الزانيان على حمار، ويقابل أقفيتهما، ويطاف بهما. أنظر : سنن أبى داود ج ٤ ص٥٩٩ ط١. وكذلك ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ١ ص٣٧٣.

(١) أنظر صحيح البخارى (كتاب الحدود) ج ٨ ص٢٠٥. وقد استشهد به ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح ج ١ ص٢٧٢.

(٢) معنى القُفّ : ما أرتفع من الأرض، وصلبت حجارته، وهو وادٍ بالمدينة النورة. أنظر : السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس ج ٦ ص٢٣٦. وكذلك : المعجم الوسيط ج ٢ ص٧٥٢. وكذلك : سنن أبى داود ج ٤ ص٥٩٧ للسجستانى.

(٣) معنى المدراس : المكان الذى يدرس فيه اليهود نصوص التوراة، وأمور الشريعة كما يجتمعون فيه لتبادل المشورة فى سائر أحولهم الدينية والدنيوية. أنظر سنن أبى داود ج ٤ ص٥٩٧ للسجستانى.

وأنظر د. محمد السيد طنطاوى/ بنو أسرائيل في القرآن والسنة ج ١ ص٨٠.

فأتى بشاب، ثم ذكر قصة الرجم[1].

٤ – وأخرج أيضا أبو داود وغيره عن أبى هريرة أنه قال : زنا رجل من اليهود بامرأة، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا الى هذا النبى، فإنه نبى بعث بالتخفيف. فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها، واحتججنا بها عند الله، فقلنا نبي من أنبيائك. قالوا :فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم، وهو جالس فى المسجد، فى أصحابه، فقالوا : ياأبا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة – منهم – زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب، فقال : أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، ما تجدون فى التوراة، على من زنا اذا أحصن؟ قالوا : نحمم، ونحبيه، ونجلده. قال : وسكت شاب منهم فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم ساكتا، أنشده، فقال : اللهم اذ أنشدتنا، فانا نجد فى التوراة الرجم. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فما أول ماارتخصتم أمر الله؟ قال : زنا ذو قرابة من ملك من ملوكنا، فأخّر عنه الرجم، ثم زنا رجل فى أسرة من الناس، فأراد رجمه، فحال قومه دونه، وقالوا : لايرجم صاحبنا حتى تجئ بصاحبك فترجمه. فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم. قال النبى صلى الله عليه وسلم : فانى أحكم بما فى التوراة، فأمر بهما فرجما[2].

ويستفاد من هذه الأحاديث التى أوردها ابن تيمية أن اليهود كانوا يخفون بعض أحكام التوراة مع ثبوتها فى النص الموجود عندهم على عهده صلى الله عليه وسلم ويتواطئون على تغيير هذه الأحكام رغم ثبوتها فى ذلك النص. من ذلك : رجم الزانى المحصن كما وردت به تلك الأحاديث.

---

(١) السجستانى/ سنن أبي داود/ كتاب الحدود/ باب أحكام أهل الذمة ج ٤ ص٥٩٧ ط ١/ درجة الحديث صحيح. وقد استشهد به ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح ج ١ ص٣٧٣.

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص٥٩٨/ ٥٩٩.

ونلاحظ أن ماستدل به ابن تيمية من السنة النبوية يدل على كتمان النصارى لما هو ثابت بالنص فى التوارة، ولا يدل على تحريفهم له، لا سيما وأن التوراة لا تزال تحتفظ بحكم الرجم حتى يومنا هذا. فقد جاء فى سفر التثنية بعد بيان أن من تزوج عذراء فوجدها ثيبا ترجم عند باب بيت أبيها - جاء ما نصه :

«إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان : الرجل المضطجع مع المرأة، والمرأة. فتنزع الشر من اسرائيل.

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة، واضطجع معها فأخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا. الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذلّ امرأة صاحبه، فتنزع الشرّ من وسطك»(١).

ثم ذكرت أحكاما أخرى فى الزنا، منها : قتل أحد الزانيين، ومنها : دفع غرامة، والتزوج بالمزني بها(٢).

- **الدليل الثالث**: يستدل ابن تيمية أيضا على التحريف باختلاف الأناجيل لفظاً ومعنًى فيما بينها. بحيث يقطع العقل باستحالة اعتبارها جميعاً على أنها الإنجيل الحق، بل لابد مع وجود هذه الاختلافات من القول بأن بعضها على الأقل - ان لم نقل جميعها - محرّف، فكيف وقد تقدم أنها جميعا من كتابة أصحابها، وليست هى إنجيل عيسى. يقول ابن تيمية :

---

(١) سفر التثنية ٢٢ : ٢٢ - ٢٤.

(٢) أنظر سفر التثنية ٢٢ : ٢٥ - ٢٩.

«جمهور المسلمين يقولون : ان بعض ألفاظها بدل كما قد بدل كثير من معانيها. ومن المسلمين من يقول : التبديل انما وقع في معانيها لا في ألفاظها، وهذا القول تقّربه عامة اليهود والنصارى.

وعلى القولين : فلا حجة لهم على ما يزعمونه من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم لما هم عليه من الدين الباطل، فإنّ الكتب الالهية التي بأيديهم لا تدل على صحة ما كفّرهم به محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، مثل :

التثليث والاتحاد والحلول، وتغيير شريعة المسيح، وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، فليس في الكتب التى بأيديهم ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً على الأمانة التى هى أصل دينهم، وما في ذلك من التثليث والاتحاد والحلول، ولا فيها ما يدل على أكثر شرائعهم، كالصلاة الى المشرق، واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك ...

ويقال لهم : أين مامعكم عن محمد صلى الله عليه وسلم مما يدل على أن ألفاظ الكتب التى بأيديكم لم يغير منها شئ؟ ومعلوم أن المسلمين وغيرهم اذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجة على الفريق الآخر. فإذا كان المسلمون قد اختلفوا في تبديل بعض ألفاظ الكتب الإلهية المتقدمة لم يكن قول فريق حجة على الآخر، ولا يجوز لأحد من المسلمين ولا منكم أن يضيف الى الرسول قولاً إلاّ بدليل. فأين في القرآن والسنة الثابتة عن محمد صلى الله عليه وسلم أن جميع ما بأيدى أهل الكتاب من التوراة والإنجيل والزبور، ونبوات الأنبياء لم تبدل بشئ من ألفاظها حتى يقولوا : إن محمداً صلى الله عليه وسلم نفى عن كتبهم ذلك؟ وهؤلاء بنوا كلامهم على أن ألفاظ كتبهم تدل على صحة دينهم الذى هم عليه بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه لم يبدل شئ من ألفاظها. وقد تبين فساد ذلك من وجوه

متعددة. ثم زعموا أن المسلمين يدّعون أن ألفاظ هذه الكتب حرفت كلها بجميع لغاتها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا القول لم يقله أحد من المسلمين – فيما أعلم – وظنوا أنهم بالجواب عن هذا يكونوا قد أجابوا المسلمين(١).

الدليل الرابع: يستدل ابن تيمية على وقوع التحريف في الأناجيل بمخالفتها للقرآن والنبوات الصادقة، وذلك بتضمنها لعقائد فاسدة وشرائع مبتدعة لم يأت بها المسيح ولا غيره، ومخالفة أي كتاب سماوي للنبوات الصحيحة دليل على ما وقع فيه من تحريف. ومن أمثلة ذلك :

(١) عقيدة الصلب والفداء :

وزعمهم « أن جميع بني آدم من الأنبياء والرسل وغيرهم كانوا في الجحيم في حبس الشيطان، لأجل أن أباهم آدم أكل من الشجرة، وأنهم إنما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح»(٢).

ويقول ابن تيمية : « ان هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الأنبياء لقطعنا بكذبه عليهم، فكيف وهذاالكلام ليس منقولا عندهم عن أحد من الأنبياء؟ وانما ينقلونه عمن ليس قوله حجة لازمة، فإن كثيرا من دينهم مأخوذ من رؤوسهم الذين ليسوا بأنبياء، فإذا قطعنا بكذب من ينقله عن الأنبياء، فكيف إذا لم ينقل عنهم ذلك؟ فإن الأنبياء – عليهم السلام – يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته، لابما يعرفون أنه باطل ممتنع، فيخبرونهم بمحيرات العقول لا محالات العقول.

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص٣٦١/ ٣٦٢.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص٣٦٤.

وآدم – عليه السلام – وان كان أكل من الشجرة، فقد تاب الله عليه، واجتباه، وهداه»(1).

ويستشهد بقوله تعالى : { وعصى آدمُ ربَّه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى }(2).

ويتساء ل ابن تيمية مستنكرًا ومتعجبًا فيقول :

« أي مناسبة بين الصلب الذي هو من أعظم الذنوب – سواء صلبوا المسيح أو المشبه به – وبين تخليص هؤلاء من الشيطان؟ فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالما معتديا. والله عز وجل قادر على منعه من ظلمهم، بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم، فلماذا أخرّ منعه من ظلمهم الى زمن المسيح؟ وهو سبحانه ولي المومنين وناصرهم، ومؤيدهم، وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم، بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان. فكيف لايمنع الشيطان بعد موتهم أن يظلمهم، ويجعل أرواحهم في جهنم؟ هذا إن قدّر أن الشيطان كان قادرًا على ذلك.

وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه وأوليائه وسقوط التكليف عنهم، واستحقاقهم كرامته واحسانه، وجنته، بحكم وعده، ومقتضى حكمته – أن يجعله مسلطًا على حبسهم في جهنم*؟!»(3).

---

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص٣٦٤.

(2) سورة طه/ آية ١٢١/ ١٢٢ ، وكذلك صورة البقرة آية ٣٧.

* سوف يأتي لهذا الموضوع مزيد شرح في الفصل الخامس من الباب الثاني.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص٣٦٥/٣٦٦.

(٢) وكذلك تحليلهم ما حرم الله، وتحريمهم ما أحل الله. يقول ابن تيمية:

« وأما ما بُدل بعد المسيح مثل : استحلال لحم الخنزير وغيره - مما حرمه الله ولم يبحه المسيح - ومثل : اسقاط الختان ، ومثل الصلاة إلى المشرق، وزيادة الصوم، ونقله من زمان الى زمان، واتخاذ الصور في الكنائس، وتعظيم الصليب، واتباع الرهبانية، فإن هذه كلها شرائع لم يشرعها نبي من الأنبياء، لا المسيح ولا غيره، خالفوا بها شرع الله الذي بعث به الأنبياء من غير أن يشرعها الله على لسان نبي»(١).

ومعنى ذلك : أنهم حرفوا كتبهم فوضعوا فيها ما يخالف النبوات الصادقة من النصوص والأحكام.

(٣) ومما يستشهد به ابن تيمية على تحريف أسفار الكتاب المقدس بمخالفتها للقرآن والنبوات الصادقة عدم اعتراف اليهود بالبشارات بالمسيح، وعدم اعتراف النصارى بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهي بشارات ثابتة بنص القرآن الكريم، حيث شهد على ثبوتها في التوراة والإنجيل.

يقول ابن تيمية - بعد أن نفى التحريف والتبديل عن القرآن الكريم : هذا « بخلاف التورارة والإنجيل، فإن من ألفاظهما ما بدل معانيه وأحكامه اليهود أو النصارى، أو مجموعهما تبديلا ظاهرا مشهورا في عامتهم. كما بدلت اليهود مافي الكتب المتقدمة من البشارة بالمسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم، وما في التوراة من الشرائع وأمره في بعض الأخبار، وكما بدلت النصارى كثيرا مما في التوراة والنبوات من الأخبار ومن الشرائع التي لم يغيرها المسيح، فإن ما

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص٩.

نسخه الله على لسان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه»[1].

الدليل الخامس :

ويستدل ابن تيمية أخيرا على وقوع التحريف في العهد القديم بدليل واقعي، وهو الاختلاف الواقع بين نسختي التوراة، النسخة الموجودة في أيدي السامرة، والنسخة الموجودة تحت أيدي اليهود والنصارى.

وهذا يدل على عدم ثبات نص التوراة كما يدعي اليهود، بل على وقوع التحريف في هذا النص الأمر الذي أدى الى اختلاف النسختين.

يقول ابن تيمية :

« ... والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصاري، ومع هذا فنسخة السامرة – وقد رآها ابن تيمية واطلع عليها – مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر، ذكر في نسخة السامرة منها – من أمر استقبال الطور – ماليس في نسخة اليهود والنصارى. وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب، فإن عند السامرة نسخا متعددة.

وكذلك رأينا في الزبور نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا، مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داود – عليه السلام – وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة»[2].

---

(١) المرجع السابق.
وكذلك ج ٣ ص٢٩٩.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص٣٨٠.
وكذلك ج٢ ص٢٢.

وبهذه الأدلة يلزم ابن تيمية النصارى بوقوع التحريف في كتبهم سواء ما حرفوه بأنفسهم وهو العهد الجديد، أو ما وصل اليهم محرفا، وهو أسفار التوراة التي اعتمدوها جزءا من كتابهم المقدس، وأطلقوا عليها اسم العهد القديم، فكتب النصارى - قديمها وجديدها - قد نالها التحريف في نظر ابن تيمية بدلالة ما قدمه هنا من أدلة.

٤ - عوامل وقوع التحريف :

العامل الأول : ذكرنا في الفصل السابق عند الحديث عن انجيل عيسي - عليه السلام - أن هذا الانجيل كان موجوداً طوال حياة المسيح وبعد رفعه، ولكن النصارى بدأوا ينحرفون عنه الى انجيل آخر - كما يفهم من رسائل بولس - وإن كتاب الأناجيل الأربعة - مع اشارتهم إلى هذا الإنجيل - لم يذكروا أنهم أثبتوه في أناجيلهم التي كتبوها أو نقلوا عنه، ولكنهم كتبوا أناجيلهم من إما خلال ذكرياتهم لما شهدوه أو سمعوه ان كانوا من الحواريين، أو من خلال ما شاع على ألسنة الناس من أقوال المسيح وأحواله ان لم يكونوا منهم، ويبدو أن ذلك كان لفقد هذا الانجيل وضياعه خلال الفترة التي كتبوا فيها أناجيلهم.

ولقد كان هذا الوضع من أول العوامل التي أدت الى انحرافهم عن الإنجيل الصحيح، وتحريفهم لما ذكروه من أحوال المسيح والأقوال المنسوبة إليه أو المنسوبة الى الله عز وجل مما كان يتضمنه هذا الإنجيل، فليس لكل ما ذكروه من ذلك أساس مكتوب كتابة موثقة، ولاتستند روايتهم له الى سند متواتر ولا أمان لما ينقل عن طريق الذاكرة من أن يقع فيه الانحراف والتحريف. فإذا أضفنا الى ذلك أن دعوى العصمة لكتاب الأناجيل - كما يزعمون - دعوى بلا دليل، ووضعنا في اعتبارنا ما يذكره ابن تيمية في العامل التالي من أحوال

الاضطهادات التي كتبت خلالها تلك الأناجيل - اذا أضفنا ذلك في اعتبارنا فانه يتبين لنا بوضوح كيف أن ما قدمناه هنا كان من أول العوامل التي أدت الى تحريف الانجيل.

وقد سجل ابن تيمية على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هذه الظاهرة (ظاهرة عدم تواتره في النقل) واعتمد على ذلك في تقرير ما ذهب اليه الجمهور، من أن جميع ألفاظ هذه الكتب ليست من عند الله، بل وقع فيها التحريف بسبب عدم تواتر نقل نصوصها.

فـ « التوراة نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولا[1]، وأجلى منه بنو أسرائيل، ثم ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له : عازر، زعموا أنه نبي....

وأما الإنجيل الذى بأيديهم فأنهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح - عليه السلام -، ولا أملاه على من كتبه، وانما أملاه بعد رفع المسيح (متّى)، و (يوحنا) وكانا قد صحبا المسيح، ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر، و (مرقس) و (لوقا) وهما لم يريا المسيح - عليه السلام -. وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله. ونقل اثنين وثلاثة وأربعة يجوز عليهم الغلط، لا سيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب»[2].

العامل الثاني: يؤرخ ابن تيمية - بما يطول المقام بنقله هنا - للاضطهادات* العنيفة التى تعرض لها المسيحيون خلال القرون الأولى، وهى

---

(١) عام (٥٨٦ ق. م.) على يد بختنصر.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص٣٥٦.

* أنتظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ من ص٧ الى ص١٨.

الفترة التي كتبت فيها أناجيلهم ذاكراً كيف أن هذه الإناجيل كتبت خلال هذه الحقبة التاريخية المضطربة، ووسط هذا الاضطراب الشديد لا يمكن أن تتصل الأسانيد، ولهذا أعيدت كتابة هذه الكتب، ولا يمكن الثقة بسلامة هذه الكتابة وسط هذا الاضطراب و العسف الذى تعرض له المسيحيون من قبل الرومان الوثنيين ومن غيرهم، بل ومن المسيحين أنفسهم.

ومعنى ذلك : أن الاضطهاد الذى وقع على المسيحيين خلال الفترة التى كتبوا فيها أناجيلهم لم يتح لهم الفرصة لتوثيق ما نقلوه في أناجيلهم من أقوال المسيح وأحواله، وكان من عوامل تحريفهم وعدم ضبطهم لهذا النقل، بل ربما كان من عوامل ضياع انجيل عيسى الحقيقى، وعدم التمكن من المحافظة عليه.

العامل الثالث : إن جميع نسخ الانجيل ترجمت ترجمات كثيرة، ولا يمكن الثقة بصحة هذه الترجمات إلاّ «أن يعلم اللفظ الذى قاله، ويعلم ترجمته، ويعلم مراده بذلك اللفظ.

والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على وقوع الغلط في تفسير بعض الألفاظ، وبيان مراد الأنبياء بها، وفي ترجمة بعضها. فإنك تجد بالتوارة عدة نسخ مترجمة، وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم، وكذلك في الانجيل وغيره»[1].

وعلى هذا فالاحتمال قائم في تحريف نسخ الاناجيل لهذه الترجمات التى يصعب الاستيثاق منها لانقطاع سندها.

وهذا كله يفتح المجال أمام التحريف والتبديل في الكتب المقدسة عندهم

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص٣٥٢.

كأسفار العهد القديم.

٥ - نماذج لتحريف الأناجيل : قدمنا في أول هذا الفصل اتهام ابن تيمية للنصارى بالتحريف في كتبهم، وبيانه لهذا التحريف بنوعيه : اللفظي والمعنوي، وما أقامه من أدلة على وقوع هذا التحريف، وماذكره كذلك لهذا التحريف من العوامل التي أدت إليه.

ومع احاطه ابن تيمية بدراسته لموضوع التحريف من جميع هذه الجوانب، فإنه لم يعن بعرض نماذج له عناية من سبقه - أو لحقه - من العلماء الذين درسوا النصرانية بهذا الجانب.

فقد قام (أبو الريحان البيروني) المتوفى سنة (٤٤٠هـ) في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) بدراسة النصرانية في أناجيلها وفرقها وعقائدها وشعائرها، وسجل ظاهرة الاختلاف بين الأناجيل الأربعة، وذكر بعض النماذج للاختلاف الواقع بين هذه الأناجيل وتحريف نصوصها.

وممن اهتم كذلك بذكر أوجه الاختلاف بين الأناجيل، بل - وفي بعض الأحيان - في الإنجيل الواحد بعضه مع بعض : (ابن حزم الظاهرى) المتوفى سنة (٤٥٦هـ) وذلك في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، فقد نكر نماذج كثيرة لهذه الاختلافات والتحريفات[(١)].

وكذلك فعل (أبو عبيده الخزرجى)[(٢)] المتوفى سنة (٥٨٢هـ) في كتابه (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان)، حيث استدل على وقوع الاختلاف والتحريف بين الأناجيل بوجوه كثيرة استند فيها الى نصوص تلك الأناجيل[(٣)].

---

(١) انظر الاختلاف والتحريفات في الكتاب المذكور ج ٢ من ص١٠ الى ص٧٥.

(٢) انظر تعريف عنه في ص ١٣٠.

(٣) أنظر هذه الوجوه في الكتاب المذكور من ص٥٩ الى ص٧٣ تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي.

وكـذلك (أحـمـد بن ادريس المالكى المعـروف بالقـرافى)، المتـوفى سنة (٦٨٤هـ)، في كتابه (الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة)[١].

وممن عنى كذلك بذكر تحريفات الأناجيل وتناقضاتها – بعد ابن تيمية – (ابن قيم الجوزية) – تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية – المتوفى سنة (٧٥١هـ)، وذلك في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)[٢].

وممن عنى بذكر تحريفات الأناجيل وتناقضاتها كذلك (عبدالله الترجمان)، المتوفى سنة (٨٣٢هـ)، في كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)[٣].

وكذلك صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق)[٤]

والعلامة الشيخ (رحمة الله الهندى) في (اظهار الحق)[٥]

فذكروا من أمثلة تحريفات الأناجيل وتناقضاتها الشىء الكثير.

وكما قلنا : فان ابن تيمية لم يعن بهذا الموضوع عناية هؤلاء العلماء، بل اقتصر في هذا المقام على الاشارة الى تبديل اليهود للبشارات الواقعة في التوارة بمحمد وعيسى – عليهما الصلاة والسلام – وتبديل النصارى للبشارة الواقعة في الانجيل بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك الاشارة المجملة الى

---

(١) أنظر هده التناقضات في الكتاب المذكور من ص٢٩ الى ص٣٧ بها مش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ط ١.

(٢) أنظر الكتاب المذكور ص١١٢، ١١٣.

(٣) أنظر النماذج في الكتاب المذكور من ص١١١ الى ص١٢٦. تحقيق د. محمود على حماية.

(٤) هو الحاج عبد الرحمن بك أفندى باجه جى زاده : انظر النماذج فى طول الكتاب وعرضه.

(٥) أنظر الكتاب المذكور ج ١ من ص١٤٧ الى ص٢٧١، وكذلك نفس الجزء من ص٣٣٧ الى ص٥٠٨.

الاختلاف الواقع بين نسخ التوراة الموجودة عند اليهود والنصارى والسامرة، وكذلك نسخ الانجيل والزبور، وخلو بعض نسخ التوراة الموجودة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من ذكر اسمه، بينما هو موجود في بعض النسخ الأخرى، وكذلك الاختلاف الواقع بين هذه الكتب المذكورة وبين القرآن الكريم.

دون أن يذكر لهذه الاختلافات بين الأناجيل نماذج معينة كما فعل غيره من العلماء.

ونود أن نقدم – في هذا المقام – بعض هذه النماذج، استكمالا لحديث ابن تيمية عن التحريف، وتتميمًا للفائدة، وحتى يكون ما نذكره منها تدليلا واقعيا على صحة ما ذكرناه عن ابن تيمية في هذا الفصل حول قضية (التحريف اللفظي في الأناجيل).

فمن بين أنواع التحريف اللفظي الواقع في الكتاب المقدس عامة، وفي العهد الجديد خاصة، وفي الأناجيل بصورة أخص، – من بين أنواع التحريف هذه :

١ – التحريف بالتبديل.

٢ – التحريف بالزيادة.

٣ – التحريف بالنقصان.

وتجنبًا للاطالة في هذا المقام، سوف نقتصر في ذكر نماذج التحريف اللفظي (الذى ينكره النصارى) – من بين الكتب السابقة – على ذكر بعض ما أورده الشيخ (رحمة الله الهندى) في كتابه (اظهار الحق).

فقد أورد فيه على ذلك مائة شاهد، منها : خمسة وثلاثون شاهدا على

التحريف بالتبديل اللفظي، وخمسة وأربعون شاهدا على التحريف بالزيادة، وعشرون شاهدا على التحريف بالنقصان.

وقد ذكر هذه النماذج مدعمة بالوثائق، والاعترافات الصريحة من محققي المسيحية ومؤرخيهم . وسنختار بعض النماذج لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة للتحريف على سبيل المثال لا الحصر، فهى أكثر من أن تحصى. فنقول :

النوع الأول : التحريف اللفظي بالتبديل. ومن أمثلته :

أولا : التبديل الواقع فيمن حمل الصليب الى مكان الصلب، بين الأناجيل الثلاثة (متى، ومرقس، ولوقا) وبين انجيل (يوحنا). حيث اتفقت الأناجيل الثلاثة (متى، ومرقس، ولوقا) على أن الذى حمل الصليب الى مكان الصلب هو سمعان القيروانى[1]. وسار به خلف – من يزعمونه – المسيح – عليه السلام –.

أما نص إنجيل (يوحنا) فقد خالف الأناجيل الثلاثة فى حامل الصليب، حيث نفهم من روايته أن – من يحسبونه – المسيح هو الذى حمل الصليب منذ خروجه، وحتى مكان صلبه.

ويستحيل أن تكون كلا الروايتين صحيحة.

وإليك ما جاء فى إنجيل (متى) :

---

(١) هكذا أوردته الأناجيل، وهو خطأ. والصحيح : (قوريني) – كما صححه العلامة أحمد زكى باشا –؛ لأن القيروانى نسبة الى القيروان، أى العسكر. وهذه المدينة لم تكن موجودة فى ذلك العهد، بل أسسها عقبة بن نافع والى افريقيا من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة خمسين هجرية.

أنظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٣ ص٢٣٠ ط ٤.أما قورينة، فهى مستعمرة اغريقية، ثم دخلت تحت الحكم الرومانى عام (٩٦ق. م.).

أنظر : تاريخ العالم المجلد الرابع ص ١٧٤. نشرة بالأنجليزية : السيرجون ١٠. هامرتن وأشرف على ترجمته/ قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم بمصر.

«وفيما هم خارجون، وجدوا إنساناً قيروانياً[١] اسمه سمعان، فسخّروه ليحمل صليبه.»[٢]

وجاء في مرقس ما نصه :

«ثم خرجوا ليصلبوه، فسخّروا رجلاً مجتازًا، كان آتياً من الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو ألكسندروس وروفس، ليحمل صليبه وجاءوا به إلى موضع جلجثه[٣].....»[٤]

أما نص لوقا فهو كما يلي :

«ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل، ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع.»[٥]

فها نحن في روايات الأناجيل الثلاثة هذه، نجد أن حامل الصليب هو سمعان القيرواني. ليس هذا فحسب، بل وقد سار به خلف المسيح، كما تنص على ذلك رواية لوقا.

أما الرأي الثاني : الذي يفيد بأن حامل الصليب هو - من يزعمونه - المسيح، فهو ما جاء في إنجيل (يوحنا) من قوله :

---

(١) الصواب : قورينيا نسبة الى قورينة كما ذكرنا.

(٢) ٢٧ : ٣٢.

(٣) جلجثة هي الكلمة الآرامية لكلمة جمجمة. ويظن (جيروم) أن الاسم أطلق على الموضع بسبب وجود جماجم مكشوفه غير مدفونه. وافتكر غيره ان المكان كان ساحة للاعدام. والتفسير العادى الشائع ان المكان كان تلا على شكل جمجمه. (انظر قاموس الكتاب المقدس ص٢٦٧.

(٤) ١٥ : ٢٠ - ٢٢.

(٥) ٢٣ : ٢٦.

«فأخذوا يسوع، ومضوا به، فخرج، وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية : جلجثة حيث صلبوه ....»[1]

ونص (يوحنا) يخالف الأناجيل الثلاثة، فى حامل الصليب، حيث يذكر أن حامله هو – من يعتقدون أنه – المسيح ذاته.

ولعل « ماذكرته الأناجيل الثلاثة الأولى من أن (سمعان) هو الذى حمل الصليب، حيث كانت العادة تقضى – كذلك – بأن يحمل المذنب صليبه، ويطاف به – لعل فى ذلك ما يؤكد لنا إنتفاء وقوع الصليب على المسيح، ووقوعه على الشبيه – كما هى عقيدتنا – والشبيه هنا هو (سمعان) كما تقر بذلك الطوائف الغنوسية[1] فى القرن الثانى الميلادى.

أما إنفراد (يوحنا) بأن حامل الصليب هو المسيح، فلعل ذلك ما يدلنا على معرفة السبب الذى لأجله ألف (يوحنا) إنجيله؛ ليثبت ألوهية المسيح، وليس صلب المسيح إلا دليل واضح على ألوهيته كما يزعمون.

ثانياً : الإختلاف الحاصل بين إنجيلى (متى، ولوقا) حول شفاء المسيح لبعض ذوى الأمراض. حيث يذكر (متى) عن المسيح أنه :

«لما نزل فى الجبل تبعته جموع كثيرة، وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً : ياسيد، إن أردت تقدر أن تطهرنى، فمدّ يسوع يده ولمسه قائلاً : أريد، فاطهر، وللوقت طهر برصه ....

ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء إليه قائد مئة يطلب إليه ويقول : ياسيد،

---

(١) ١٩ : ١٧ – ١٨.

(٢) انظر تعريف عن هذه الطائفة ص٦٠٨ من هذه الرسالة.

غلامي مطروح في البيت مفلوجاً متعذباً جداً فقال له يسوع : أنا آتي واشفه ... ثم قال لقائد المئة : اذهب وكما آمنت ليكن لك، فبرأ غلامه في تلك الساعة.

ولما جاء يسوع الى بيت بطرس، رأى حماته مطروحة ومحمومة، فلمس يدها، فتركتها الحمى ....»[1]

فها نحن نرى أن (متّى) قد كتب أن المسيح قد شفى أولاً الأبرص بعد موعظة الجبل، ثم شفى عبد قائد المئة، بعدما دخل كفر ناحوم. ثم شفى حماة بطرس.

لكن لوقا قد خالفه في ذلك، حيث ذكر أن يسوع دخل أولاً بيت بطرس، فشفى حماة بطرس[2]، ثم شفى الأبرص[3]، ثم شفى أخيراً عبد قائد المئة.[4]

ولعل هذا وحده يكفينا دليلاً على عدم صحة مايقال من أنّ هذه الأسفار كتبت بالوحي أو الإرشاد من الروح القدس - التي يقصدون بها (الإله) - لأنّه لايمكن أن يكون من الإله هذا التبديل والإختلاف.

ثالثاً : ومن مظاهر التحريف بالتبديل ماجاء في إنجيل (مرقس) من قوله : «وظهر لهم ايليا مع موسى، وكانا يتكلمان مع يسوع، فجعل بطرس يقول ليسوع : ياسيدي جيد أن نكون هاهنا.»[5]

---

(١) ٨ : ١ - ٣، ٥ - ٧، ١٣، ١٤، ١٥.

(٢) ٤ : ٣٨.

(٣) ٥ : ١٢، ١٣.

(٤) ٧ : ٢ - ١٠.

(٥) ٩ : ٤، ٥.

فنحن نلاحظ فى هذ النص أن بطرس خاطب المسيح بلفظ (ياسيدى)، ولكنا نجد هذا اللفظ يبدل فى نص آخر، ويوضع بدلاً عنه لفظ (يارب).

من ذلك ما جاء فى إنجيل (متى) :

«وإذا موسى وايليا قد ظهرا أنهم يتكلمان معه، فجعل بطرس يقول ليسوع : يارب، جيد أن نكون هاهنا.»[1]

و «لايخفى إن لفظ (الرب) إذا لم يضف فإنه يقصد به الخالق جل وعلا، وإذا أضيف قصد به صاحب الشيء أو المالك له، كرب الدار، ورب الدابة .... إلخ. ومنه : قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : (اذكرنى عند ربك)[2] أى عند سيدك.[3]

وفى هذا النص من (متّى) ورد لفظ الرب مطلقا، فيراد به الخالق أو الإله، فكانت بدلاً من السيد فتغير المعنى بتغير اللفظ ...»[4]

النوع الثانى: التحريف اللفظى بالزيادة : من ذلك :

أولاً : ما جاء فى إنجيل (متى) من قوله :

«ولما صلبوه، اقتسموا ثيابه، مقترعين عليها؛ لكى يتم ماقيل بالنبى : اقتسموا ثيابى، وعلى لباسى ألقوا قرعة.»[5]

---

(١) ١٧ : ٣، ٤.

(٢) سورة يوسف/ آية ٤٢.

(٣) أى الحاكم أو الملك. أنظر الفخر الرازى (التفسير الكبير) المجلد التاسع ج ١٨ ص١٤٧.

(٤) سارة العبادى : التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ص ١٢٧ (رسالة ماجستير).

(٥) ٢٧ : ٣٥.

فعبارة «لكى يتم ماقيل بالنبى : اقتسموا ثيابى بينهم، وعلى لباسى ألقوا قرعة. «هذه العبارة الحاقية، «واجبة الحذف عند محققى النصارى، وقد حذفها كريسباخ. وأثبت (هورن) بالأدلة القاطعة أنها : الحاقية (مضافة). ثم قال : لقد استحسن كريسباخ فى تركها، بعدما ثبت عنده أنها كاذبة قطعا.»[1]

وقال آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره في ذيل الآية المذكورة.

« لابد من ترك هذه العبارة، لأنها ليست جزءا من المتن، وتركتها النسخ الصحيحة، وكذا تركها التراجم إلاّ شذوذا، وكذا تركها غير المحصورين من القدماءوهي الحاقية»[2].

ثانياً : وحين نأتى إلى إنجيل مرقس، نجد أنه قد جاء فى الإصحاح الثانى منه فقرة (١٧) على لسان المسيح : «لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة للتوبة».

ولقد ثبت لدى المحققين والمفسرين المسيحيين أن : «لفظ» « للتوبة» إلحاقى. وأن آدم كلارك بعدما أثبت إلحاقيته فى ذيل شرح هذه الآية قال : أسقطه كريسباخ من المتن، وتبعه كروتيس ومل وينجل.»[3]

ثالثاً : ليس هذا فحسب، بل أن خاتمة إنجيل (مرقس) بها اثنتا عشرة فقرة منه - مشكوك فى صحتها، ويكاد يكون هناك اجماع من محققى النصارى ومفسرى أناجيلهم على أنها إلحاقية، وأنها ليست منه.

---

(١) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج ١ ص٣٩٤.

(٢) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج ١ ص٣٩٤.

(٣) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندى : إظهار الحق ج ١ ص٤٠٦.

ونص هذه الخاتمة المضافة هو كما يلي :

«وبعدما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون، فلما سمع أولئك أنه حي، وقد نظرته لم يصدقوا، وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم، وهما يمشيان منطلقيْن إلى البرية، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولاهذين.

أخيرا ظهر للأحد عشر، وهم متكئون، ووبّخ عدم إيمانهم، وقساوة قلوبهم؛ لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام، وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع، وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين بأسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة يحملون حيّات، وان شربوا شيئاً مميتاً لايضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.

ثم أن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله، وأمّا هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم، ويثبت الكلام بالآيات التابعة آمين.»(١)

لاشك أن هذا ليس تحريفاً فحسب، بل هذيان.

ويقول الدكتور (وليم باركلي) مفسر إنجيل مرقس عند تعليقه على هذا النص :

«أن إنجيل (مرقس) ينتهي إلى عدد (٨) من هذا الإصحاح. أما عدد

---

(١) ١٦ : ٩ - ٢٠.

(٩– ٢٠) فلم نجده فى المخطوطات القديمة الموثوق بها، ويلوح أن أحدهم قد لخّص عمل الكنيسة وحياتها، ووضع هذا الملخص ليكون بديلاً عن تلك النهاية المبتورة ....»[١]

وللأستاذ (دنيس اريك ننهام) – أستاذ اللاهوت بجامعة لندن، ورئيس تحرير سلسلة بليكان لتفسير الإنجيل – تعليق على نهاية تفسير (مرقس) هذه، حيث يقول :

«أنه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ – ٢٠) تظهر فى أغلب النسخ الموجودة لدينا من إنجيل مرقس (مثل النسخة المعتمدة وما يناظرها) إلاّ أن النسخة القياسية المراجعة (من العهد الجديد) مصيبة تماماً فى اعتبارها غير شرعية، منزلة إياها من النص إلى الهامش.»[٢]

وأن العالم الكاثوليكى الكبير (لاجرانج) واضح تماماً فى قوله حول هذه الآيات. حيث يقول :

«أنه على الرغم من قانونيتها (أى أنها جزء من الكتاب المقدس)، فانها ليست قانونية بالمعنى الحرفى، أى ليست من عمل القديس مرقس ...»[٣]

رابعاً : ووردت فى الإصحاح السابع من إنجيل (لوقا) « زيادة »، اعترف بها مفسرو النصارى ومحققوهم. والنص الذى اتضح فيه التحريف بالزيادة هو

---

(١) تفسير انجيل مرقس ص٤٣٠/ ٤٣١.

(٢) تفسير انجيل مرقس ص٤٤٩.

نقلا من كتاب : المهندس احمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٩٤.

(٣) المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٩٤.

: «ثم قال الرب : فيمن أشبه أناس هذا الجيل، وماذا يشبهون، يشبهون أولاداً جالسين فى السوق ينادون بعضهم بعضاً ويقولون :

زمّرنا لكم فلم ترقصوا، نُحْنا لكم فلم تبكوا ..»[1]

يقول الشيخ رحمة الله الهندى تعليقاً على هذه الزيادة :

«ان هذه الجملة «ثم قال الرب ......» زيدت تحريفًا.»[2]

ويستشهد على ذلك بقول المفسر آدم كلارك فى ذيل هذه الآية حيث يقول :

«هذه الألفاظ ما كانت أجزاءاً لمتن (لوقا) قط؛ ولهذا الأمر شهادة تامة، وردّ كل محقق هذه الألفاظ، وأخرجها بنجل، وكريسباخ من المتن.»[3]

ثم يستطرد الشيخ (رحمة الله الهندى) ويتساءل مقرراً :

« ... أليس إدخال الألفاظ التى تثبت زيادتها بالشهادة التامة، وردّها كل محقق في الكلام الذى هو كلام الله - فى زعمهم - أليس ذلك من أقسام التحريف.»[4]

خامساً : وقد اتفق عدد من مؤرخى ومحققى المسيحية على أن «الآية

---

(١) ٣١ : ٣٢.

(٢) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندى ج ١ ص٣٩٠.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج ١ ص٣٩٠.

الثالثة والخمسين من الباب السابع، وإحدى عشرة آية من الباب الثامن من إنجيل يوحنا «إلحاقية».

قال (هورن) فى إلحاقية هذه الآيات :

«آرازمس، وكالوين، وبيزا، وكرويتس ... والآخرون من المصنفين الذين ذكرهم ونفينس، وكوجر، لايسلمون صدق هذه الآيات ...

ثم قال : كرايزاستم، وتهيوفلكت، ونونس، كتبوا شروحا على هذا الإنجيل، فما شرحوا هذه الآيات، بل ما نقلوها فى شروحهم، وكتب ترتولين وساى برن رسائل فى باب الزنا والعفة، وما تمسكا بهذه الآيات، ولو كانت هذه الآيات فى نسخهما لذكراها أو تمسكا بها يقينا.»[1]

وقال (واردكاتلك) :

«بعض القدماء اعترض على أول الباب الثامن من إنجيل يوحنا، وحكم (نورتن) بأن هذه الآيات الحاقية يقينا.»[2]

النوع الثالث: التحريف اللفظى بالنقصان:

هناك عشرون شاهدا على التحريف بالنقصان، - كما قلنا - أوردها الشيخ (رحمة الله الهندى) فى كتابه (اظهار الحق).

ولاشك أن ذلك النقص فى نصوص كتاب مقدس يفقده قداسته لو كان لفظا أو جملة،فما بالك والنقص فى الأناجيل واضح فى سقوط إصحاحات

---

(١) المرجع السابق ص٤٠٥.

(٢) المرجع السابق.

بكاملها ... إن ذلك لأمر خطير جداً.

من ذلك ما جاء فى إنجيل (متى) فيما يحكيه عن سيرة المسيح من أنه :

«أتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة، لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا.»[1]

عبارة : «لكى يتم ماقيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا «قد انفرد بها (متّى) عن بقية الأناجيل، فلا توجد هذه العبارة فيها. يقول علماء الكاثوليك :

«إن هذا كان فى كتب الأنبياء، لكن اليهود ضيعوا هذه الكتب قصدا لمعاندة الدين المسيحى.»[2]

ويقول صاحب اظهار الحق تعلقا على ذلك :

«أى تحريف بالنقصان يكون أزيد من أن تضيع فرقة الكتب الإلهامية قصداً؛ للأغراض النفسية ؛ ولعناد ملة أخرى.»[3]

ثم يستشهد بما جاء فى كتاب (مَمْردكاتلك) « سؤالات السؤال » من قوله : «الكتب التى كان فيها هذا - يعنى مانقله (متى) - انمحت ؛ لأن كتب الأنبياء الموجودة الآن لايوجد فى أحد منها أن عيسى يدعى ناصرياً.»

ثم قال : (كرايزاستم) فى تفسيره التاسع على (متى) :

«انمحى كثير من كتب الأنبياء؛ لأن اليهود ضيعوا كتبا لأجل غفلتهم، بل

---

(١) ٢ : ٢٣.

(٢) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج ١ ص٤٣١.

(٣) المرجع السابق نفسه.

لأجل عدم ديانتهم، ومزقوا بعضها، وأحرقوا بعضها.»

ثم يقول (ممربكاتلك) تعقيباً على قول (كرايزاستم) هذا : «وهذا هو الأغلب أنهم مزقوا الكتب وحرقوها؛ لأنهم لما رأوا أن الحواريين يتمسكون بهذه الكتب فى اثبات مسائل الملة المسيحية فعلوا هذا الأمر ... »[1].

وفى الإنجيل المنسوب إلى مرقس جاء مايلى على لسان المسيح :

«ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات زلاّتكم، وإن لم تغفروا أنتم لايغفر أبوكم الذى فى السموات أيضا زلاّتكم.»[2]

ويرى الأستاذ / دنيس نينهام أن عبارة : «وإن لم تغفروا أنتم لايغفر أبوكم الذى فى السموات أيضا زلاتكم» هى المحذوفة من بعض النسخ الحديثة.

يقول فى ذلك :

«فمع أن هذه العبارة ثابتة فى المراجع القديمة إلاّ أنها قد حذفت فى بعض النسخ الحديثة.»[3]

أما عن إنجيل (لوقا) فقد جاء على لسان (هورن) ما يعترف فيه صراحة بسقوط آية كاملة منه ويطالب بارجاعها فيه فيقول :

---

(١) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج ١ ص٤٣١.

(٢) ١١ : ٢٥ – ٢٦.

(٣) تفسير انجيل مرقس ص٢٩٧ نقلاً عن المهندس : احمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٩٨.

«سقطت آية تامة مابين الآية الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين من الباب الحادى والعشرين من إنجيل (لوقا)، فلتزد، بعد أخذها من الآية السادسة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من إنجيل (متّى)، أو من الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من إنجيل (مرقس)؛ ليكون (لوقا) موافقا للإنجيلين الآخرين.

ثم قال فى الحاشية :

«أغمض المحققون والمفسرون كلهم عيونهم عن هذا النقصان العظيم، الواقع فى متن (لوقا) حتى توجّه عليه (هلز).»[1]

والآية الساقطة من إنجيل (لوقا) والتى يطالب بإضافتها هى :

«وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الإبن إلا الآب.»[2]

وهناك فى إنجيل (يوحنا) توجد أربعة إصحاحات، من الإصحاح الرابع عشر إلى الإصحاح السابع عشر، كلها تتحدث عن المسيح وخطبته الطويلة المتضمنة للوعظ والإرشاد لتلاميذه، ومناجاته لربه، بينما بقية الأناجيل الأخرى قد أغفلتها تماما.

ونتساءل .... هل الخطبة فى إنجيل يوحنا صحيحة أم لا؟ وإن كانت صحيحة فلماذا أغفلها كتاب الأناجيل الثلاثة الآخرون؟

---

(١) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج ١ ص٤٢٢.

(٢) أنظر انجيل مرقس ١٣ : ٣٢، وكذلك انجيل (متّى) : ٢٤ : ٣٦.

إنهم بذلك قد تهاونوا فى مسؤليتهم وعملهم.

وإن كانت غير صحيحة فكيف يسمحون لأنفسهم بأن يتلقوا دينهم عن شخص واحد هو (يوحنا)، حيث إن من شروط ثبوت أصل الأديان هو التواتر.؟

ويتساءل مثلنا الدكتور (موريس بوكاى) - متحيراً - عن سبب كيفية سقوط هذه الخطبة الطويلة من الأناجيل الثلاثة الأول، ولايعرف لسؤاله إجابة فيقول :

«كيف يمكن أن نشرح الغياب التام فى أناجيل (متى، ومرقس، ولوقا) لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على الوصية الروحية للمسيح؟ يمكن أن نطرح السؤال التالى :

هل كان النص أولاً عند المبشرين الثلاثة الأولين؟ ألم يحذف فيما بعد؟ ولماذا؟ ولنقل فوراً :

إنه لايمكن الإثبات بأية إجابة، فاللغز مستغلق تماماً بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة فى رواية المبشرين الثلاثة الأولين.»[١]

ثم أن هناك أمرا فى غاية الأهمية وهو : إغفال الأناجيل الأربعة لذكر حادثة تكلم عيسى فى المهد؛[٢] لتبرئة أمه الطاهرة مما اتهمها به اليهود، واغفالهم لها عندما رأوها تحمله.

هذا الإغفال دليل واضح على ما فى أناجيلهم من خلل وتحريف، وكان

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٢٥ ط ٤.

(٢) حسبما جاءت فى سورة مريم : الآيات من ٢٧ - ٣٣.

الأحرى بكتّاب الأناجيل أن يذكروها فى كتبهم ، حيث أنها تتعلق بمن يزعمون ألوهيته.[1] لكنهم حذفوها وأسقطوها من أناجيلهم؛ خوفا من اليهود الذين أظهروا عداوتهم لعيسى حين جاءهم بالرسالة.[2]

«وبكل طرق الإثبات والتمحيص والتحليل الدينى والتاريخى والعلمى ، فإن كتابا يحذف الناس منه ما يريدون، ويثبتون فيه ما يودون، لايليق مطلقاً أن نقول عنه : إنه وحى من عند الله تعالى.»[3]

هذه هي بعض التحريفات الواقعة في أناجيل النصارى الحالية، وهى غيض من فيض وقليل من كثير[4]، وليس هنا مكان حصرها حتى لانخرج بالبحث عن نطاقه ومضمونه.

«إن كل هذه البراهين، بل وأضعاف أضعافها، لاتملأ أعين النصارى، ولاتكفى لإقناعهم بزيف ما يتداولونه من أناجيل؛ لأنه لن يكون نصرانياً بالمعنى الصحيح عندهم إلاّ من يلغى عقله ويتلقى تعاليم الكنيسة، وتخريفات دجاجلتها بفكر مغلق، وقلب أصم، وعين لاترى إلاّ بالمنظار الذى يصنعه أولئك الدجّالون، بل إن مجرد التفكير فى مناقشة هذه التعاليم عند بعضهم يعتبر هرطقة وتجديفاً.»[5]

---

(١) أنظر : سارة العبادى : التحريف والتناقض فى الأناجيل الأربعة ص١٦٣. (رسالة ماجستير).

(٢) أنظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير المجلد ١١ ج ٢١ ص٢١٧.

(٣) أنظر : معالى عبد الحميد حمودة : جريدة الندوة العدد ٧٢٩٦ فى ١٤٠٣/٥/٢٣هـ.

(٤) أنظر : المسعودى : مختصر كتاب تجميل من حرف الانجيل (مخطوطة) من ص٤٢ الى ص٦٩. وأنظر كذلك هامش رقم (١) ص٧٩ من هذه الرسالة. وأيضا الهوامش الموجودة في ص٨٠ من هذه الرسالة حيث فيها احالة الى اسماء الكتب التى أسهبت فى سرد التناقضات والتحريفات في الأناجيل.

(٥) أنظر : ابراهيم سليمان الجبهان : معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير ص٤٦ ط٤.

وما أصدق (سان أوغسطين) – وهو أخبث رجال الكنيسة – عندما يريد أن يقطع أى مناقشة فى عقيدته يصرخ قائلاً "

«أنا مؤمن؛ لأن ذلك لايتفق والعقل».[1]

ويقول الأستاذ ابراهيم الجبهان تعليقاً على ذلك :

«لاأدرى والله، أى فرق بين المجانين وبين من يضربون بعقولهم عرض الحائط؟!!![2]

ب – شبهات النصارى على عدم تحريف كتبهم وإبطال ابن تيمية لها :

الواقع أن النصارى لايسلّمون بالقول بوقوع التحريف اللفظى فى كتبهم، بل لقد وجد من المعاصرين من ألّف كتاباً بعنوان (استحالة التحريف فى الكتاب المقدس).

ولكننا فى هذا المقام لايعنينا أن نعرض لهذا الكتاب وما فيه، بل إن مقصدنا فقط هو أن نستعرض ماأورده ابن تيمية ونقله عن النصارى فى عهده أو فيما قبله من شبهات دفاعاً عن كتبهم وبياناً منهم بعدم تحريفها ثم إبطال ابن تيمية لشبهاتهم فى هذا المقام وذلك على النحو الآتى :

الشبهة الأولى:

يذكر ابن تيمية عن النصارى القول باستحالة تحريف كتابهم المقدس

---

(١) المسيواتيين دينية : اشعة خاصة بنور الاسلام ص٥٥ نقلاً عن د. رؤوف شلبى : أضواء على المسيحية ص١٢٩.

(٢) معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفى التبشير ص٦٤ ط ٤.

المكتوب باثنين وسبعين لساناً والمتعدد النسخ فى كل لسان والذى مضى عليه إلى مجىء النبى محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من ستمائة سنة، ويتساء لون في ذلك قائلين :

«إذا كان الكتاب الذى لهم (أى المسلمين) الذى هو باللسان الواحد لايمكن تبديله ولاتغيير حرف واحد منه، فكيف يمكن تغيير كتبنا التى هى مكتوبة باثنين وسبعين لسانا؟ وفى كل لسان منها كذا وكذا ألف نسخة ؟ وجاز عليها[١] إلى مجىء محمد أكثر من ستمائة سنة، وصارت فى أيدى الناس يقرءونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم؟!»[٢]

وجماع رد ابن تيمية على هذه الشبهة :

إننا لم ندّعِ وقوع التحريف في جميع النسخ بجميع اللغات، بل فى بعضها لفظيا.

وأما وقوع التحريف المعنوى فمسلّم به من الجميع ولاوجه لقياس الأناجيل على القرآن المتواتر المحفوظ فى الصدور، وأن كثرة النسخ فى اللغات الكثيرة - على عكس ما يظنون - مما يتيح الفرصة للتحريف فى كتبهم دون أن يتنبّه إليه أحد بخلاف الحال فى القرآن المكتوب بلغة واحدة. هذا بالإضافة إلى أن ماتضمنته هذه الأناجيل من أقوال المسيح كما نقلها عنه أصحابها، إنما هى أقوال مترجمة - لأن عيسى لم يكن يتكلم إلا العبرية - ومع كثرة الترجمات يقع التحريف فيما نقل عن عيسى - عليه السلام - لامحالة.

---

(١) جاز عليها : أى مضى عليها.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ص٢٠، ص١٦.

يقول ابن تيمية فى تفصيل جوابه عن هذه الشبهة :

أولاً : « إن المسلمين لم يدّعوا أن هذه الكتب حُرِّفَتْ بعد انتشارها وكثرة النسخ بها، ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير فى كثير من معانيها وكثير من أحكامها، وهذا مما تسلمه النصارى جميعهم فى التوراة والنبوات المتقدمة، فإنهم يسلمون أن اليهود بدّلوا كثيرا من معانيها وأحكامها، ومما تسلمه النصارى فى فرقهم، أن كل فرقة تخالف الأخرى فيما تفسر به الكتب المتقدمة.

ومما تسلّمه اليهود، أنهم متفقون على أن النصارى تفسّر التوراة والنبوات المتقدمة على الإنجيل بما يخالف معانيها، وأنها بدّلت أحكام التوراة، فصار تبديل كثير من معانى الكتب المتقدمة متفقا عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.»[1]

ثانيا : « ان قياسهم كتبهم على القرآن – مع أنه لم تسمع دعوى التبديل فيه –قياس باطل في معناه ولفظه....

... فالمسلمون عندهم – منقولة عن نبيهم نقلاً متواترا – ثلاثة أمور :

لفظ القرآن، ومعانيه التى أجمع المسلمون عليها، والسنة المتواترة، وهى الحكمة التى أنزلها الله عليه غير القرآن. كما قال تعالى : «{كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة}»[2].

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ص٥.

(٢) سورة البقرة/ آية ١٥١.

وقال صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه)(١).

..... وأيضا فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظًا يستغنون به عن المصاحف، كما ثبت في الصحيح الذى رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (... إن ربي قال لي : إني منزل عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرأه نائمًا ويقظانًا)(٢).

..... والقرآن مازال محفوظًا في الصدور نقلاً متواترًا حتى لو أراد مريد أن يغيّر شيئا من المصاحف، وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غيّر المصحف لحفظهم للقرآن، من غير أن يقابلوه بمصحف آخر، وأنكروا ذلك.

أما أهل الكتاب فيقدر الانسان منهم أن يكتب نسخا كثيرة من التوراة والإنجيل، ويغيّر بعضها، ويعرضها على كثير من علمائهم، ولا يعرفون ما غيّر منها ان لم يعرضوه على النسخ التى عندهم، ولهذا لما غيّر من نسخ التوراة راج ذلك على طوائف منهم، ولم يعلموا التغيير(٣).

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده ج ٤ ص١٣٠/١٣١.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه/ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ج ٤ ص٢١٩٧ رقم الحديث (٦٣) ط ٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

(٣) لعل في الحكاية الاتية ما يؤكد صحة ماذهب اليه ابن تيمية هنا، حيث جاء فى كتاب (المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل) للمسعودى صفحة (٤٢/٤٣) مانصه : «يحكى أن بعض أمراء المؤمنين كان فى خدمته نصراني، وكان معجبا به، فأمره بالاسلام، فامتنع ثم غاب عنه ثلاثة أعوام، ثم حضر، فأسلم. فقال له : ماسبب غيبتك فقال : كتبت الانجيل، وألحقت به أمورا شتى، لم ينطق بها كتاب ولا يقبلها عقل. ثم جئت الرهبان، فعرضته عليهم، فتبركوا به ولم يردوا منه حرفا واحدا مما اخترعته فيه. ثم عمدت الى التورارة ففعلت فيها مثل ذلك، وعرضتها على اليهود، فقبلوا ذلك ولم يردوا عليّ حرفا واحدا. ثم عمدت الى القرآن، ففعلت فيه مثل ذلك، ثم عرضته على المسلمين، فردوه عليّ، ومقتوني، وما كدت أسلم منهم من القتل فعلمت أنه الدين الحق،

=

وأيضا فالمسلمون لهم الأسانيد المتصلة، بنقل العدول الثقات لدقيق الدين، كما نقل العامة جليله، وليس هذا لأهل الكتاب»(١).

ثالثا : « وأيضا فما نكروه من أن كتبهم مكتوبة باثنين وسبعين لسانا هو أقرب الى التغيير من الكتاب الواحد باللغة الواحدة، فإن هذا مما يحفظه الخلق الكثير، فلا يقدر أحد أن يغيّره »(٢).

رابعا :* « ... معلوم باتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلاّ بالعبرية» فالكلام المنقول عنه في الإنجيل انما تكلم به عبريا، ثم ترجم من تلك اللغة الى غيرها، والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً، كما وجدنا في زماننا من يترجم التوراة من العبرية إلى العربية، ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذّاق الصادقون ممن يعرف اللغتين»(٣).

«وإذا قدّر أن بعض النسخ الموجودة ببعض الألسنة غيّر بعض مافيها، لم يعلم ذلك سائر أهل الألسن الباقية، بل ولم يعلم بذلك سائر أهل النسخ الأخرى، فالتغيير فيها ممكن، كما يمكن في نظائر ذلك»(٤).

= المحفوظ من التبديل، والتغيير، وأن الكتب التي بأيديهم رتبوها على معتقداتهم، وأنه لاحقيقة لأكثرها فدخل عليّ الإسلام.

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص ٥ – ٧، بتصرف قليل وتلخيص.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ، ص ٧.

* هذا الرد الرابع على أساس احتواء هذه الأناجيل على بعض ما حفظه كتابها من كلام المسيح، وإلا فان هذه الأناجيل من كتابة أصحابها ولا تمثّل انجيل المسيح، فهي أناجيل مبدلة فضلا عن وقوع التحريف في ترجماتها.

(٣) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص ١٧

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٧ ، ٨.

الشبهة الثانية:

يحتج النصارى بأن جميع نسخ الأناجيل على كثرتها متحدة لفظًا ومعنى ويحتاج تحريفها الى جمع جميع النسخ وهذا أمر متعذّر. ويرد عليهم ابن تيمية متسائلا مسنكرًا دعواهم : اتفاق جميع نسخ كتبهم لفظًا ومعنى فيقول :

أولا : « ... من الذى يعلم اثنين وسبعين لغة؟ ومن الذى حكم على الدنيا، ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على جميع من بأقطار الأرض، وجمعها من أربع زوايا الأرض، وأحضر كل نسخة موجودة في جميع الأرض، وقابل كل نسخة موجودة في جميع الأرض بجميع النسخ، فوجد جميع ألفاظ جميع النسخ التى باثنين وسبعين لسانًا من جميع أقطار الأرض لفظا لم يختلف ألفاظها؟ فان دعوى العلم بهذا ممتنع أعظم من امتناع دعوى تغييرها، فإنه إن أمكن أحد أن يجمع جميع النسخ كانت قدرته على تغيير بعض ألفاظها كلها أيسر عليه من مقابلة كل ما في نسخة بجميع ما في سائر النسخ. فإنا إذا أحضرنا من كتاب من الكتب عشرة نسخ كان تغيير بعض ألفاظ العشرة أيسر علينا من مقابلة كل واحدة من العشرة بالتسعة الباقية. إذ المقابلة يحتاج فيها إلى معرفة جميع ألفاظ كل نسخة ومساواتها للأخرى.

وأما التغيير فيكفي فيه أن يغير من كل نسخة ما يغيره من الأخرى، فإن كان تغيير جميع النسخ ممتنعا في العادة فالعلم باتفاقها أشدّ امتناعًا، وان كان العلم باتفاقها ممكنًا، فإمكان تغيير بعض ألفاظها أيسر وأيسر»[1] .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ص ٢١، ٢٢.

ثانيا : دعوى اتفاق ألفاظ جميع النسخ في جميع زوايا الأرض هى :

«دعوى خلاف الواقع، فإن الاختلاف في نسخ التوراة والإنجيل والزبور موجود، قد رأيناه بأعيننا*، ورآه غيرنا ....»[1].

ويقول ابن تيمية أيضا :

ان « ما ادعوه من تعذر جمع جميع النسخ هو حجة عليهم، فإن ذلك إذا كان متعذرًا لم يمكن الجزم باتفاق جميع النسخ لواحد، حتى يشهد بأنها كلها متفقة لفظا ومعنى. بل إن إمكان التغيير فيها (أى فيما لو أمكن جمعها) أيسر من امكان الشهادة باتفاقها؛ ولهذا لا يمكن أحد تغيير القرآن مع كونه محفوظا في القلوب منقولاً بالتواتر، مع أنا لا نشهد لجميع المصاحف بالاتفاق، بل قد يقع في بعض نسخ المصاحف ماهو غلط يعلمه حفاظ القرآن، ولا يحتاجون الى اعتبار ذلك بمصحف آخر، وتلك الكتب لا يحفظ كلامها قوم من أهل التواتر حتى تعتبر النسخ بها، ولكن لما كان الأنبياء – عليهم السلام – فيهم موجودين كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه، إذا غيّر بعض الناس شيئا من الكتب، فلما انقطعت النبوة فيهم أسرع فيهم التغيير»[2].

---

* يكشف لنا ابن تيمية عن بعض ما رآه من تغيير، و ضرب لنا الأمثلة لذلك : حيث رأي التوراة التي عند السامرة تخالف توراة اليهود والنصارى حتى في العشر الكلمات، فذكر السامرة فيها من أمر استقبال الطور مالا يوجد في نسخ اليهود والنصارى. وكذلك بين نسخ اليهود والنصاري اختلاف معروف، ونسخ الأنجيل مختلفة. ورأي عدة نسخ بالزبور يخالف بعضا بعضا اختلافا كثيرا. حيث رأى من نسخ الزبور مافيه تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه، ورأي نسخة أخرى بالزبور خالية من ذلك. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص ٢٢، ٢٧.

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق ج٢ ، ص ٨.

الشبهة الثالثة:

يحتج النصارى على استحالة التحريف في كتبهم، بأنها منقولة عن الحواريين وهم عندهم «رسل معصومون، ترجموها لجميع الأمم، بخلاف القرآن، فإنه إنما يترجمه من ليس بمعصوم»[1].

ويرد ابن تيمية على ذلك بأن الحواريين ليسوا بأنبياء الله ورسله، وإنما هم رسل المسيح – عليه السلام – بمنزلة رسل محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فليسوا معصومين حتى ولو ظهرت على أيديهم الخوارق الدالة على ولاية الله لهم. وعلى هذا فكتابتهم للأناجيل وترجمتهم لها لاتكون معصومة – كما يزعمون – فضلا عن أن هؤلاء الحواريين لم يترجموا الأناجيل الى لغات العالم التي هي أكثر مما يعدّون، فلم توجد هذه الترجمات المنقولة عنهم لا في العربية ولا في غيرها، وإنما هي ترجمات قام بها غيرهم فكيف يقال : إنها ترجمات معصومة يستحيل أن يدخلها التحريف ؟!.

أولا : « إن هذا كذب بيّن، فإن من العرب من النصارى من لا يحص عدده إلا الله تعالى، وكان فيهم نصارى كثيرون تنصّروا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وكان فيهم قوم على دين المسيح الذي لم يبدّل وهم مؤمنون من أهل الجنة، كسائر من كان على دين المسيح عليه السلام ... ومع هذا فليس على وجه الأرض توراة ولا انجيل معرّب من عهد الحواريين، بل التوراة العبرية تنقل من اللسان العبري أو غيره الى العربية، وكذلك الانجيل ينقل من اللسان الرومي أو السرياني أو اليوناني أو غيره الى اللغة العربية، فلو كان عند كل أمة

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ١ ص ٢٠٠.

من الأمم توراة وإنجيل ونبوات بلسانهم لكان نصارى العرب أحقّ بهذا من نصارى الحبشة والصقالبة والهند، فإنهم جيران البيت المقدس، وهم بنوا اسماعيل عليه السلام. والأناجيل عندهم أربعة، وهم يدّعون أن كل واحد كتبها بلسان.

كتبت بلسان العبري، والرومي، واليوناني...

وإذا كان واحد من الأربعة كتب انجيلاً بلسانه، لم يكن هناك إنجيل واحد أصلي ترجع اليه الأناجيل كلها*. ثم إنهم مع هذا يدعون أنها ترجمت باثنين وسبعين لساناً (وقد بيّنا ما فيه من الكذب والتناقض)(١).

..... لكن غاية ما يدّعون أنها ترجمت باثنين وسبعين لساناً، ومعلوم أن الألسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة في زماننا، وقبل زماننا أكثر من هذا، كما يعرفه من عرف أحوال العالم، بل اللسان الواحد كالعربي والفارسي والتركي جنس تحته أنواع مختلفة لا يفهم بعضهم لسان بعض إلاّ أن يتعلمه منهم، والعرب أقرب الأمم الى بني اسحاق (بنو اسرائيل والعيص)(٢) فانهم (أي العرب) بنو اسماعيل وجيرانهم، فإن أهل الحجاز جيران الشام،

---

* من الحقائق الثابتة : استغلال كل كاتب من كتّاب الأناجيل بكتابة انجيله كتاريخ لحياة المسيح، ونقله لأقواله، وان هذه الأناجيل ليست ترجمات مختلفة أو نقولا متعددة لانجيل واحد يعد أصلا لها.

(١) أنظر ص ١٠٤ من هذه الرسالة.

(٢) في معرض ذكر الرازي لبشارات العهد القديم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم تحدّث عن بني اسرائيل والعيص فقال :

« اتفق المفسرون على أن اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم.

ويقولون : ان معنى اسرائيل (عبدالله)؛ لأن « اسرا » في لغتهم هو العبد، و «ايل» هو الله.

ولم يكن ليعقوب أخ إلاّ العيص، ولم يكن للعيص ولد من الأنبياء سوى أيوب، وانه كان قبل موسى. وأما اسماعيل فإنه كان أخاً لاسحاق والد يعقوب.

انظر التفسير الكبير المجلد الثاني ج ٣ ص ٣١ ، ٣٨.

ومكة لم تزل تحج اليها العرب ولم يكن، قط عند العرب توراة ولا إنجيل لا معرب ولا غير معرب؛ ولهذا قال تعالى :{لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك}(١)، فكيف يدعي أن التوراة والإنجيل ترجمهما الحواريون، لكل قوم من جميع بني آدم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، بلسان يفهمونه به، وهل يقول هذا إلاّ من هو أكذب الناس وأجهلهم؟!»(٢).

ثانيًا : « أن يقال : ترجمة الكلام من لغة إلى لغة لا يحتاج إلى معصوم، بل هذا أمر تعلمه الأمم، فكل من عرف اللسانين أمكنه الترجمة، ويحصل العلم بذلك اذا كان المترجمون كثيرين متفرقين لا يتواطؤن على الكذب، بقرائن تقترن بخبر أحدهم وبغير ذلك، وهذا موجود معلوم، بل إذا ترجمه اثنان كل منهما لا يعرف ما يقوله الأخر، ولم يتواطآ، حصل بذلك المقصود في الغالب، وهم يذكرون أن التوراة ترجمها اثنان وسبعون حَبْرًا من اليهود، ولم يكونوا معصومين، وأن الملك فرقهم لئلا يتوطؤا على الكذب، واتفقوا على ترجمة واحدة، وهذا كان بعد الخراب الأول، فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة، وهذه التوارة في زماننا والإنجيل والزبور يترجم باللغة العربية، ويعرف المقصود به بلا ريب، فكيف بالقرآن الذى يفهم أهله معناه ويفسّرونه ويترجمونه أكمل وأحسن مما يترجم أهل التوراة والإنجيل، التوراة والإنجيل؟!»(٣).

ثالثا : « إن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين، وأنهم رسل الله بمنزلة ابراهيم وموسى عليهما السلام، دعوى ممنوعة وهى باطلة، وإنما هم رسل المسيح – عليه السلام – بمنزلة رسل موسى ورسل ابراهيم ورسل محمد

---

(١) سورة القصص / آية ٤٦.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٢٠١ ، ٢٠٢.

صلى الله عليه وسلم، وأكثر النصارى أو كثير منهم أو كلهم يقولون : هم رسل الله وليسوا بأنبياء، وكل من ليس بنبي فليس برسول الله وليس بمعصوم، وأن كانت له خوارق عادات، كأولياء الله من المسلمين وغيرهم، فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ، والخوارق التى تجري على أيدى غير الأنبياء، لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء، فضلا عن كونهم معصومين، فإن وليّ الله من يموت على الإيمان، ومجرد الخوارق لا تدل على أنه يموت على الإيمان، بل قد يتغيّر عن ذلك الحال، وإذا قطعنا بأن الرجل وليّ الله – كمن أخبر النبي بأنه من أهل الجنة – فلا يجب الإيمان بكل ما يقوله إن لم يوافق ما قالته الأنبياء، بخلاف الأنبياء – عليهم السلام – فإنهم معصومون لا يجوز أن يستقّر فيما يبلّغونه خطأ....»[١].

الشبهة الرابعة:

قالوا : «لا يمكن تغيير النسخ وترك بعضها؛ «لأنها كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الألسن»[٢].

ومعنى ذلك : أن دعوى التغيير في بعض النسخ – كما يقول المسلمون – دعوى تخالف الواقع في نظر أهل الكتاب.

ويردّ ابن تيمية على شبهتهم هذه : بأن قولهم هذا تضمن شيئين :– تضمن دعوى كاذبة، وحجة باطلة.

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ، ص٢٠٢.
وانظر كذلك المرجع نفسه ج ١ ، ص ٢٩٦، ٣٥٦، ٣٥٧.
وكذلك ج٢ ، ص ٢١٩.

(٢) المرجع السابق نفسه ج ٢ ، ص ٢٣.

أمـا الدعـوى الكاذبة : فـهي في قـولهم : «هذا لا يمكن» وهـو «مكابرة ظاهرة فإن امكان تغيير بعض النسخ مما لا ينازع عـاقل في امكانه، لكن قد يقـول القـائل : إذا غـيّر بعض النسخ وظهـر ذلك، شـاع ذلك فـرأى سـائر أهل النسخ تلك النسـخة مغايرة لنسخهم فأنكروه، فإن الهمم والدواعي متوفرة على انكار ذلك كما يوجد اليوم مثل ذلك. مثل لو أراد رجل أن يغيّر كتاباً مشهورا عند الناس، به نسخ متعددة، فإذا غيّره فوصلت تلك النسخة الى من يعرف ما في تلك النسخ أنكروا ذلك.

فيقال : هذا يمكن إذا كانت تلك النسـخة المغيّرة وصلت الى طائفة يمتنع عليهم مواطأتهم على الكذب، فإنه كما يمتنع في الأخبار المتواترة التواطؤ على الكذب، فيمتنع التواطؤ على كتمان ما يتعذر كتمانه في العادة.

ومعلوم أنه لا يمتنع على الجـمـاعـة القليلة، التـواطؤ على تغـيـيـر بعض النسخ، والنسخ - انما هي موجودة عند علماء أهل الكتاب، وليس عامتهم (أي عامة الناس) يحفظون ألفاظها، كما يحفظ عوام المسلمين ألفاظ القرآن، فإذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أونسخ عندهم أمكن ذلك، ثم إذا تواطأت طائفة أخرى على أن لا ينكروا ذلك أمكن ذلك، ولكن إذا كانت الطوائف ممن لا يمكن تواطؤهم على الكذب أو الكتمان امتنع ذلك فيهم.

وقد رأينا عند أهل الكتاب كُتبًا يدّعون أنها عندهم من النبي صلى الله عليه وسلم بخط على بن أبي طالب، فيـها أمور تتعلق بأغراضـهم، وقد التبس أمرها على كثير من المسلمين، وعظّموا ما فيها وأعطوا أهل الكتاب ما كتب لهم فيها معتقدين أنهم ممتثلين ما فيها، فلما وصلت الى مَنْ وصلت اليه من علماء المسلمين بينوا كذبها بطرق معلومة بالتواتر، مثل ذكرهم فيها، شـهد بما فيها كعب بن مالك الحبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يعنون كعب الأحبار.

وكعــب الأحبار إنما أسلم على عهد عمر بن الخطاب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه كعب بن نافع، ولكن في الانصار كعب بن مالك الشاعر الذى أنــزل الله توبته في ســورة براءة فظن هؤلاء الجهال أن هذا هو ذاك.

ومثل ذكرهم شهادة سعد بن معاذ الذى اهتز لموته عرش الرحمن، ذكروا شهادته عام خيبر*، وقد اتفق أهل العلم أنه مات عقب غزوة الخندق** قبل غزوة خيبر بمدة، وأمثال ذلك»[1].

أما الحجة الداحضة : فهي في قولهم :

« انها كلها قول واحد ، ولفظ واحد في جميع الألسن ».

«فهل يقول عاقل من العقلاء أنه علم ذلك؟ وأنه علم أن كل نسخة من النبوات الأربعة وعشرين بأحد الألسنة الإثنين وسبعين موافقة لكل نسخة فى سائر الألسنة، ولو ادعى مدعى أن كل نسخة من التوراة فى العالم باللسان العربي، أو كل نسخة من الإنجيل فى العالم باللسان العربى أو كل نسخة فى العالم من الزبور باللسان العربى موافقة لجميع النسخ العربية الموجودة في زوايا العالم لكان قد ادّعى مالا يعلمه ولايمكنه علمه، فمن أين له ذلك؟

* يرى الجمهور أن غزوة خيبر وقعت في محرم سنة سبع بعد الهجرة بعد عودته من الحديبية بعشرين يوما تقريبا. انظر السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ، ص ٢١١.

** غزوة الخندق وقعت في شوال سنة خمس من الهجرة. انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ، ص ١٢٧.

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ، ص ٢٣ ، ٢٤.

وهل رأى كل نسخة عربية بهذه الكتب أو أخبره من يعلم صدقه أن جميع النسخ العربية الموجودة فى العالم موافقة لهذه النسخة؟ وكذلك اذا ادعى ذلك في اللسان اليوناني، والسرياني، والرومي، والعبرانى ، والهندى. فإن كان فى العالم بكل كتاب من هذه اثنان وسبعون لسانا يدعون اتفاق نسخ كل لسان من جنس دعوى اتفاق النسخ العربية، فكيف إذا ادعى اتفاق النسخ بجميع الألسنة؟ وهب أنه يمكن أن يقال ذلك فى نسخ لسان نقلها أهله والناطقون به، فكيف يمكن دعواه فى لسان كثر الناطقون به وانتشر أهله؟ وليس هذا كدعوى اتفاق مصاحف المسلمين بالقرآن، فإن القرآن لايتوقف نقله على المصاحف، بل القرآن محفوظ فى قلوب ألوف مؤلفة من المسلمين، لايحصى عددهم إلا الله عز وجل، فلو عدم كل مصحف فى العالم لم يقدح ذلك فى نقل لفظ من ألفاظ القرآن، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه قل أن نجد من أهل الكتاب أحداً يحفظ كتاباً من هذه الكتب، فقلّ أن يوجد من اليهود من يحفظ التوراة.

وأما النصارى فلايوجد فيهم من يحفظ التوراة والإنجيل والزبور والنبوات كلها فضلاً عن أن يحفظها باثنين وسبعين لسانا، وان وجد ذلك فهو قليل، لا يمتنع عليهم لاالكذب ولا الغلط. فتبيّن أن ما ذكروه من انتشار كتبهم بالألسنة المختلفة هو من أقوى الأمور فى عدم العلم بتماثل مافيها من الألفاظ، وأن القرآن إذا كان منقولاً بلغة واحدة، وذلك اللسان يحفظه خلق كثير من المسلمين فكان ذلك مما يبيّن أن القرآن لايمكن أحد أن يغيّر شيئاً من ألفاظه، وإن أمكن تغيير بعض ألفاظ التوراة والإنجيل عند كثير من أهل الكتاب. والمسلمون لايدّعون أنه غُيّرت جميع ألفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم كما ظنه بهم هؤلاء الجهال، بل إنما ادعوا ما يسوغه العقل[1]، بل ويظهر دليل صدقه، ولكن هؤلاء الجهال ادعوا العلم بأن جميع النسخ بجميع

(١) وهو تغيير بعض الألفاظ وأن النسخ كانت قليلة والتحريف في بعض الأشياء معقول.

الألسنة بجميع الكتب بلفظ واحد، فادعوا مالا يمكن لأحد علمه، وادعوا ما يعلم بطلانه.»[1]

الشبهة الخامسة :

يحتج النصارى على استحالة التحريف فى كتبهم بثناء القرآن عليها وتعظيمه لها فى قوله تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه}[2]

وقوله تعالى : {ألم، الله لاإله إلا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ....}الآية[3]

واحتجوا كذلك بقوله تعالى فى سورة المائدة : {وقفينا على آثرهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.}[4]

بل أنهم جعلوا أول سورة البقرة موضوعا للثناء عليهم وعلى التوراة والإنجيل فى قوله تعالى : {ألم، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك

---

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص٢٤ / ٢٥.

(٢) سورة المائدة / آية ٤٨.

(٣) سورة آل عمران / آية ١-٤.

(٤) آية ٤٦ / ٤٧.

هم المفلحون}[1].

ووجه احتجاجهم بهذه الآيات أن (الكتاب) المشار اليه فيها يعني به – كما يزعمون – كتابهم (الانجيل)، وأن (الذين يؤمنون بالغيب) هم النصارى، الذين آمنوا بالسيد المسيح ولم يروه.

أما قوله بعد ذلك: {والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك} فعنى به (المسلمون) الذين آمنو بما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به مَنْ قبله.

وقد احتجوا كذلك بقوله تعالى في سورة آل عمران : {فإن كذبوا فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير}[2].

ويدعون أن (الكتاب المنير) في هذه الآية هو الانجيل المقدس.

وبقوله تعالى : {فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين}[3].

ويقولون :

انه بهذه الأدلة وما شابهها قد أثبت القرآن ما معنا، ونفى عن انجيلنا وكتبنا التي بأيدينا التهم والتبديل والتغيير لها فيها بتصديقه اياها»[4].

وفحوى هذه الشبهة في الدفاع عن التوراة والانجيل احتجاجا بثناء

---

(١) آية ١– ٥.

(٢) آية ١٨٤.

(٣) سورة يونس / آية ٩٤.

(٤) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص٢٩٦ /٢٩٧.

القرآن عليهما هو : أن القول بتحريف هذه الكتب يتنافى مع ثناء القرآن عليها. فإمّا أن نساير ثناء القرآن عليها ونترك اتهامها بالتحريف - الذى أثبتته آيات أخر - وإلاّ فالقول بتحريفها يقتضى بطلان ما فى القرآن من الثناء عليها، ولا يقول مسلم ببطلان شيء من القرآن. فاتهام كتب المسيحيين بالتحريف باطل فى نظرهم لاستلزامه أمرا باطلا عند المسلمين.

ولله درّا ابن تيمية فى رده لدفاعهم هذا عن كتبهم وتفنيده لشبهاتهم وتأويلاتهم للآيات الكريمة. حيث يقول:

«القرآن أثنى على كتبكم نعم، والانجيل فيه هدى ونور نعم أيضا، ومحمد صلي الله عليه وسلم صدق ماقبله من الكتب ومن جاء من الرسل نعم، كل هذا حق وصدق، والقرآن ذكر ذلك، ولكن أراد الكتب التى لم تحرّف ولم تبدل. فالقرآن أثنى على توراتهم وانجيلهم قبل التحريف وعلى من بقي الى عهد محمد صلى الله عليه وسلم على نفس الدين الصحيح الذى جاء من عند الله، أما الكتب بعد التحريف والتبديل، فليس لها اعتبار فى الاسلام ولا تدل الآيات التى استشهدوا بها على أن كتبهم صحيحة وغير محرفة. كيف وقد ثبت فعلا أنها محرفة وشهد القرآن عليها بذلك صراحة فى قوله تعالى: {يحرفون الكلم عن مواضعه} وغيرها من الآيات، وقد بيّن الله أنه أنزل هذا القرآن مهيمنا على مابين يديه من الكتب[1].

«فشهد بما فيها من الحق، ويبيّن ما حرف فيها ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها، وينسخ مانسخه الله منها وهو مؤتمن فى ذلك عليها»[2].

---

(١) ابن تيمية /الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص٢٧٤/٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٩٩.

قال تعالى : {وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه}[1].

ومعنى قول القرآن مصدقًا لما سبقه من الكتب : أنه يصدقها في الجانب العقدى الذي دعت اليه كل كتب الأنبياء، وقامت عليه جميع رسالات السماء

أما معنى كون القرآن مهيمنا على ماعداه من الكتب، فهو أنه رقيب وحارس على كل ماجاء فيها. ومفهوم الرقابة والحراسة أتم وأشمل من مفهوم التصديق.

فالمهيمن هو (الشاهد، الحاكم، المؤتمن، فهو يحكم بما فيها ممالم ينسخه الله، ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدل)[2].

أقول : لا يحق للنصارى الاحتجاج علينا بالقرآن؛ لانهم يكفرون به، ولايؤمنون بصحته؛ لانهم أن آمنوا به وجب عليهم الإيمان بكل ماجاء فيه. وقد جاء فيه :{إن الدين عند الله الاسلام}[3]. وجاء فيه أيضا: {ومن يبتغِ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه..}[4].الآية.

ثم أين هى الكتب التى يزعم النصارى صحتها، ويدعون ان القرآن قد جاء مصدقا لما فيها؟

أهي الكتب التى فيها شتم، وتهم للأنبياء تصل الى حد الزنا، والسرقة،

---

(١) سورة المائدة / آية ٤٨.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص٣٧١.

(٣) سورة آل عمران / آية ١٩.

(٤) سورة آل عمران / آية ٨٥.

والفجور، واللهو، والاحتيال، والمصارعة مع الله. (كما في التوراة).؟!

أم هي الكتب التي ساوت الخالق بالمخلوق، وأنزلته الى مرتبة المخلوق في سائر التصرفات. (كما في الاناجيل)؟!

الشبهة السادسة:

يحتج النصارى كذلك على استحالة التحريف في الأناجيل؛ لأنها مكتوبة باثنين وسبعين لسانا، ومنتشرة في جميع أنحاء الأرض، وليس هناك من يعرف الاثنين وسبعين لغة حتى يعرف ما وقع في هذه الأناجيل من تحريف. وليس هناك مَنْ يدعي أنه حكم على جميع ملوك الدنيا وقساوستها بتحريف ما في أيديهم.

ويقولون في هذا :

«فمن هو الذي تكلم باثنين وسبعين لسانا، أو من هو الذي حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها وعلمائها، حتى حكم على الدنيا جميعها من أربع زوايا العالم حتى غيّرها، وإن كان مما أمكنه جمعها كلها أو بعضها فهذا لايمكن (أي جمعها كلها لايمكن لأحد من الناس)، إذ جميعها قول واحد ونص واعتقاد واحد.»[1]

وقد ردّ ابن تيمية على هذه الشبهة من عدة وجوه. فقال :

الوجه الأول:

نحن لم ندّعِ أن التحريف والتغيير بكتبكم وقع فيها على هذا النحو الذي

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص٢٦.

قلتموه (بعد تعدد الألسن وانتشار النسخ)، بل لا ندعى التغيير بعد انتشار النسخ فيما ليس من كتب الأنبياء، وإنما دعوانا أن التحريف وقع عندما كانت النسخ قليلة، وتمّ تغيير بعض ألفاظها، وفى بعض النسخ، وهذا أمر ممكن.

الوجه الثاني:

وجود اختلاف حقيقى بين توراة اليهود والنصارى والسامرة وبين نسخ الزبور اختلاف أكثر من ذلك، وبين الأناجيل كذلك.

الوجه الثالث :

من ضمن وقائع التحريف أن بعض النسخ التى كانت موجودة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ذكـــر اسمه صراحة { الذى يجدونه مكتويــا عندهم فى التـــوراة والإنجيل }[1] بينما بعضها الآخر ليس فيها ذلك.[2] .

وبعد ما قدمناه عن ابن تيمية من اتهامه لكتب النصارى بالتحريف، ورأيه فى طبيعة هذا التحريف وأدلته العديـــدة التى قدّمها على وقوعه بالفعل فى هـــذه الكتب، ثم ابطالاته لما احتج به النصارى على عدم وقوع التحريف فيها – بعد ذلك كله نحب أن نتناول ما قدمناه عن ابن تيمية بالتحليل، مضيفين اليه مايشهد لصحته من أقوال العلماء حتى بعض علماء النصارى أنفسهم، ومن الدراسة الواقعية لأسفارهم المقدسة بما يؤكد وقوع التحريف بالفعل فى كتبهم.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧.

(٢) انظر هذه الأوجه في ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص٢٦، ٢٧.

جـ ـ تعقيب :

١ ـ تأكيد العلماء لما يذكره ابن تيمية بوقوع التحريف في الكتاب المقدس:

يستفاد مما تقدم فى أجوبة ابن تيمية على دفاع النصارى عن كتبهم ضد ما تتهم به من التحريف – يستفاد من ذلك أن ابن تيمية يرى أن التحريف أمر واقع فى نسخ التوراة والإنجيل، وهو حقيقة مقررة شهد لها القرآن الكريم، وشهدت لها السنة النبوية المطهرة وأثبتها الواقع.

والحقيقة .... أن القول بالتحريف لم ينفرد به ابن تيمية وحده، بل ردّده من قبله ومن بعده أناس كثيرون، مسلمون ومسيحيون، بل إن العلماء المسلمين غير محتاجين لأدلة لإثبات دعوى التحريف فى هذه الكتب، فقد كفاهم النصارى مؤنة ذلك ومشقته، وذلك باعترافهم بأن الكتب التى لديهم ليست منزلة من عند الله، ولا جاءهم بها عيسى – عليه السلام –، وإنما تنسب إلى مؤلفيها الأربعة المعروفين.

يقول ابن حزم :

« لسنا نحتاج إلى تكلف برهان فى أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل، ولا من عند المسيح – عليه السلام – ، ... فقد كفونا (أى النصارى) هذه المؤنة كلها؛ لأنهم لايدّعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم، أولهم عن آخرهم، أريوسيهم، وملكيهم، ونسطوريهم، ويعقوبيهم، وبولقانيهم لايختلفون فى أنها أربعة تواريخ ألّفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة.»[١]

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٢ ص٢.

والنصارى متفقون على أنه لم يؤمن بالمسيح - عليه السلام - فى حياته إلا عدد محدود من المسيحيين، وهؤلاء كانوا مستترين بدينهم، يخافون من بطش الرومان، وظلوا على هذه الحال حتى بعد رفع المسيح، وأنه خلال الفترة الواقعة بين رفع المسيح، وإقرار الأناجيل، ذهب الإنجيل الأصلى المنزّل من عند الله، ولم يبق من مضمونه إلاّ القليل جداً؛ ليكون شاهداً عليهم لا لهم لوقوع التحريف فى كتبهم.

يقول ابن حزم :

«لاخلاف بين أحد النصارى، ولامن غيرهم، فى أنه لم يؤمن بالمسيح فى حياته إلاّ مائة وعشرون رجلاً فقط .. وأنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده يدعون إلى دينه سرا، ولايكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته، ولايظهر البتة، ولالهم مكان يأمنون فيه، مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح - عليه السلام - .

وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزّل من عند الله عز وجل إلاّ فصولا يسيرة، أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزياً لهم »[1].

ويؤكد صاحب (إظهار الحق) وقوع التحريف فى كتب هؤلاء، سواء قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أو بعد بعثته فيقول :

«نحن لاندعى أن الكتب المقدسة - لهم - كانت غير محرفة إلى زمان ظهور محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك حُرّفت، بل ندعى أن هذه الكتب كانت قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم، لكنها بلا إسناد متصل، وأن التحريف كان فيها قبله يقينا، ووقع فى بعض المواضع بعده أيضا.»[2]

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٢ ص٤، ٥.

(٢) الشيخ رحمة الله الهندى : ج١ ص٧٠٥.

وليس المسلمون وحدهم هم الذين يقولون بوقوع التحريف فى كتب أهل الكتاب عامة، وكتب النصارى خاصة، بل أن المسيحيين أنفسهم شهدوا على ذلك، ومنهم من هداه الله للإسلام، ومنهم من بقى على مسيحيته رغم اعترافه بالتحريف فى كتبهم.

يقول هورن :

«الحالات التى وصلت إلينا فى بادىء زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة بتراء غير معينة، لاتوصلنا إلى أمر معين. والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها. وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم.

وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذر نقدها بعد إنقضاء المدة »(١).

وهذا عالم مسيحى آخر(٢) يذكر :

أن اختلاف العبارات فى العهد العتيق والجديد، تصل إلى ثلاثين ألفا» (٣)

ويؤكد : «أن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات، أو أربع مرات، بل أزيد من هذا، تبديلا كأن مضامينها أيضا بدلت »(٤).

---

(١) تفسير هورن / الباب الثاني / القسم الثاني / المجلد الرابع. نقلاعن الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج١ ص ١٣٤ / ١٣٥.

(٢) هو سلسوس وهو من علماء المشركين الوثنيين في القرن الثاني الميلادي.

(٣) الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج١ ص ٤٣٥.

(٤) الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج ١ ص ٧٠.
وكذلك ج ١ ص ١٣٣ وكذلك ج١ ص ٤٣٥ .

وآخر[1] يصيح فى القرن الرابع : بأن «العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجلا مجهول الإسم، ونسب إلى الحورايين، ورفقاء الحواريين، ليعتبره الناس. وآذى المريدين لعيسى إيذاء بليغا؛ بل ألف الكتب التى فيها الأغلاط والتناقضات.»[2] بل لم يكن بدعا - كما يقول الأستاذ الطهطاوى - التغيير والتبديل فى كلام الله سبحانه وتعالى فى ذلك الوقت؛ لأن اليهود كانوا يعملون ذلك أيضا. فقد نقل (هنرى واسكات) فى المجلد الأول من تفسيره قول (اكستاين) : (من علماء المسيحيين المشهورين فى القرن الرابع الميلادى.)

«أن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى زمان الأكابر* الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده، الى زمن موسى - عليه السلام - ، وفعلوا هذا الأمر؛ لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة؛ ولعناد الدين المسيحى، ويعلم أن القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله، وكانوا يقولون : أن اليهود حرفوا التوراة فى سنة (١٣٠ ميلادية).»[3]

وهذا أيضا اعتراف آخر، من أحد كبار المؤرخين المسيحيين، وهو ول ديرانت الذى يعترف صراحة بالتحريف فى كتبهم، وخصوصا العهد الجديد، لاسيما الأناجيل. فيقول :

« وترجع أقدم النسخ التى لدينا من الأناجيل الأربعة، إلى القرن الثالث. أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامى (٦٠ ، ١٢٠م)، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف

---

(١) هو (فاستس) من أعظم علماء فرقة (ماني كيز) في القرن الرابع الميلادي.

(٢) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج١ ص ٧٠ وكذلك ج١ ص ١٣٣.

* يقصد أنهم حرفوا تاريخ القدماء.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٧١.

مقصود.»[1]

«وملاك القول : أن ثمة تناقضا كثيرا، بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطا تاريخية مشكوكا فى صحتها، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة، والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث التى يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة فى العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخى لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة، أو طقس من طقوسها.

لقد كان المبشرون بالإنجيل يرون – كما يرى شيشرون وسالت وتاستس – أن التاريخ وسيلة لنشر المبادىء الخلقية السامية.»[2]

ويقول المسيو (ايتين دينيه)* فى كتابه أشعة خاصة بنور الإسلام ما نصه :

«أما أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى الإنجيل إلى عيسى – عليه السلام – بلغته ولغة قومه، فالذى لاشك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر، ولم يبق له أثر. أو أنه أبيد. ولهذا قد جعلوا (تآليفات) أربعاً مشكوكاً في صحتها، وفى

---

(١) انظر : قصة الحضارة المجلد الثالث ج ٣ رقم ١١ ترجمة محمد بدران ص ٢٠٧.

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة المجلد الثالث ج ٣ رقم ١١ ترجمة محمد بدران ص ٢١٠.

* ايتين دينيه : رسام فرنسي ، أعلن اسلامه، واتخذ اسم ناصر الدين (١٩٢٧م) برع في التصوير ، وله لوحات معروفة.
ألف بالفرنسية كتاب (محمد) بالاشتراك مع سليمان الجزائري ، وحلاّه برسوم من ريشته.
له بالفرنسية : (حياة العرب) و (حياة الصحراء) و (أشعة خاصة بنور الإسلام) ترجمت الى العربية.
توفي سنة (١٩٢٩م) أنظر : الموسوعة العربية الميسرة : باشراف محمد شفيق غربال ص ٨٤٠.

نسبتها التاريخية، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية، وهى لغة لاتتفق طبيعتها مع لغة عيسى - عليه السلام - الأصلية، التى هى لغة سامية؛ لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير بصلتها بتوراة وقرآن العرب*»[1]

ثم يتساءل مستنكرا في نفس الكتاب ويقول :

«... لماذا أغفل رجال الأناجيل ثلاثين عاماً من حياة المسيح، دون أن يذكروا لنا فيها شيئا، إلاّ ما اختص بالسنين الثلاث الأخيرة؟!

.... وإذا أخذنا بما قيل : من أن اثنين من الرسل الأربعة قد ذكروا أشياء عن عهد الطفولة الأولى للمسيح، فإن هذا الحذف من السنين بعد ذلك يدعو إلى فداحة الأمر؛ لأنه يترك المجال فسيحا لجميع أنواع التأويلات والشبهات، التى قد يكون أقلها خطراً مايقال : من أن المسيح طوال سنى حياته الناضجة لم يكن شيئا مذكورا، وأن تصرفاته لم تكن تدل على حياة خارقة للعادة مما قد تنسب إلى (ابن) الله ...

وأمر آخر فات رجال الأناجيل : ذلك أنه مع عظيم خطر هذه الثلمة فى سنى حياة المسيح، فإن الأناجيل لم ينلها التنقيح الواجب الدال على المهارة والذكاء ؛ ذلك لأن واضعيها - وهم قليلو الخبرة بعلم النفس - لم يدركوا أن ما يصح ذكره على لسان نبى لايصح أن يقال على لسان ابن الله، وإلاّ كان الأمر غريباً، شاذاً، نابياً. على أن هذا هو ما قد حصل .....»[2]

---

* هكذا جاء كلام (ايتين دينيه). وقد أخطأه التوفيق في هذه العبارة، فلا مجال لمقارنة القرآن بالتوراة والانجيل الحاليين في صدور هذه الكتب الثلاثة عن الله، ثم إن كلامه يعني : ضعف صلة هذه الكتب بالله، وان تفاوتت النسبة بينها، فكانت كتب النصارى أضعف في ذلك من التوراة والقرآن، وهذا خطأ. فإن صلة القرآن بالله وثيقة لا ضعف فيها بحال من الأحوال، اذ هو كلامه سبحانه وتعالى.

(١) ص ٤١ /٤٢ نقلاً من الدكتور : رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية ص ٥٣.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام ص ٤٤ - ٤٨ نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية ص ٥٣.

وبعض علماء المسيحية يرون أن أناجيلهم ماهى إلاّ كتب أدبية أكثر منها دينية.

يقول ول ديورانت في ذلك :

«تفيض الآداب المسيحية في القرن الثاني بالأناجيل، والرسائل والرؤى، والأعمال»(١).

لكننا مع نرى ذلك أنها ليست أدبية بالمعنى الصحيح، بل هى أدب مفكك،تنقصه الاستمرارية، وتتضح فيه التناقضات. وفي ذلك يقول الدكتور موريس بوكاى :

«... اللمحة العامة التى أعطيناها عن الأناجيل، والتى استخرجناها من الدراسة النقدية للنصوص، تقود الى اكتساب مفهوم أدب مفكك تفتقر خطته الى الاستمرار، وتبدو تناقضاته غير قابلة للحل»(٢).

فهذه الأناجيل بشهادة المسيحيين أنفسهم ليست كتبا مقدسة – كما يدّعون –، وانما هي كتب أدبية، بلغ أدبها من الركاكة والتفكك مبلغا كبيرا.

يقول شارل جني بيير :-

«وتصفح الأناجيل وحده، يكفى بأن مؤلفيها قد توصلوا الى (تركيبات) واضحة التعارض، لنفس الأحداث والأحاديث، مما يتحتم معه القول : بأنهم لم

---

(١) قصة الحضارة (قيصر والمسيح) الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص٣١٤. ترجمة محمد بدران.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٩٣.

يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا، بغرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواه،، وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه»[1].

وفي استدلالنا بأدلة المسيحيين أنفسهم على وقوع التحريف في كتبهم التى يزعمون أنها مقدسة – في ذلك ما يغنينا عن الاستمرار أكثر من ذلك في الاستشهاد بأقوالهم على التحريف في كتبهم.

... وبعد هذا الذى قدمناه من شهادات علماء الأديان من المسلمين، وكذلك شهادات المسيحين أنفسهم، يمكننا القطع : بأنه من الخطأ الكبير أن نعتبر أسفار الكتاب المقدس الموجودة حاليا كتبا سماوية بالمعنى الصحيح، فليست إلاّ من وضع كاتبيها، ولم يحفظوا فيها من الكتب السماوية الحقيقة إلاّ النادر القليل – كما شاء الله – اذا قيس الى ما أثبتوه فيها من تحريفات وتناقضات ومبتدعات. فاتهام ابن تيمية لهذه الكتب بالتحريف، اتهام حقيقي يؤيده فيه أتباع هذه الكتب أنفسهم.

وسوف تتضح هذه الحقيقة بدرجة أكبر، بعد أن نسوق الأمثلة من الأناجيل أنفسها على ما وقع فيها من تحريفات، وما كان بينها من تناقضات – كما سيأتي –.

(١) المسيحية : نشأتها وتطورها ص١٠.

٢ـ تأكيد العلماء لأنواع التحريف في نظر ابن تيمية :

أمّا فيما يتعلق بطبيعة التحريف، فإن ابن تيمية - كما نقلنا عنه - يرى أن التحريف لم يتناول جميع ألفاظ كتب أهل الكتاب ومعانيها، ولم يقع في جميع نسخ هذه الكتب[١]، وإنما تناول بعض الألفاظ، وبعض المعنى عن طريق تأويل النصوص بمعان باطلة لاتدل عليها، وفي نفس الوقت فقد وقع التحريف في بعض نسخ هذه الكتب منذ أن كانت قليلة لم تنتشر بعد.

إذن فالتحريف الذي يثبته ابن تيمية - كما ذكرنا من قبل - نوعان : لفظي، ومعنوي. أما اللفظي : فقد رأى بعض نماذجه بنفسه، حيث رأى التصريح بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، واسمه في بعض نسخ الزبور، بينما رأى النسخ الأخرى تخلو من ذلك.

ورأى كذلك اختلاف توراة السامرة عن توراة اليهود والنصارى.

وأما المعنوي : فيعني به - كما قلنا - تأويل النصوص بما لاتحتمل ألفاظها. وهذا النوع من التحريف - كما يقول ابن تيمية - متفق على وقوعه بين الجميع، حيث تتهم الفرق الكتابية بعضها بعضا بالوقوع فيه عن طريق تأويل كل منها للنصوص الدينية بمعان لايقرها عليه غيرها من الفرق.

والواقع أننا نجد المفسرين وعلماء مقارنة الأديان قد وافقوا ابن تيمية في إثبات هذين النوعين من التحريف.

---

(١) أنظر ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى / الرسالة الأولى (الفرقان بين الحق والباطل) ج١ ص٧٨، ٧٩. وانظر كذلك ص ٥٨ وما بعدها من هذه الرسالة.

يقول ابن عباس فى تفسيره لقوله تعالى {يحرفون الكلم عن مواضعه}[١] – تفسيراً للتحريف بالتغيير اللفظى – يقول :«أى يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته»[٢].

ويقول أيضا : «ثم يحرفونه[٣] : «أى يغيرونه».[٤]

وجاء أيضا فى تفسيره لقوله تعالى : {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.}[٥]

يقول : «شدة العذاب للذين يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى الكتاب، ويغيرونه بأيديهم، ثم يقولون : هذا هو الكتاب الذى جاء من عند الله، ليشتروا بتغييره وبكتابته عرضاً يسيراً من المأكول والفضول، فشدة العذاب لهم، مما غيرت أيديهم وويل لهم مما يصيبون من الحرام والرشوة.»[٦]

ويقول الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : {يحرفون الكلم عم مواضعه} – مبيناً لوقوع التحريف اللفظى منهم :

---

(١) سورة المائدة آية ١٣.

(٢) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص٧١ صححه وحققه محمد الصادق قمحاوى، وعبد الحفيظ محمد عيسى.

(٣) سورة البقرة آية ٧٥.

(٤) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص١٢ صححه وحققه محمد الصادق قمحاوى، وعبد الحفيظ محمد عيسى.

(٥) سورة البقرة آية ٧٩.

(٦) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص ١٢ بتصرف. صححه وحققه : محمد الصادق قمحاوي ، وعبد الحفيظ محمد عيسى.

«أى يميلونه عنها، ويزيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كَلِمًا غيره فقد أمالوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها، وأزالوه عنها، وذلك نحو : تحريفهم (أسمر ربعه)[1] عن موضعه في التوراة، بوضعهم (آدم طوال)[2] مكانه، ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله.»[3]

ويقول القرطبى – بيانا للتحريف بنوعيه:- اللفظى والمعنوى – عند تفسيره لقوله تعالى : {يحرفون الكلم عن مواضعه} يقول:-

«انما يحرفون كلم النبى صلى الله عليه وسلم أو عندهم فى التوراة، وليس يحرفون جميع الكلام. ومعنى يحرفون : يتأولونه على غير تأويله»[4].

«وقيل : معناه : يبدلون حروفه»[5].

وقال فى موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : {ثم يحرفونه} قال : «قال مجاهد والسدى : هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة، فيجعلون الحرام حلال، والحلال حراما اتباعا لأهوائهم»[6].

ويقول ابن القيم مبرهنا على وقوع التحريف اللفظى فى الأناجيل :

---

(١) الربْع والربَع : الرجل بين الطويل والقصير . أنظر المنجد في اللغة والأعلام ص ٢٤٦ ط ٢٦.

(٢) آدِم : مفرد أُدْماء . جمع أُدْم : الأسمر . والأُدْمَة : السُّمْرة.

انظر : المنجد في اللغة والاعلام ص ٦ ط ٢٦.

(٣) الزمخشري : الكشاف ج١ ص ٥٣٠.

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٢٤٣.

(٥) المرجع السابق نفسه ج ٦ ص ١١٥.

(٦) المرجع السابق نفسه ج ٢ ص ١ – ٢.

وانظر كذلك تفسير الخازن ج١ ص ٦١.

« لو قُدّر أنه لانكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته ولا صفته ولا علامته في الكتب التى بأيدى أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك ألاّ يكون مذكورا فى الكتب التى كانت بأيدى أسلافهم وقت مبعثه، ولا تكون اتصلت على وجهها (الصحيح) الى هؤلاء، بل حرّفها أولئك وبدلوا وكتموا، وتواصوا وكتبوا ما أرادوا، وقالوا : هذا من عند الله، ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم، فصارت المُغيّرة المبدلة هى المشهورة، والصحيحة بينهم خفية جدا، ولا سبيل الى العلم باستحالة ذلك، بل هو فى غاية الامكان، فهؤلاء السامرة غيّروا مواضع من التوراة، ثم استشهرت النسخ المغيرة عند جميعهم، فلا يعرفون سواها، وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية، وكذلك التوراة التى بأيدى النصارى.

وهكذا تُبدّل الأديان والكتب، ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للأمة أن لا تجتمع على ضلالة لأصابه ما أصاب الكتب قبله[1].

ويضرب لنا ابن القيم مثالا للتحريف المعنوى الواقع فى تفسير بعض ألفاظ الأناجيل، كما حدث فى تأويلهم لكلمة (الفارقليط) التى جاءت فى بشارة المسيح لأصحابه قائلا لهم :

«الفارقليط لا يجيئكم مالم أذهب، واذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه مما يسمع به»[2].

«وقد ذكر النصارى فى الفارقليط أقوالا ثلاث :

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥٠ / ٥١.

(٢) انجيل يوحنا ١٦ : ٧ ، ٨.

١ – ان الفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد، إما أحمد أو محمود أو محمد، أو نحو ذلك ورجحت طائفة هذا القول.

٢ – انه هو المخلص، والمسيح نفسه يسمونه المخلص. وهذا القول عليه أكثر النصارى.

٣ – ولما لم يمكن النصارى إنكار هذه النصوص حرفوها أنواعا من التحريف. فمنهم من يقول : هو روح نزلت على الحواريين. ومنهم من قال : ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ، ففعلوا بها الآيات والعجائب. ومنهم من قال : انّه المسيح نفسه. ومنهم من قال : لانعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه»[1].

وابن القيم أبطل كل هذه التأويلات لكلمة الفارقليط، وبين أن تفسير (الفارقليط) بالروح باطل. وأبطلُ منه تفسيره بالألسن النارية، وأبطلُ منهما تفسيره بالمسيح. وكل هذا تحريف لمعنى الكلمة. فإن روح القدس مازالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وليست موصوفة بهذه الصفات. وإذا كان الأمر كذلك، ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطاً، علم أن الفارقليط أمر غير هذا.

وقد وصف المسيح الفارقليط بصفات لاتناسب هذه الروح، وإنما تناسب رجلا يأتي بعده، نظيراً له، حيث قال :

« ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر، يثبت معكم الى الأبد»[2]. فذكره على أنه فارقليط آخر، فدل على

---

(١) أنظر : ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥٦ / ٥٧.

(٢) انجيل يوحنا ١٤ : ١٥ – ١٧.

أنه ثان لأول كان قبله.

وقال : « يثبت معكم الى الأبد » ، وهذا إنما يكون لما يدوم، ويبقى معهم الى آخر الدهر.

ومعلوم : أنه لم يرد بقاء ذاته، وانما أراد بقاء شرعه وأمره. والفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد.

وهذه الصفات والنعوت انما تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم. وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة في كثرة الحمد.

ويهذا يظهر سر ما أخبر به القرآن عن المسيح من قوله تعالى :

« ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد »[١].

فإن هذا هو معنى الفارقليط – كما تقدم –[٢].

ويقول صاحب مقامع الصلبان* – مثبتا لاعتراف اليهود[٣]

---

(١) سورة الصف آية ٦.

(٢) أنظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥٧ ، ٦١ بتصرف قليل.

* هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عُبيده الخزرجي ، ولد بقرطبة سنة ٥١٩هـ ، من أسرة عربية ، وكان في شبيبته معروفا بالذكاء، والنبل، مشهورا بحفظ الحدث ، أسر سنة ٥٤٠ هـ ، وبقي أسيرا في طليطلة الى سنة ٥٤٢هـ ، وألف كتابه (مقامع الصلبان) أثناء ذلك، ردا على الرسالة التي بعث بها اليه قسٌ مسيحي طعن في الإسلام، وطلب منه الدخول في المسيحية، وكان عمره اذ ذاك (٢٢) سنة. توفي بفاس بعد أن كُفّ بصره. انظر مقدمة مقامع الصلبان تحقيق وتقديم عبدالمجيد الشرفي ص ١٤٧، ١٤٨ باختصار.

(٣) احتجاجنا على النصارى بما في كتب اليهود إنما لأنهم (أي النصارى) يعتبرون الإيمان بكتب اليهود جزءا من الإيمان بالنصرانية. وسندهم في ذلك : ما نسب للمسيح من قوله : « ما جئت لأنقض الناموس، ولكن جئت لأكمل». (متّى ٥ – ١٧).

بتحريف كتبهم واتهام كل من اليهود والنصارى والسامرة بعضهم لبعض بالتحريف في كتبهم، بل وذاكرا لأشنع أنواع التحريف المتصلة بصفات الله التي وقع فيها أهل الكتابين منحرفين في ذلك عن المسار الصحيح للعقيدة الصحيحة.

يقول بيانا لذلك : « واليهود تقرّ أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة، وذلك بعد المسيح، في زمان القياصرة، ومن رضي تحريف موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف كثير.

وكذلك يقرّون أن السامرة حرفوا التوراة تحريفا باقيا، والسامرة يدّعون عليهم مثل ذلك من التحريف. وأنتم أيضا (والخطاب هنا للنصارى) تدّعون عليهم أنهم حرفوا في التوراة التاريخ، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم صلى الله عليه وسلم ألف سنة ونحو المائتين من السنين. وكذلك الانجيل الذي بأيديكم إنما هو كُتُبٌ أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال وهم :

يوحنا بن زبدي، ومتاوش، وماركس تلميذ بيطره، ولوقا. فأمكن في كل ذلك التبديل»[1].

« وفي التوراة من الخرافات والأكاذيب والتحريف الشنيع ما يقف الإنسان مشدوها أمامه مذهولاً من جرأتهم على الله وعلى نبيه. وقال اليهود في التوراة عن الله عز وجل إنه «كالإنسان شخص وجوارح كشخصه وجوارحه»[2]

---

(١) أحمد بن عبد الصمد الخزرجي المعروف بأبي عبيده الخزرجي . حققه وقدم له عبد المجيد الشرفي ص ١٤٧ / ١٤٨.

(٢) أنظر سفر الخروج ٣٣ : ١١ ، ٣٤ : ٦.

وقد وصف الله نفسه في كتابه العزيز فقال تعالى : { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير }[1].

وقد تممت النصارى هذا القول المكتوب في التوراة، وزادت فيه كفرا على اليهود، حيث تقرأ في صلواتها عن يوحنا الحواري :

« أنه حين عرج به الى السماء، رأى الله سبحانه، وهو شيخ أبيض الرأس واللحية، ورجلاه من لاطون، والأسواق بين يديه قائمة، والنداء على القمح والشعير والزيت والخبز كذا وكذا قفيزا بدينار، كذا وكذا قسطا بدينار[2]»[3].

ولا يقتصر الأمر في بيان طبيعة التحريف في كتب اليهو د والنصارى – على نحو ما قدمنا – على المسلمين فقط ، بل ان من علماء بني اسرائيل المتعصبين من قال ذلك أيضا :

فهذا (سبنوزا) اليهودي المتعصب، يعترف بوجود التحريف اللفظي في العهدين بل ويؤكد أن التغيير اللفظي في العهدين قد حدث مرات كثيرة، وتغيرت على أساسه كلمات كثيرة، دون أن يفقد ذلك للكتاب قدسيته – كما يزعم – ويغير معناه يقول :

« وأود أن ألفت النظر هنا الى أني أسمي النص مختلفا ومحرفا ومنقوصا عندما يكون قد ساء التأليف والكتابة، الى حد لايمكن معه التعرف على معناه، سواء بالرجوع الى الاستعمال اللغوي، أو استخلاصه من الكتاب

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) رؤيا يوحنا ١ : ١٢ – ١٨ ، ٣ : ١٧ – ١٨.

(٣) أبو عبيدة الخزرجي : مقامع الصلبان تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي ص ١٥٦ / ١٥٧ بتصرف قليل.

وحده، ولست أعني بذلك أن الكتاب بقدر ما يحتوي على الشريعة الألهية كان له دائما نفس النقط، ونفس الحروف، ونفس الكلمات ... بل أعني فقط أن المعني الذي من أجله وحده يسمي النص الهيا وصل الينا دون تشويه، وان كانت الكلمات التي استخدمت أولاً للتعبير عنه قد تغيرت مرات كثيرة»[1].

ونرى عدم صحة ما ينتهي اليه سبنوزا من أن التحريف اللفظي الذي يثبته في الكتب المقدسة يمكن أن تبقى معه الشريعة صحيحة كما يدعي.

ولهذا فإن أمثال هذه الكتب تفقد قدسيتها، ولا تبقى لها صحة النسبة الى الله عز وجل في وضعها الذي آلت اليه.

ومهما يكن من كلام سبنوزا فإنا نضيف الى شهادة الكاتب المسيحي المتعصب لمسيحيته (حبيب سعيد) الذي يقر بوجود التحريف اللفظي، وينفي العصمة لكتاب الأناجيل. حيث يقول :

« لم يدْعِ أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الانجيل، فلقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التي يخضع لها الكتاب عادة في كل جيل»[2].

وفيما يتعلق بالتحريف المعنوي، فقد سبق أن ذكرنا أنه موضع اتفاق بين الجميع، اذ تتهم كل فرقة غيرها من الفرق بالوقوع فيه، في تفسيرها للنصوص على نحو ما أسلفنا من قبل.

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة . ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفي . مراجعة الدكتور فؤاد زكريا ص٣٤٤ / ٣٤٥.

(٢) انظر أديان العالم ص ٢٧٧.

لكن الإمام الرازي يتعرض لموضوع التحريف، لاسيما في التوراة ويستبعد فيها وقوع التحريف اللفظي الذي أقرّ به اليهود والنصارى - كما سبق - لأنها - كما يقول - متواترة، ويقر بالتحريف المعنوي فيها، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :

{ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه }[1].

« ان هذا التحريف يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ، والأول أولى ؛ لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يأتي فيه تغيير اللفظ »[2].

ونأخذ على كلام الرازي المآخذ التالية :

١ - ان دعوى التواتر عنده لا دليل عليها ، فهو لم يقدم لنا دليلا على أن التوراة منقولة بالتواتر، حتى يصح ما يقوله من استحالة وقوع التحريف فيها.

٢ - أهمل الرازي ما ورد في الحديث الصحيح، أنهم أخفوا في التوراة آية الرجم، واستبدلوه بالحد، كما استبدلوا كلمة (أسمر ربعة) بـ (آدم طوال)، وهي كلمات غيرها اليهود بالفعل في التوراة.

٣ - ما قاله الرازي من تواتر التوراة منقوص بما هو معروف من تاريخ اليهود، من أن التوراة الحالية انما كتبت بعد خراب أورشليم، وبعد عدة قرون من موت موسى - عليه السلام - ، وقد كتبها شخص اختلفوا حول شخصيته ،

---

(١) سورة المائدة آية ١٣.

(٢) الفخر الرازي (التفسير الكبير) المجلد السادس ج ١١ ص ١٩١.

فمنهم من يزعم أنه نبي، ومنهم من يقول : انه غير نبي.

وأما الأناجيل ففيما سبق بيانه من اختلاف في زمن كتابتها، وحول شخصية كاتبيها، واقرارها بعد رفع المسيح بـ (٣٢٥) سنة في ذلك ما يكفي في الدلالة على امكان التبديل والتغيير فيها.

٤ - اننا نجد الرازي نفسه بعد ذلك ، وفي مكان آخر من تفسيره ، يناقض نفسه بنفسه ، فبينما يقول هنا : ان التوراة متواترة ، ويستحيل تحريفها ، نجده يعود فيقول عند تفسيره لقوله تعالى :

{ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ... }[1] الآية :

لا مانع من أن يكون اليهود قد تواطؤا ، ونشروا التحريف بين العوام، وعلى هذا فالتحريف ممكن. ونحن نعلم أن الشئ المستحيل لايكون ممكنا اطلاقا.

يقول الرازي :

« كيف يمكن ادخال التحريف في كتاب بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب ؟

نقول في الجواب :

لعل ان هذا العمل صدر عن نفر قليل ، يجوز عليهم التواطؤ على التحريف، فقدروا عليه. ومن ثم عرضوا ذلك المحرف على العوام. وعلى هذا

---

(١) سورة النساء آية ٤٦.

التقدير يكون التحريف ممكنا»[1].

فالرازي هنا يقرر امكان التحريف،. وهو بذلك يناقض نفسه، عندما أقر بتواتر التوراة، واستحالة تحريفها لذلك كما نكرنا آنفا.

والواقع أن الذي ينكر التحريف اللفظي ادعاء للتواتر في الكتاب المقدس، ويقتصر على التحريف المعنوي من العلماء المسلمين، انما هو غافل عن تاريخ بني اسرائيل، و ما تعرضوا له من نكبات كبيرة، وما حصل لهم من اضطهادات كانت سببا في ضياع كتبهم، وانقطاع تواترها، ووقوع التحريف فيها لذلك، عندما أرادوا كتابتها من جديد.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا :

« ... وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الألفاظ، بالتقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، والنقصان، و بتحريف المعاني بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له.

وقد اختار كثير من علمائنا الأعلام هذا المعنى (المعنوي) في تفسير الآية وعللوه بأن التصرف في ألفاظ كتاب متواتر متعسر أو ومتعذر.

وسبب هذا الاختيار والتعليل عدم وقوف أولئك العلماء على تاريخ أهل الكتاب، (وماحصل لهم من اضطهادات)، وعدم اطلاعهم على كتبهم، وقياس

---

(١) أنظر التفسير الكبير : المجلد الرابع ج ٨ ص ١١٨ (بتصرف قليل) عند تفسيره آية (٧٨) من سورة آل عمران : { وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب وماهو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}.

تواترها على تواتر القرآن.

والتحقيق الذي عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم، واطلعوا على كتبهم التي يسمونها التوراة، وغيرها (وكذا كتب النصارى) هو أن التحريف اللفظي والمعنوي كلاهما واقع في تلك الكتب، و أنها كتب غير متواترة.

فالتوراة التي كتبها موسى - عليه السلام - ، وأخذ العهد والميثاق على بني اسرائيل بحفظها[1] وفيها خبر موته، وكونه لم يقم بعده أحد مثله الى ذلك الوقت - أي الذي كتب فيه ما ذكر من سفر التثنية - وهذا نص قاطع في كون الكاتب كان بعد موسى بزمن يظهر أنه طويل، وكون ما ذكر ليس من التوراة في شئ. ومن المشهور عندهم : أنها فُقدتْ عند سبي البابليين لهم.

وفي هذه الأسفار مالا يحصى من الكلم البابلي الدال على أنها كتبت بعد السبي، فأين التواتر الذى يشترط فيه نقل الجم الغفير الذى يؤمن تواطؤهم على التبديل والتغير في كل طبقة من الطبقات، بحيث لا ينقطع الاسناد في طبقة ما؟!

والمرجع عند محققي المؤرخين من الأفرنج : إن هذه التوراة الموجودة كتبت بعد موسى ببضعة قرون والمشهور أن أول من كتب الأسفار المقدسة بعد

---

(١) انظر سفر التثنية الإصحاح (٣١) / الفقرات من ٢٤ - ٢٧:
« فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب الى تمامها، أمر موس اللاويين، حاملي تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم؛ ليكون هناك شاهدا عليكم؛ لأني عارف تمردكم، ورقابكم الصلبة ... ».
وانظر كذلك نفس السفر ونفس الإصحاح الفقرات من ٩ - ١٣.

السبي عزارا[1] الكاهن في زمن الملك ارتحشستا الذى أذن له بذلك، إذ أذن لبني اسرائيل بالعودة الى بلادهم»[2].

وبعد .... فإننا نخرج من خلال ما قدمناه من أقوال المفسرين، وعلماء الأديان مسلمين ومسيحيين، وغيرهم، وشهادات المسيحيين أنفسهم على وقوع التحريف في الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد)، وبما أثبته الواقع من تحريف وتبديل فيها خلال سني تدوينها.

– نخرج بعد ذلك بأن ما أثبته ابن تيمية من وقوع التحريف بنوعيه في كتبهم هو اتهام في محله، ولم يسقه ارتجالا، وانما أقام الأدلة الواقعية والتاريخية على وقوعه، وأيدت أقواله بأقوال علمائهم أنفسهم. وحسبنا شهاداتهم على أنفسهم بأن كتبهم تحتوى على تحريفات واضحة وملموسة.

وسوف تكون لنا في نهاية هذا الباب كلمة أخيرة حول تحريف الأناجيل، وأن الواقع فيها ليس مجرد تحريف فقط، ولكنه تغيير وتبديل في الإنجيل الموحى به من الله.

٣ – تأكيد العلماء لعوامل التحريف في نظر ابن تيمية :

يؤخذ مما ذكرناه سابقا عن ابن تيمية من عوامل التحريف، ومن أجوبته التى قدمناها عن دفاع النصارى عن كتبهم ضد ما تتهم به التحريف – يؤخذ من ذلك العوامل التى اعتبرها أساسا لما وقع في كتب النصارى من التحريف،

---

(١) عزرا هو كاهن وكاتب يهودي ، عمل على استقرار شعبه في أورشليم بعد الجلاء. له الفضل الأكبر في اثبات نص الشريعة الموسوية.
أنظر منجد الأعلام ص ٤٦١ ط ٢٦.

(٢) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج ٦ ص ٢٨٢ / ٢٨٣.

فليست هذه الكتب هى نفس الإنجيل الذى نزل على عيسى، وانما كتبها أصحابها فيما بعد، وقد كتبوها بعد عشرات السنين من رفع المسيح، ولم يكونوا جميعا من الحواريين. فالسند منقطع بينهم وبين عيسى، ولم يكونوا - كما قيل - رسل الله، بل بعضهم فقط كانوا رسل المسيح لا رسل الله، أما دعوى الالهام والعصمة فلا دليل عليها.

وقد ترجمت هذه الكتب فيما بعد، ومع الترجمة يقع التحريف والتغيير. وهذه المبررات نفسها تشرح لنا تفرقة ابن تيمية بين هذه الكتب، وبين القرآن المعصوم من التحريف نظراً لعصمة قائله، وصحة سنده، وتواتره الى يومنا هذا، وسهولة حفظه في الصدور، فضلا عن التعهد الالهي بحفظه {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}(١)

ومن ثم لا يرى ابن تيمية وجها لمقارنة أهل الكتاب لكتبهم بالقرآن في هذا الصدد. وأذا كان القرآن قد أثنى على كتبهم هذه - كما يزعمون - فإنما أثنى عليها قبل وقوع التحريف فيها. أما بعد ذلك فقد نص القرآن على تحريفها، وأعلن كفر أصحابها وبطلان عقائدهم. والواقع أن العوامل التى اعتبرها ابن تيمية سببا في وقوع التحريف في الأناجيل عوامل صحيحة، وقد أيده فيها بعض المفكرين المسيحيين، ويتبين لنا ذلك فيما يأتى :-

أولا : ما يذهب اليه ابن تيمية من ضياع انجيل عيسى الحقيقى، وعدم صحة تمثيل الأناجيل الحالية له، يردده المستشرق الفرنسى (ايتين دينيه) حيث يقول :

«أن نصوص الأناجيل تبعث في النفس الشك في صحة تلك الأنجيل التى

---

(١) سورة الحجر / آية ٩.

بين أيدينا؛ لأن الإنجيل الموحى من الله تعالى الى عيسى - عليه السلام - بلغته ولغة قومه ضاع واندثر، ولم يبق له أثر»[1].

ثانيا : وقد اعتبر ابن تيمية من أسباب التحريف بُعد الزمن بين كتابة الأناجيل الحالية وعهد المسيح، وكون أكثر كاتبيها لم يكونوا من تلاميذ المسيح، الأمر الذى يتيح فرصة للتحريف فيما يذكرونه من أقوال المسيح، وأحواله.

وقد تصدى للاجابة عن مثل هذه الشكوك التى تحيط بالأناجيل من جانب فقدانها للوثاقة التارخية - تصدى للاجابة عن ذلك المفكر المسيحى (حبيب سعيد)، ولكنه قبل أن يجيب عن هذه الشكوك أوردها في صورة تساؤل قائلا :

«وهنا تتصدى لنا مشكلة : إن كانت أولى الوثائق المسيحية كتبت بعد حياة يسوع، فكيف نستوثق بأنها مدونات تاريخية صحيحة، ثم ان أكثر هذه الوثائق كتبها أشخاص غير التلاميذ الأصليين الذين عاشوا مع المسيح، فبولس لم ير يسوع بالجسد، وان كان قد رآه في رؤيا باهرة في طريق دمشق، وقد يكون مرقس رأي يسوع ولكن في فترات متقطعة...

فكيف إذن نضع ثقتنا في وثائق العهد الجديد؟!

وكيف نركن الى مجرد ذكريات اختزنها الصحابة الأولون في عقولهم؟!

اننا اليوم ندون تقاريرنا، ومذكراتنا. بطرق شتى، ولكن في القرن الاول لم يكن لدى العالم غير الأصوات البشرية، والذاكرات البشرية، لتدوين الوقائع التاريخية، فكيف قام الأولون بتدوين هذه الوقائع ؟!»[2].

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام ص ٤١ نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية ص ٥٢.

(٢) أديان العالم ص ٢٧٢ / ٢٧٣.

وقد أجاب (حبيب سعيد) عن هذه الشكوك التى أوردها في كلامه، بأن الأناجيل لم تكتب من فراغ، ولم يكتبها أصحابها بطريقة فنية في أبراج عاجية، والاّ لما كان لها من قيمة، بل كانت مجرد مصنفات أدبية، ذلك أن السنوات التى تلت رفع المسيح، ظلت عامرة بالرسل والدعاة، الذين جابوا أصقاع الأرض المعروفة حينذاك، ينشرون المسيحية وعقائدها التى تناقلوها، وأقوال المسيح وأعماله التى شهدوها، ويؤسسون الكنائس في كل مكان، ويكتبون الرسائل والأسفار.

وعلى أساس هذا كله يرى أن الأناجيل كتبها أصحابها من ذاكرتهم (الواعية)، ومن واقع ما تناقله الناس وحفظوه من أعمال المسيح وأقواله[1].

والواقع أن هذا لا يضع أساسا صحيحا للوثاقة التاريخية، التى يجب أن تتوافر لهذه الأناجيل بما فيها من أعمال المسيح وأقواله، فعبر عشرات السنين المليئة بالاضطهادات المسلطة على المسيحيين لايمكن أن يكون الجو صالحا للاحتفاظ بأعمال المسيح وأقواله بصورة صحيحة دون تحريف، حتى يمكن تأديتها الى كُتّاب الأناجيل على نحو سليم.

ثم إنه ليس لدينا السند المتصل بين هؤلاء الكتاب، وبين المسيح – عليه السلام – حتى يمكن التأكد من ثقة رجال هذا السند وضبطهم، دعوى أن الناس كانوا يحفظون أقوال المسيح عن ظهر قلب، دعوى بلا دليل عليها، فضلا عن أن هذه الأقوال يصعب حفظها لأن صياغتها لاتساعد على ذلك كما تساعد صياغة القرآن الكريم على حفظه. فإذا أضفنا الى ذلك ما يمكن أن يشيع في الأوساط الشعبية حول حياة المسيح وأقواله من أساطير تشيع دائما في هذه

---

(١) المرجع السابق نفسه.

الأوساط حول عظائمها، فإننا بذلك كله نتبين حقا كيف أن البُعد الزمني بين المسيح وكتابة الأناجيل، وأن كُتّاب الأناجيل لم يكونوا جميعا من الحواريين، وأنهم ليس لهم فيما نقلوا عن المسيح سند معروف - يتبين لنا أن كل ذلك يؤكد ما قاله ابن تيمية، وما أقوله، ويقوله غيرنا، من أن هذه الأناجيل قد حرف ما نقل فيها من أعمال المسيح وأقواله. فلا يرجع ضعف السند في الأناجيل الي مجرد البعد الزمني، وأن كتابها لم يكونوا جميعا من الحواريين - لايرجع ضعف السند الى ذلك فقط، بل يرجع الى ما أصيب به المسيحيون عبر تاريخهم من اضطهادات أدت الى انقطاع سند هذه الكتب، وفقدان تواترها، ووقوع التحريف فيها.

والواقع أن من الشروط التي يجب توفرها في أي كتاب سماوي، لكي يكون مقدسا هي :

أن يثبت أن ذلك الكتاب من الله، وأنه هو الذى أنزله على رسوله، وهذا الثبوت لابد أن يكون بسند متصل في جميع طبقاته، متواترا[1] في عامة مراتبه[2].

والاضطهادات التى تعرض لها المسيحيون كانت سببا أساسيا ومباشرا في التحريف بالأناجيل، حيث إن الاضطهادات العنيفة والمضنية التى تعرض لها المسيحيون على مدى مئات السنين، والتى ذاقوا فيها الأمرّين من ويلات

---

(١) التواتر هو رواية جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عادة. أو هو « الخبر الثابت على ألسنة قوم لايتصور تواطؤهم على الكذب».
أنظر : الجرجاني : التعريفات ص ٧٤.

(٢) أنظر الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج ١ ص ١٠١.

وبطش الأباطرة والرومان، وما من ذنب جنوا اللهم إلاّ أنهم آمنوا بالمسيح وصدقوه واتبعوه. كل ذلك ترك بصمات واضحة على كتبهم المقدسة – في زعمهم – حيث أدى ذلك الى انقطاع سندها، وفقدان تواترها، وهو ما يجب أن يكون عليه أى كتاب مقدس. كما ذكرنا.

وقد اعتذر فحول علماء النصارى حين المناظرة مع المسلمين عن الاتيان بالسند المتصل فما قدروا عليه، وارجعوا عدم قدرتهم على الاتيان بذلك الى المصائب والفتن التى تعرضوا لها[١].

يقول صاحب صخرة الحق :-

«وأول الصعاب التى تعترضها (أى تعترض كتب النصارى)، نجدها في النصوص نفسها التى تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند وبالاضطراب، وعسر التحقيق. وأقدم هذه النصوص وأهمها هى تلك التى احتواها العهد الجديد»[٢].

ثالثا : من أسباب تحريف الأناجيل التى ذكرها ابن تيمية : عدم عصمة كُتّابها، وأنهم ليسوا رسلا ملهمين، فلا دليل على دعوى إلهامهم أو عصمتهم

---

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٠م – ١٣م حيث ذكر لنا طرفا من مناظرته مع (فندر) أحد قساوسة النصارى ومعاونه القسيس (فرنج) فيمايتطق بالسند المتصل في محفل عام سنة (١٢٧٠هـ) وقد اعترف (فندر) أثناء ذلك بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الانجيل، وأنها من سهو الكاتب. وكذلك مناظرة ابن حزم لأحد علماء النصارى، وكل منهما قد أعجز مناظره وأفحمه، وما قدر هذا المناظر على اتمام المناظرة ، بل انسحب منها. (فبهت الذي كفروالله لا يهدي القوم الظالمين). سورة البقرة آية ٢٥٨.

(٢) شارل جنيبير نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج ١ ص ١٣٣ ط١. وقد أهمل ذكر الصفحة التي استقى منها هذا النص.

فيما كتبوا، ومن ثم لا يتطرق التحريف الى ماكتبوه في تلك الأناجيل. وفي ذلك يقول (ول ديورانت) :

«ان محتويات الأناجيل قد نالها التحريف والتبديل، وذلك لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيف»(١).

ومعنى ذلك : أن هذه الذاكرة غير معصومة، أى لم يكن أصحابها ملهمين.

أما الفيلسوف (تولستوي)* فهو ينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بالهام، ويعلن في جرأة أنها حُرفت وعراها التغيير والتبديل، فيقول في صراحة المستمسك بالعروة الوثقى :

«ان المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحي الالهي، فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسى، ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية، وهم يعتقدون بأن محمداً خاتم الأنبياء، وأنه قد أوضح في قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية، كما قالاها، دون زيادة ولا نقص. وأن كل مسلم أمامه القرآن يقرؤه، ويتمسك به، ويسير بموجب أحكامه، ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واضعوها بالتقوى

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ (قيصر والمسيح). ص ٢١٠ ترجمة محمد بدران.

* كاتب قصصي روسي ، حاول اصلاح المجتمع عن طريق العدل والمحبة، وعدم العنف. صور العادات الروسية، وانتقد المساوىء، أشهر رواياته : (الحرب والسلم) و (آناكانينا) وقد وصفه الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه (أوربا والاسلام) ص٥١ بأنه «من الذين سمت نفوسهم الى درجة لا نكاد نجد لها مثيلا في التاريخ إلاّ نادراً، كانت سعادة الانسانية همه الملازم له في كل آونة...» أنظر منجد الأعلام ص ١٩٦ ط ٢٦.

والصلاح، ويسمي المسلمون ديانتهم بالمحمدية؛ لأن محمداً وضعها. بخلاف الكنيسة المسيحية التى تسير الآن بموجب تآليف الآباء الذين يدّعون بأن ما كتبوه هو من روح القدس، فكان الأحرى بالمسيحيين أن يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية»(١).

وترى دائرة المعارف البريطانية : عدم الهامية الأناجيل فتقول :

«قد وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة هل هو الهامي أم لا؟ فقال جيروم، وكرتيس، وأرازس، وبركوبيس، وكثيرون آخرون من العلماء: انه ليس قول منها الهاميا .... وان الذين قالوا : ان كل قول مندرج فيها الهامى، لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة»(٢).

ومن العجيب أن يعترف الكاتب والمؤرخ المسيحى (حبيب سعيد) بعدم العصمة اللفظية في روايات الأناجيل، وبوقوع التناقضات والفوارق فيها، لكنا مع ذلك نراه يصف هذه التناقضات والفوارق في روايات الأناجيل بأنها تافهة فيقول : «لم يدعِ أحد العصمة اللفظيه الحرفية لروايات الإنجيل، فقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التى يخضع لها الكتاب عادة في كل جيل، ولا نجني شيئا إذا نحن تظاهرنا أو ادعينا أن ليس بين البشائر بعض الفوارق التافهة، ويمكن في غير عناء تعليل بعض هذه الفوارق والمتناقضات»(٣).

ومع اعتراف (حبيب سعيد) بوجود التناقضات والاختلافات في روايات

---

(١) نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٨٧ ط٣.

(٢) نقلا عن الشيخ رحمة الله الهندى / اظهار الحق ج١ ص٢٧٨ / ٢٧٩.

(٣) أديان العالم ص٢٧٧.

الأناجيل، فإنه يقرر بأنه يثق ثقة تامة بها، وبصدقها، ومطابقتها للواقع. فيقول : «وان كنا لا ندعي العصمة اللفظية لكتابنا، فان من حقنا أن نشيد بصدقه، ووحيه، ومطابقته للواقع تماما»(١).

لكن إذا أتينا الى الأساس الذى يبني عليه (حبيب سعيد) ثقته هذه، فإننا نجده أساسا مهلهلا، وضعيفا لا يصمد أمام النقد العلمي النزيه. حيث نجده يستشهد دلالة على قوله بما قاله الأستاذ / عباس محمود العقاد في كتابه (عبقرية المسيح) من قوله :

«وليس من الصواب أن يقال : ان الأناجيل جميعا عمدة لا يعول عليها في تاريخ السيد المسيح؛ لأنها كتبت عن سماع بعيد، ولم تكتب من سماع قريب في الزمن والمكان؛ ولأنها في أصلها مرجع واحد متعدد النقلة والنساخ؛ ولأنها روت من أخبار الحوادث مالم يذكره أحد من المؤرخين، كانشقاق القبور، وبعث موتاهم، وطوافهم بين الناس، وما شابه ذلك من الخوارق والأهوال.

وانما الصواب أنها العمدة الوحيدة في كتابة ذلك. اذ هي قد تضمنت أقوالا في مناسباتها لا يسهل القول باختلافها، ومواطن الاختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها، والمقارنة بينها وبين آثارها، ورفضها على الجملة أصعب من قبولها عند الرجوع الى أسباب هذا وأسباب ذاك....

وسواء رجعت هذه الأناجيل الى مصدر واحد، أو أكثر من مصدر، فمن الواجب أن يدخل في الحسبان أنها هى العمدة التى اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس الى عصر المسيح، وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفي سنة عمدة أحق منها بالاعتماد(١).

---

(١) المرجع السابق ص٢٧٨.

(٢) موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية (توحيد وأنبياء) المجلد الأول ص٧٢١ ط١.

والواقع أن هذا الأساس مردود، فالعقاد لم يقل بأن كل مافيها وحي صادق مطابق للواقع كما يدعي حبيب سعيد، ولكنه اعتمدها كمراجع تاريخية في معرفة حياة السيد المسيح؛ لأنها الوثائق الأقرب عهداً التى كتبها أتباعه بعد موته. استمع اليه وهو يقول :

« ونحن قد عولنا على الأناجيل، ولم نجد بين أيدينا مرجعا أوفى منها لدرس حياة الرسول، والاحاطة بأطوار الرسالة وملابساتها »(١).

وشتان بين اعتبارها هكذا، وبين أن يقال : إنها وحي إلهي، معصوم عن الخطأ في نقل أقوال المسيح وأحواله. قد لانجد أقدم منها في معرفة هذه الأحوال والأقوال، لكن قِدَمها لايعني عصمتها فيما احتوته من تلك الأقوال والأحوال، للأسباب التي نقلناها عن ابن تيمية، والتي نقلناها عن بعض علماء النصارى أنفسهم تلك الأسباب التي جعلت الكثيرين يقولون بوقوع التحريفات والأخطاء في تلك الأناجيل، وللمقارنات الواقعية بينها، وهي مقارنات أظهرت مافيها من تحريفات، وما بين بعضها والبعض الآخر من اختلافات.

وليس معنى ذلك أنها لاتحوى جانبا من الحقيقة، ولكن الذي نعنيه أنها لاتحوى كل الحقيقة. وأنها لم تسلم في الكتابة والنقل والترجمة من عوامل التغيير والتحريف؛ لأنها لم تكن بأقلام رسل ملهمين معصومين كما يدعون.

ولعل خير ما يعبر عن قيمة هذه الأسفار (التاريخية) ما نقرأه في كتاب : (العقل والإيمان أو لماذا نؤمن بعقائدنا المسيحية) بقلم الأستاذ/ نورمن

---

(١) المرجع السابق نفسه ص٧٢٢. ونأخذ على كلام العقاد : أنَّ هناك ماهو أوفي من الإنجيل، وأوثق، في دراسة حياة المسيح – عليه السلام – وهو القرآن الكريم.

أندرسن قوله :

« مع أن الكثيرين – ومن ضمنهم : مؤلف هذا الكتاب – يؤمنون كل الإيمان بوحي هذه الأسفار، إلاّ أننا لا نفترض بالضرورة وجود هذا الإيمان في قرائنا الكرام، بل على عكس ذلك نفترض جدلا بأن نعتبر هذه الأسفار كأنها مخطوطات بشرية، لها نفس الثقة التي لغيرها من المخطوطات القديمة لا أكثر ولا أقل، على أنه لمن المستغرب أن قوماً من الذين يدّعون لأنفسهم قوة الإدراك، وفضيلة الانصاف يتوهمون أن الافتراض جدلا بعدم وحي هذه الأسفار يجردها حتما من قيمتها التاريخية كوثائق قديمة، ويتركها بلا قيمة إلاّ في دائرة الروح والأخلاق»[1].

« ونحن – المسلمين – نؤمن بأن في خبايا الأناجيل شيئا من أقوال المسيح وتعاليمه، التي يحتمل أنها وحي من الله، لكن ذلك لم يثبت لدينا بسند تاريخي موثوق الى المسيح، وإنما آمنا به، لأننا لو عرضناه على الوحي الالهي المحفوظ (القرآن) والسنة المطهرة، لوجدنا الصلة بينهما واضحة»[2].

رابعا : يذهب ابن تيمية – كما ذكرنا من قبل – الى أن الأناجيل قد ترجمت، ومع الترجمة من لغة الى لغة يقع التحريف. فضلا عما وقع فيها من تحريف لما نقله كتّابها من أعمال المسيح وأقواله، ويشهد لذلك جيروم من واقع خبرته العملية في ترجمة العهد الجديد، فيقول :

« إني لما أردت ترجمة العهد الجديد، قابلت نسخه التي كانت عندي

---

(١) ط٢ مترجمة الى العربية ص٢٢ نقلا عن الأستاذ : منصور حسين القاضي : دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ص٣٨٢.

(٢) سفر عبد الرحمن بن أحمد / العلمانية ص ٢١ . ٢٢ (رسالة ماجستير).

فوجدت اختلافا عظيما»[1].

ويقول المستر (كارلائل)[2] في بيان أثر الترجمة في تحريف الأناجيل :

« المترجمون الانكليزيون أفسدوا المطلب، وأخفوا الحق، وخدعوا الجُهال، وجعلوا مطلب الانجيل الذي كان مستقيما معوجًا، وعندهم الظلمة أحب من النور، والكذب أحق من الصدق»[3].

ويقول آدم كلارك – هو أحد مفسري فرقة البروتستانت – في تأكيد هذا المعنى في مقدمة تفسيره من المجلد الأول :

« كانت الترجمات الكثيرة باللسان اللاتيني من المترجمين المختلفين موجودة قبل جيروم، وكان بعضها محرفا في غاية درجة التحريف، وبعض مواضعها مناقضا للمواضع الآخر»[4].

والواقع أن سبينوزا المؤرخ اليهودي يذكر لنا عدة تعليلات لوقوع التحريف في أسفار العهدين هي في مجملها لاتخرج عن تعليلات ومبررات ابن تيمية وغيره فيقول :

« ١ – لم تدون أسفار العهدين القديم والجديد بتفويض خاص في عصر واحد يسري على كل الأزمان، بل جاء تدوينها مصادفة، وقصد بها أناس

---

(١) نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص ٤٦١.

(٢) بحثت عن ترجمة فلم أجد ووجدت في دائرة المعارف البريطانية (اسم توماس كاربيل) مؤرخ ومؤلف اسكتلندى وأحد الحكماء البارزين في بلاده.

(٣) نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص٤٦٣.

(٤) نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص ٤٦١.

معينـــون، ودونـــت بحيث تلائم مقتضيات العصر، والتكويـن الشخصي لهؤلاء الناس.

٢ - تم اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخــرى تم جمعها، وأقرها مجلس الفريسيين، وكذلك قبلت أسفار العهـد الجديد ضمـن المجموعة القانونية بقرار بعض المجامع الكنسية التي رفضت في الوقـــت نفســه أسفارا أخرى كثيرة بوصفها منعدمة القيمة، مع أن كثيرا من الناس كانوا يقدسونها. على أن أعضاء هذه المجامع الكنسية (سواء مجامع الفريسيين أم مجامع المسيحيين) لم يكونوا أنبياء، بل كانوا من ذوي الخبرة والفقهاء فحسب.

٣ - لم يكتب الحواريون بوصفهـــم أنبياء، بـــل بوصفهم فقهاء واختاروا أسهل الطرق لتعليم التلاميذ الذين يودون تكوينهم، وبالتالي فإن رسائلهم تتضمن أشياء كثيرة يمكن الاستغناء عنها دون أن يلحق ذلك أي ضرر بالدين.

٤ - وأخيرا فهناك أربعة أناجيل في العهد الجديد، ومَنْ منّا يستطيع أن يعتقد أن الله أراد أن يقص سيرة المسيح وأن يبلغه للبشر أربع مرات؟ لاشك أنه توجد في كل انجيل أشياء معينة لاتوجد في غيره، وأن كل انجيل يساعد في فهم الآخر. ومع ذلك لاينبغي أن نستنتج من ذلك أن من الضروري معرفة كل ما يرويه كتّاب الأناجيل الأربعة، وأن الله قد اختارهم كتّابا ... فلقد بشّر كل واحد منهم بانجيله في مكان خاص، وكتب كل منهم ما بشر به، لا لشئ إلاّ لكي يروي سيرة المسيح بطريقة أوضح، لا لكي يشرح الأناجيل الأخري، فإذا كانت مقارنة الأناجيل تؤدي أحيانا الى فهم المرء لها على نحو أفضل وأيسر،

فإن ذلك يحدث مصادفة ... »(١).

وهناك أسباب أخر للتحريف، نكرها المؤرخون المسيحيون من ذلك :

أولا : ما يقوله (هورن) حيث يقول :

« لوقوع التحريف في العهد الجديد أسباب أربعة هي :

١ - غفلة الكاتب وسهوه.

٢ - نقصان النسخة المنقولة عنها.

٣ - التصحيح الخيالي والإصلاح.

٤ - التحريف القصدي الذي صدر عن أحد لأجل مطلبه، سواء كان المحرف من أهل الديانة أو من المبتدعين ...

وهذا الأمر محقق، أن بعض التحريفات القصدية صدرت عن الذين كانوا من أهل الديانة والدين، وكانت هذه التحريفات ترجح بعدهم لتؤيد بها مسألة مقبولة، أو يدفع بها الاعتراض الوارد عليها»(٢).

وقد أورد (هورن) جميع الصور المحتملة لوقوع التحريف، وأقر بأنها وقعت في الأسفار الكتابية، وضرب الأمثلة الكثيرة على ذلك، ولما كان المقام مقام بيان أسباب التحريف، فإننا سوف نذكرها في الفقرة التالية عندما نتصدى للتحريفات الواقعة.

---

(١) سينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٤٣ ./ ٣٤٤ ترجمة وتقديم د. حسن حنفي مراجعة د. فؤاد زكريا.

(٢) الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص٤٦٤ / ٤٦٦ باختصار.

ثانيا : كان الكذب والخداع عند النصارى مستحسنا ومستحبا دينيا في سبيل إشاعة التدين بين الناس، وكان ذلك من أسباب التحريف كما يقول (سلسوس) – وهو من علماء القرن الثاني الميلادي :

« إن الكذب والخداع كان بمنزلة المستحبات الدينية»(١) (أي خلال القرنين الأولين في المسيحية).

ويقول موشم – من مؤرخي القرن الثاني الميلادي – تأكيداً لقول سلوس هذا : « كان بين متبعي رأي أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة هي :

إن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق، وعبادة الله ليسا بجائزين فقط، بل قابلان للتحسين. ويتعلم هذا الكلام منهم يهود مصر قبل المسيح. ويظهر ذلك جليا في كثير من كتب اليهود القديمة، ثم أثَّر وباء هذا الخطأ السيء في المسيحيين، كما يظهر هذا الأمر بجلاء من الكتب التي نسبت الى الكبار كذبا»(٢).

فظهر من ذلك : « أن التحريف في الكتب المقدسة كان من المستحسنات عند أسلاف اليهود والنصارى»(٣).

ثالثا : وهناك سبب من أسباب الانحراف الذي أدى الى التحريف وهو :

دور بولس في تحريف المسيحية وكتبها :

---

(١) المرجع السابق نفسه ٤٤٨.

(٢) تاريخ موشيم المجلد الأول ص٦٥ مطبوع عام ١٨٣٢م. نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص ٤٤٨.

(٣) أنظر : المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى : محمد نبي الاسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ص ١٠٩.

فأهم مؤثر في التحريف بكتب النصارى هو بولس اليهودي « الذي ينسب اليه أربعة عشر سفرا من أسفار العهد الجديد تسمي رسائل بولس، وقد كتبت قبل كتابة الأناجيل ببضع عشرات من السنين فلا يمكن أن ننسى دوره في تحريف الديانة المسيحية : عقائدها وشرائعها، حيث إن المسيحية الحاضرة تنسب اليه أكثر مما تنسب إلى غيره، وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله، بل إن كلمة (رسول) إذا أطلقت لايراد بها في اصطلاح المسيحيين إلاّ بولس ويطلقون عليه كذلك لقب الرسول الكبير»(١).

وقد كان في أول أمره عدواً لدوداً للمسيح والمسيحيين، ونالهم أشد العذاب على يديه، وقد حاول جاهدا أن « يمحو اسم عيسى وأتباعه من الأرض، (ولكنه) رأى أخيرا عدوه الناصري في السماء لامعا، داخل الأنوار ... فاهتدى وتسمى بولس»(٢) . وتحول من معذب مضطهد للمسيحية الى مبشر ورسول ملهم لها.

وبولس وان كان قد دخل المسيحية، وأصبح أحد دعاتها إلاّ أنه مازال يهوديا في أفكاره وفي أفعاله، ولا أدلّ على ذلك من شهادة المسيحيين أنفسهم. فهذا (ول ديورانت) المؤرخ المسيحي، يقول :

« قد بقي بولس الى آخر أيامه يهوديا في عقله وخلقه »(٣).

وحيث إن التحريف طبيعة يهودية، فقد حرف بولس العقيدة المسيحية

---

(١) د . على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة ص ٦٠ بتصرف قليل.
وانظر كذلك : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٦٩ ـ ٧٥.

(٢) عبد الأحد داود الآشورى : الإنجيل والصليب ص١٦٠.

(٣) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد رقم ١١ ص ٤٥٠ ترجمة محمد بدران.

وجعلها عقيدة تعدد (تثليث) بعد أن كانت عقيدة توحيد. وأدخل فيها عقيدة الصلب والفداء الوثنية، ونقلها من دعوة خاصة[1] لبني اسرائيل الى دعوة عامة عالمية وهو الذي أدخل فكرة قيامة المسيح من قبره.

أما عن تحريفه في الشرائع المسيحية فحدّث ولا حرج، فهو الذي ينسب التشريع لنفسه، وأنه هو المشرع[2] وهو الذي ابتدع التراتيل والمزامير والأغاني في الكنائس، وهو الذي ألغى الختان، و استبدله بالمعمودية، وهو الذي ابتدع الفخارستيا (العشاء الرباني). وهدفه من كل ذلك هو : « هدم المسيحية، وتقويضها من الداخل، بعد أن فشل في هدمها ومحوها تماما من الخارج كعدو لدود، ومعذب مضطهد؛ لأن الاعتداء بالمواجهة يصنع عادة «رد فعل»، والاعتداء بالحيلة والخداع واختلاق القصص المثيرة قد يكون أسهل بكثير من المواجهة من الخارج»[3].

---

(١) أنظر انجيل متى ١٥ : ٢٤، ١٠ : ٥ -٦ ما يدل على خصوصية دعوة عيسى - عليه السلام - من قوله : «لم أرسل إلاّ الى خراف بيت اسرائيل الضالة» وقوله لحوارييه»... الى طريق أمم لا تمضوا، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة».
وانظر كذلك : سورة آل عمران آية ٤٩ : «... ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم...» الآية.
وسورة الصف آية ٦ : « واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله اليكم... الآية.

(٢) أنظر : الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ٧ :١٢، ٢٥ وغيرها كثير وسوف يأتي الاستشهاد بذلك في فصل الشرائع.

(٣) سارة العبادي : التحريف والتناقض فى الأناجيل الأربعة ص ١٠٧ (رسالة ماجستير) عام ١٤٠٢هـ.

٤ - عوامل حفظ القرآن من التحريف، والفرق بينه وبين كتب النصارى عند ابن تيمية :

وفي ختام تعقيبنا هذا على رأي ابن تيمية في تحريف كتب النصارى وهو التعقيب الذي تناولنا فيه هذه الآراء تحليلا وتعليلا وتأكيدا.

في ختام هذاالتعقيب نشير الى ما انتهى اليه ابن تيمية من المقارنة بين أسفار أهل الكتاب وبين القرآن فيما يتعلق بقابلية التحريف وقد انتهى من هذه المقارنة - كما رأينا - الى أن القرآن يتميز عن هذه الأسفار بعصمة مبلّغه الينا، وتواتر نقله، وسهولة حفظه. وكل ذلك يحفظه من التحريف في الوقت الذي يجوز فيه هذا التحريف على الأسفار الكتابية التي تخلو من هذه الخصائص. وأهم ما يذكره ابن تيمية من الفوارق بين القرآن، وتلك الأسفار هو التعهد الالهي بحفظه، وذلك في قوله تعالى : { انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون}(١).

أما هي فقد وكّلها إلى أصحابها كما أشار الى ذلك في قوله تعالى : { انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله، وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}(٢).

والتعهد الإلهي بحفظه يحفظه من الضياع والتحريف، أما أصحاب هذه الأسفار فلم يحفظوا ما استحفظوا من كتاب الله، بل ألحقوا به التحريف، وهذا

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) سورة المائدة آية ٤٤.

التعهد الألهي للقرآن وان لم يعترف به أصحاب هذه الأسفار إلاّ أنه حقيقة صحيحة بشهادة القرآن الكريم، وشهادة الواقع لهاعبر عشرات القرون التي مرت عليه منذ إنزاله، وهو كما هو محفوظا في الصدور متلواً بالألسنة مكتوباً في المصاحب دون تغيير أو تبديل[١].

وقد نتج عن كل ما أحدثه بولس في عقائده المسيحية مما سطره في رسائله، أو نشره بين المسيحيين – نتج عن كل هذا انحراف المسيحيين في عقيدتهم، وبالتالي انحراف كتّاب الأناجيل فيما سجلوه من هذه العقيدة، وتحريفهم لما نقلوه عن المسيح من الأقوال والعقائد التي كانت قطعا غير ما أشاعه بولس هذا بين المسيحيين.

فتحريف المسيحية بعقائدها وأناجيلها يحمل وزره بالدرجة الكبرى هذا اليهودي المتسمى بولس كعامل من أهم عوامل الإنحراف والتحريف بالإضافة الى ما قدمناه من العوامل والأسباب.

---

(١) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص ٥-٧.
وكذلك ج١ ص ٣٦٧-٣٦٩.

الفصل الثالث

في

تناقض الأناجيل

أولا : الإختلاف الواقع في نسب المسيح - عليه السلام - بين انجيل (متى) و (لوقا).

ثانيا : الإختلاف الواقع في الزمن في « قصة معجزة صيد السمك »بين انجيلي (لوقا) و (يوحنا).

ثالثا : الإختلاف الواقع بين انجيلي (مَتّى) و (لوقًا) في مكان ظهور المسيح عليه السلام.

رابعا : الإختلاف الواقع في الأناجيل الثلاثة (ـ مَتّى ، ومرقس ، ولوقا) حول اسم زوج هيروديا.

خامسا : الإختلاف الواقع بين الأناجيل في أسماء الحواريين.

سادسا : تناقض بعض نصوص إنجيل يوحنا في نفسها، ومع العقيدة المسيحية في الله.

سابعا : التناقض بين الأناجيل في ذكر ما نقلته من أقوال المسيح عليه السلام.

ثامنا : التناقض بين الأناجيل والواقع.

تعقيب :

الفصل الثالث

تناقـــض الأنـاجيـــل

تمهيد :

قلنا في الفصل السابق إن ابن تيمية – مع عنايته بقضية تحريف الأناجيل من حيث أنواعه وعوامله وأدلته على وقوعه – قلنا إنه مع عنايته بذلك لم يعنَ بذكر نماذج لهذا التحريف ، مكتفياً بالاشارة المجملة إلى بعض هذه النماذج.

ونقول هنا كذلك :

إنه مع اشاراته المجملة للتناقضات الواقعة بين الأناجيل ، فإنه لم يعن بذكر النماذج التفصيلية لهذه التناقضات عناية من قدمنا ذكرهم من العلماء فى الفصل السابق .

ونود فى هذا الفصل أن نقدم بعض هذه النماذج التفصيلية لما قرره ابن تيمية فى هذا المقام من التناقض الواقع بين الأناجيل ، بل وبين الأنجيل الواحد بعضه مع بعض استكمالا لدراسة ابن تيمية للأناجيل وماقرره بشأنها من تحريف وتناقض .

والدراسات التى قُدمت فى هذا الجانب قديمها وحديثها حافلة بعشرات الأمثلة التى يطول المقام بذكرها ، ولهذا فإننا نكتفى بذكر بعض هذه النماذج بقدر مايقتضيه المقام ولا يطول به الكلام . ومن ذلك مايأتى :

أولا – الاختلاف الواقع فى نسب المسيح بين انجيل متّى وبين انجيل لوقا :

فهو فى انجيل (متّى) : «المسيح ابن داود ، ابن ابراهيم ، ابراهيم ولد اسحاق ، واسحاق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا واخوته ، ويهوذا ولد فارص، وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون ، وحصرون ولد أرام ، وأرام ولد عمينا داب، وعمّينا داب ولد نحْشون، ونحْشون ولد سَلمون وَسلمون ولد بوعز من راحاب ، ويوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسيً، ويسّى ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريّا، وسليمان ولد رحبعام، ورَحْبَعَام ولد أبيّا وأبيّا ولد آسَا، وآسا ولد يهوشَافَاط، ويهوشافاط ولد يُورام ، ويُورام ولد عُزّيا، وعزيا ولد يُوثام، ويوثام ولد أحاز، وأحاز ولد حزْقيا، وحزقيًا ولد منَسًى، ومنسى ولد آمون، وآمون ولد يُوشيًا. ويوشيا ولد يَكنّيا واخوته عند سبي بابل، وبعد سبى بابل يكنيا ولد شأَلتئيل، وشألتئيل ولد زَرُبَأبل، وزربابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد ألياقيم، وألياقيم ولد عازور. وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أخِيم، وأخِيم ولد ألِيُود، وألِيُود ولد ألِيعازر، وأليعازر ولد متّان، ومتّان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح ...(١).

أما فى انجيل لوقا فإن نسب المسيح يختلف عما نقلناه عن انجيل متّى اختلافا بيّناً حيث يقول :

« ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ماكان يظن :

ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينّا بن يوسف بن

---

(١) ١ : ١ – ١٦.

متاثيا بن عاموص ابن ناحوم بن حسلى بن نجاي بن مآث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا ابن يوحنا بن ريسابن زَرُبآبل بن شألتيئيل بن نيرى بن ملكى بن أدّي بن قُصَم ابن ألمودام بن عير بن يوسيِ بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي بن شمعون ابن يهوذا بن يوسف بن يونان بن أليِاقيم بن مليا بن مينان بن متأثا بن ناثان ابن داود بن يسَّى بن عوبيد بن بوعز بن سلْمُون بن نحشون بن عمّينا داب بن أرام ابن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم بن تارح ابن ناحور بن سروج بن رَعُو بن فالج بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام ابن نوح بن لامك بن متوشلاح بن اخنوخ بن يارد بن مَهْلَلْئيل بن قينان بن أنوش ابن شيت بن آدم ابن الله . (١)

ويعلّق موريس بوكاي على شجرتي النسب هاتين ، ويصف الاختلاف بينهما بأنه تترتب عليه مشاكل محرجة . فيقول :

« تطرح شجرتا النسب اللاتان يحتوى عليهما انجيلا (متى ، ولوقا) مشاكل تتعلق بالمعقولية، وبالاتفاق مع المعطيات العلمية ... ومن هنا فهى مشاكل تتعلق بالصحة ، وهى مشاكل تحرج جدا المعلقين المسيحيين ....

وبادىء ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح ، ولو كان من الضرورى اعطاء المسيح نسبا وهو وحيد مريم (أمّه)، وليس له أب بيولوجى، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط . (٢)

---

(١) ٣ : ٢٣ – ٣٨.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٠٥ ط ٤.

والواقع أن من يقابل بين شجرتي النسب على نحو ما أوردناه آنفا من انجيلي (متى ، ولوقا) يتضح له التناقضات الواقعة في سلسلة النسب بين هذين الانجيلين، وذلك على النحو الآتي :

١ – في متّى : أن رجل مريم يوسف بن يعقوب، وفي لوقا : ابن هالي.

٢ – في متّى : أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام ، وفي لوقا : أنه من أولاد ناثان بن داود .

٣ – في متّى : أن جميع آباء المسيح من دواود الى جلاء بابل سلاطين مشهورين .

وفي لوقا : أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير دواد وناثان.

٤ – في متّى : أن (شألتئيل بن يكنيا) ،

وفي لوقا : أنه ابن نيرى .

٥ – في متى : أن اسم ابن زربابل : أبيهود ،

وفي لوقا : أن اسمه : ريسا. (١)

« ... ولما كان الاختلاف بين النسبين ظاهراً بادى التأمل تحير فيهما علماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الانجيلين الى اليوم ... ، لذلك اعترف جماعة من المحققين مثل : أكهارن ، وكيسر ، وهيس وديوث .. وغيرهم بأنهما مختلفان معنويا ، وهذا حق وعين الانصاف. (٢)

---

(١) انظر الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق ج١ ص ١٦٠ ، ١٦١ بتصرف واختصار.

(٢) المرجع السابق نفسه.

ومما يجدر ذكـــره أن سلسلتي النسب تلتقيان فى طرف المسيح عند يوسف رجل مريم على ماكان يُظن أن المسيح ابنه على حـــد تعبير انجيل لوقا، أى حسب ماكان مشهورا فى أوساط اليهود من كـــون المسيح ابن يوسف النجـــار؛ لأن يوسف كان زوجا لها فى اعتقادهـــم (أى اعتقاد اليهود).

والواقع أن ايراد كتّاب الأناجيل لهذا النسب - حتى ولو غضضنا النظر عما فيه من تحريفات وتناقضات - الواقع أن ايرادهم لهذا النسب على أنه نسب المسيح ، خطأ تاريخى ، ودينى ، ومخالف للواقع .

فلو فرضنا صحة هذا النسب ، لكان نسباً ليوسف رجل مريم - كما يقولون سواء كان زوجا لها ، أو خطيبا ، ولا علاقة بين يوسف والمسيح إلاّ عند اليهود . أما فى الواقع وطبقا لما تقضى به العقيدة الصحيحة ، فالمسيح ابن مريم ، وليس ابن يوسف ، وهو آية من آيات الله ونفخة من روحه نفخها فيها روح القدس فماله ولهذا النسب البشرى ؟ وكيف للوقا أن يورد للمسيح نسبا يجعله فيه ابن يوسف رجل مريم حتى ولو عبّر عن ذلك قائلا : « على ماكان يظن » ؟ كيف يتابع ظنون اليهود - حتى ولو اعتبرها ظنونا ظاهرية لا صحة لها - فى قولهم بأن عيسى ابن يوسف ؟ أليس فى ذلك تأييد لاتهامات اليهود لمريم عليها السلام - وطعن فى المسيح ؟

وفيما يتعلق بـ (متى) انتهى بالنسب الى يوسف قائلا عنه : إنه « رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح » . فقد نسب المسيح الى مريم لا إلى يوسف ، فكيف يعتبر هذا النسب الـــذى أورده نسباً لعيســـى والعلاقة بـــين يوسف ومريم لاتعدو أن يكون مجرد خطيب لها لم يدخل بها كما يقول

متّى نفسه [1] وان كان تعبيره عن يوسف بأنه رجل مريم يتعارض مع اعتباره مجرد خطيب لها ، فلا يطلق مثل هذا التعبير – بالنسبة لأى امرأة – إلاّ على زوجها ، وفى مثل ذلك مايلقى ظلالا من الشك على العلاقة بين المسيح ويوسف – على نحو مايزعم اليهود – وهو مايخالف بالتأكيد عقيدة (متّى) وكل المسيحيين.

إن العقيدة الصحيحة فى ولادة المسيح – عليه السلام – من غير أب بشرى تهدر قيمة أى نسب بشرى يعطى للمسيح سواء كان فى الأناجيل أو فى غيرها .

وأخيرا :

فإننا « اذا نظرنا إلى سلسلة النسب هذه ، نجد أن من بينها اسم (فارص) بوصفه جداً من جدود المسيح – عليه السلام – وقد ورد عنه – فى سفر التكوين فى الاصحاح (٣٨) – أنه توأم لشقيقه زارح ، ولدتهما أمهما تامار عن طريق الزنا من يهوذا ابن يعقوب.

فهل يعقل أن من تقدسه النصارى يكون أحد جدوده من الزنا ، ثم يرفعونه بعد ذلك إلى مقام الألوهية ؟!» [2]

وقد حاول المعلقين المسيحيين اخفاء هذه التناقضات التى تتضح للعين المجردة، ومحاولة طمسها والتعسف بشأنها تحت بهلوانيات جدلية حاذقة. لكن يأبى الله إلاّ أن يحق الحق بكلماته ولو كره الكافرون .

---

(١) متى ١ : ١٨ . « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا. لمّا كانت مريم أمّه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ».

(٢) المستشار محمدعزت اسماعيل الطهطاوي : النصرانية والإسلام ص٢٣٢ بتصرف قليل.

ومما سبق يظهر لنا جليا أنه لايمكن الأخذ برواية أي من (متى أو لوقا) عن نسب المسيح حيث إننا لو اعتبرنا احدى الروايتين صحيحة لكانت الأخرى خاطئة بلاشك.

ثانيا : الاختلاف الواقع فى الزمن فى (قصة معجزة صيد السمك) بين انجيلى لوقا [1] ويوحنا [2] .

حيث يذكر انجيل لوقا أحداث القصة أنها وقعت فى أثناء رسالة عيسى فى الجليل ، أما أنجيل يوحنا ، فيذكر أحداثها ، بأنها وقعت بعد قيامه من الأموات.

وهذا تناقض فاضح وظاهر ، ممن يدّعون أنهم يكتبون بإلهام ، فيحصل منهم هذا التقديم والتأخير فى توقيت الحوادث ، وتاريخ الوقائع.

ثالثا : الاختلاف الواقع بين انجيل متى [3] وبين انجيل لوقا [4] فى مكان ظهور المسيح – عليه السلام – حيث يفهم من كلام (متّى) أن أبوى المسيح (على حد تعبير الانجيلين السابقين ويقصدان يوسف النجار ومريم) كانا يقيمان فى بيت لحم بعد ولادته ، وأن هذه الاقامة كانت لمدة سنتين تقريبا ، وجاء المجوس إلى هناك يريدون أن يسجدوا للرب، ثم ذهب

---

(١) راجع الإصحاح الخامس الفقرات من ١ – ١١.

(٢) راجع الإصحاح الحادي والعشرين الفقرات من ١ – ١٤.

(٣) انظر الإصحاح الثاني كله.

(٤) أنظر الإصحاح الثاني أيضا الفقرات من ٢٢ – ٤٣.

يوسف ومريم إلى مصر هربا من هيرودس ، وأقاما فيها حتى وفاة هيرودس ثم رجعا وأقاما فى الناصرة.

ويفهم من كلام (لوقا) أنهما ذهبا إلى أورشليم ، بعد ولادة المسيح، وقدما الذبيحة ، وفى هذه الأثناء أخذ سمعان – الممتلىء بروح القدس – المسيح – عليه السلام – على ذراعيه فى الهيكل ، وبيّن أوصافه . وكذلك حنّة النبية بنت فوئيل ، وقفت تسبح ربها فى تلك الأثناء ، وأخبرت جميع المنتظرين فى أورشليم ، ثم عاد أبواه بعد ذلك إلى الناصرة ، وأقاما فيها ، وفى كل سنة من أيام العيد كانا يذهبان من الناصرة إلى أورشليم . وأن المسيح عندما بلغ الثانية عشرة من عمره أقام بدون علم أبويه ، ثلاثة أيام فى أورشليم.

ويقول صاحب اظهار الحق تعليقا على ذلك : .

« لوكان هيرود ، وأهل أورشليم معاندين للمسيح ، لما أخبر الرجل الممتلىء بروح القدس فى الهيكل الذى كان مجمع الناس فى كل حين ، ولَماَ أخبرت النبية بهذا الخبر فى أورشليم التى كانت دار السلطنة لهيرود. » (1)

« وقد سلّم نورتن بهذا الاختلاف الحقيقى بين الانجيلين ، وحكم بأن بيان (متّى) غلط ، وبيان (لوقا) صحيح. » (2)

وقد أقرّ أكولمان * الدبلوماسى الألمانى فى كتابه (العهد الجديد)، بهذا

---

(1) هو الشيخ رحمة الله الهندي ج ١ ص ١٦٨.

(2) الشيخ رحمة الله الهندي ج ١ ، ص ١٦٨.

* ولد في استانبول في ١٨٧٣م، وتوفي في ألمانيا عام ١٩٤٨م، سياسي ألماني، كان يعمل دبلوماسيا في لندن واستانبول ولاهاي، ثم صار وزيراً للخارجية في عام ١٩١٧م الى انتهاء الحرب العالمية الأولى. انظر الموسوعة الأمريكية ج١٦ ص ٥٥٢.

الاختلاف والتناقض بين انجيلى (متّى ولوقا) فى مكان ظهور المسيح. (١)
والغريب أنهم يعترفون بالتناقض والخلل في كتبهم ، ومع ذلك فهم يعتبرونه من المبررات التى تبعث على الثقة بالكتاب المقدس !!!

يقول الأب روجي* (R.P. Roguet) تعليقا على مكان ظهور المسيح :

« إن هذا التفكك ، وهذا الغموض – وهذا الاختلال يبعث على الثقة (عنده). » (٢)

رابعا : الاختلاف الواقع فى الأناجيل الثلاثة (متى (٣) ،ومرقس (٤) ، ولوقا(١) حول اسم زوج هيروديا، حيث ذكروا أنه (فِيلبُسٌ)،

والصحيح أنه هيرود . ولما عرف علماؤهم بأنه غلط، طالبوا باسقاطه ، وأسقطه بعضهم كهذا !!!

ويعلق الشيخ رحمة الله الهندى على ذلك بقوله :

« إن لفظ (فِيلُبُس) غلط يقينا فى الأناجيل الثلاثة ، ولم يثبت فى كتاب من كتب التاريخ أن اسم زوج هيروديا كان فِيلُبُّس، بل صرح يوسفس فى الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر أن اسمه كان هيرود أيضا ، ولما كان غلطا (يعنى اسم فيلُبس) فقد قال هورن في الصفحة (٦٣٢) من المجلد الأول من تفسيره :

---

(١) أنظر موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٢٢ ط ٤.

* في كتابه (مقدمة الإنجيل ط عام ١٩٧٣م.

(٢) انظر : موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٢٢ ط٤.

(٣) ١٤ : ٣ : ٤.

(٤) ٦ : ١٧ – ١٨.

(٥) ٣ : ١٩.

« الغـالب أن اسـم فـيلبس وقع فـى المتن من غلط الكاتب ، فليـسـقط، وكريسباخ قد أسقطه. »

وعندنا – والكلام للشـيخ رحـمـة الله الهندى – هذا اللفظ من أغـلاط الانجيليين ، ولا نسلّم لهم قولهم من غلط الكاتب ، لأنه دعوى بلا دليل ، وييعد كل البعد أن يقع الغلط من الكاتب فى الأناجيل الثلاثة فى مضمون واحد وأنظر إلى تجاسرهم : إنهم بمجرد ظنهم يسقطون ألفاظا ، ويدخلون ألفاظا أخرى ، وتحريفهم هذا جار فى كل زمان . » (١)

وهذا (جون فنتون) ، أحد علماء المسيحية وكبار رجال اللاهوت فيها، يعلق على هذه الأغلاط الحاصلة فى الأناجيل الثلاثة المذكورة فيقول :

« لقد كان مرقس مخطئا بالتأكيد في قوله : « إن هيروديا كانت زوجة لِفيلُبّس » ، فقد كانت زوجة لهيرود آخر ، الذى كان أخا غير شقيق لهيرود أنتيباس .

ان حـذف اسم فـيلبس من نـصـوص بعض المراجع المعـتـمـدة قد تكون مـحـاولة متـأخرة لإصـلاح الخطأ الذى وقع فـيـه (متّى) حـين اقـتـفـى أثـر مرقس. » (٢)

خامسا : الاختلاف الواقع بين الأناجيل فى أسماء الحواريين حيث إن اسـمـاء الحـواريين الآثنى عـشـر لم تسلم من التـحـريف فى الأناجيل الثـلاثة

---

(١) اظهار الحق ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) تفسير انجيل متى ص ٢٤٠ / ٢٤١ نقلا عن المهندس احمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٩١.

(متى[1] ، ولوقا[2] ، ويوحنا[3]) فقد جاء في انجيل لوقا اسم يهوذا أخا يعقوب، بينما فى انجيلى متى ومرقس لا وجود لهذا الاسم ، وإنما يوجد اسم (لباوس) الملقب (تداوس).

سادسا : تناقض بعض نصوص انجيل يوحنا فى نفسها ، ومع العقيدة المسيحية فى الله ، من ذلك : ماجاء فى هذا الأنجيل من قول يوحنا :

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله ، كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة ... » [4]

ويعلق السعودى على هذا الخلل والاضطراب الواضح فى هذا النص سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى فيقول :

(هذا النص - أى نص يوحنا - كما ترى مضطرب لفظا ومعنى :

أما من جهة اللفظ ، فإن ذلك بمنزلة قول القائل : الكلام عند المتكلم ، والمتكلم هو الكلام ، والعلم عند العالم ، والعالم هو العلم ، والدينار عند الصيرفى، والصيرفى هو الدينار . وذلك هو الجنون .

وأما اضطرابه من جهة المعنى : فإن الكلمة عندهم هى العلم أو النطق ،

---

(1) ١٠ : ٢ - ٤.

(2) ٦ : ١٢ - ١٦.

(3) ٣ : ١٤ - ٢٠.

(4) ١ : ١ - ٤

وهى التى اتحدت بالجسم المأخوذ من مريم ، وناله القتل والصلب ، وتردد مع الشيطان ، من مكان إلى مكان ، وهو ملازم لهم بمقتضى ماروروا عن يوحنا ـ« إن الله هو الكلمة » ومما يردّ به : قول المسيح وتصريحه فى عدة مواضع من الانجيل أنه نبى وأنه رسول ومعلم ، وأنه لايعلم الغيب ... وذلك كله بخلاف قول يوحنا : إن الله هو الكلمة.] [1]

أما ابن حزم فيبين من خلال تعليقه على هذا النص مدى تناقض نصوصهم فى نفسها وتناقضها مع عقائدهم فى الله ويتساءل مستنكرا :

« كيف تكون الكلمة هى الله ، وتكون عند الله ؟ ! فالله إذاً كان عند نفسه. ثم قوله : إن الذى خلق بالكلمة هو حياة فيها ، فعلى هذا حياة الله مخلوقة ، فروح القدس على نص كلام هذا الرجل مخلوق ، لأن روح القدس – عند جميعهم – هو حياة الله ، وهذا خلاف قول جميع النصارى ، لأن الحياة التى فى الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا ، والله بنص كلام يوحنا هو الكلمة وهذا هدم لملة النصارى ... » [2]

سابعا : التناقض بين الأناجيل فى ذكر ما نقلته من أقوال المسيح – عليه السلام – ومن ذلك :

١ – التناقض الحاصل بين مانقله يوحنا عن المسيح – عليه السلام – من قوله : « ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا. » [3]

---

(١) أبو الفضل المالكي السعودي : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل (مخطوطة) ص ٥١.

(٢) أنظر كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٦١ / ٦٢.

(٣) ٥ : ٣١.

وبين ماجاء فى نفس الانجيل على لسان المسيح أيضا من قوله :

« إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق » [1]

وانا لنرأف بحال هؤلاء القوم كيف يقبلون هذه التناقضات فى كتاب منسوب إلى الله تعالى - كما يزعمون - إذ كيف تكون شهادة المسيح فيه مقبولة ، وغير مقبولة ، وحقا وباطلا فى آن واحد .

٢ - وكذلك التناقض الحاصل بين مارواه متى فى انجيله عن المسيح - عليه السلام - من قوله :

« .... وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر .» [2]

وبين مانقله يوحنا عن المسيح - عليه السلام - أيضا من قوله :

« أما أنا فلست معكم فى كل حين . »[3]

٣ - وأيضا التناقض الحاصل بين مارواه لوقا على لسان المسيح من قوله :

« .... من ليس له فليبع ثوبه ، ويشترى سيفا . » [4]

وبين ماجاء على لسانه - عليه السلام - من نهيه عن استعمال السلاح،

---

(١) ٨ : ١٤.

(٢) ٢٨ : ٢٠.

(٣) ١٢ : ٨.

(٤) ٢٢ : ٣٦.

وعدم مقابلة الضارب بالضرب. فقد جاء على لسانه فى انجيل متى قوله : « الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » (١)

ثامنا : التناقض بين الأناجيل والواقع :

فقد جاء فى اناجيل النصارى - الحالية - جميعها على لسان المسيح، ذكر لعلامات الساعة ، حيث ذكر أن من علاماتها : أن الأرض ستظلم، ولايعطى القمر نوره ، وتسقط نجوم السماء ، وتنوح قبائل الأرض، ويبصرون ابن الانسان آتيا بقوة ومجد كبير.

وبعد ذلك ختم المسيح كلامه بقوله :

« لايمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » .

ولنأخذ نموذجا لِماَ ورد فى انجيل (متّى) ، ونحيل القارىء الكريم لمكانها فى بقية الأناجيل . وسنرى أنه رغم التفاوت فى عبارات الأناجيل فى هذا الموضوع ، والتناقض بينها ، إلاّ أنها اتفقت على أن حدوث ذلك يكون قبل انقضاء الجيل المعاصر للمسيح.

يقول متّى فى انجيله :

« ثم خرج يسوع ، ومضى من الهيكل ، فتقدم تلاميذه ؛ لكى يُروهُ أبنية الهيكل فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : إنه لايترك ههنا حجر على حجر لا ينقض .

وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين :

---

(١) ٢٦ : ٥٢.

قل لنا ، متى يكون هذا ؟ وماهى علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا ، لايضلكم أحد ، فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين : أنا هو المسيح ، ويضلون كثيرين ، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا، لا ترتاعوا ؛ لأنه لابد أن تكون هذه كلها ..... لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن . ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع، حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي .... وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لايعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها ، فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصا ، وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب ، هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا، أنه قريب على الأبواب ، والحق أقول لكم : لايمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . » (١)

وقد انقضى مايزيد على تسعة عشر جيلا من كتابة هذه النبوءات التى وعد بها المسيح، قبل انقضاء جيل المعاصرين له ، ولم يحدث منها شيء . وهذا أكبر دليل على أن هذه الأناجيل من وضع كذبة دجالين.

وفى موضع آخر يروى (متّى) على لسان المسيح قوله لتلاميذه :

---

(١) ٢٤ : ١ – ٣٤

وانظر كذلك انجيل مرقس ١٣ : ١ – ٣٠ ،

وكذلك انجيل لوقا ٢١ : ٥ – ٣٢.

« الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته. » (١)

أى لاينقضى الجيل الأول المعاصر للمسيح ، حتى يعود اليهم المسيح ثانية. ومن الواضح - كما يقول العالم اللاهوتى جون فنتون - : « ان شيئا من هذا لم يحدث كما توقعه متى . » (٢)

وخيبة الأمل التى مُنيَ بها المسيحيون فى عودة المسيح قبل انقضاء الجيل المعاصر له ، كان لها تفسير آخر لدى بعضهم . يقول (ول ديورانت) حول هذا الموضوع : « ولمّا لم تصدق كل هذه العلامات ، ولم يعد المسيح ، رأى عقلاء (؟ !) المسيحيين أن يخففوا من وقع هذه الخيبة ، بتفسير موعد عودته تفسيرا جديدا ، فقالوا : إنه سيعود فى خلال ألف عام ، وقال أشد هؤلاء، حذراً : إن عودته ستكون حين ينقرض جيل اليهود ، أو شعبهم عن آخره ، أو حين لايبقى أحد من غير اليهود لم يصل اليه الانجيل ...

بل إن الاعتقاد بعودة المسيح بعد ألف عام أصبح لايلقى تشجيعا من الكنيسة، وانتهى الأمر بأن صارت تقاومه ، وتحكم على القائلين به بالزيغ والضلال.» (٣)

وحق لهؤلاء المسيحيين (العقلاء) أن ينوحوا على عقولهم قبل دينهم ؛ لأن ماكان وحياً لايكذب ولا يتناقض.

---

(١) متى ١٦ : ٢٨.

(٢) تفسير انجيل متى ص ٢١ نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦١ ط١.

(٣) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص ٢٩٠ / ٢٩١.

تعقيب :

ولعل فيما ذكرناه من نماذج التحريف والتناقض بين الأناجيل ، مايدلنا على أن ماقرره ابن تيمية، وصدّقه عليه جميع الكتّاب، مسلمين ومسيحيين وغيرهم بشأن التحريف والتبديل والتناقض فى كتب بنى اسرائيل عامة وفى الأناجيل خاصة - لعل فى ذلك مايدل على أن ماقرره ابن تيمية من تحريف الأناجيل وتناقضها ، لم يكن أمراً نظرياً فقط ، وإنما كان واقعاً عملياً، شهدت عليه ، وحفلت به صفحات الأناجيل التى يتداولونها ويقدسونها إلى يومنا هذا كما ذكرنا آنفا.

وإذا كانت لنا كلمة أخيرة ، فإننا نقرر هنا أن الأمر - فيما يتعلق بالأناجيل جملة ، والعلاقة بينها وبين انجيل المسيح - هو أمر تغيير وتبديل ، وليس مجرد تحريف، أو تناقض ، فانجيل عيسى - عليه السلام - لم يكن موجودا خلال عشرات السنين التى فصلت بين رفعه وبين البدء فى كتابة هذه الأناجيل ، وإلا فلو كان موجوداً لَمَا احتاج كتّابها إلى كتابة أناجيلهم ، فما كتبوه إذاً لم يكن تحريفا لشىء موجود بالفعل، ولكنه عمل جديد اذا نسب إلى انجيل عيسى قلنا عنه : إنه عمل مغاير لهذا الأنجيل . قد يكون كتّاب الأناجيل - الى جانب كتابتهم لسيرة المسيح - قد حاولوا أن ينقلوا إلينا فيها بعض أقوال المسيح ، وبعض معجزاته ، إما من ذاكرتهم ان كانوا من الحواريين ، أو مما هو شائع على ألسنة الناس ، إن لم يكونوا منهم . ولكننا نضع فى اعتبارنا أن الذين كانوا منهم من الحواريين لم يصاحبوه إلاّ فترات قليلة، ومن ثم لم يعرفوا من أطوار حياته ، ولم يسمعوا من أقواله ، ولم يروا من معجزاته إلاّ القليل. ومع ذلك فإن هذا القليل لم يدونوه إلاّ بعد عشرات السنين من رفعه ،

كما فعل (متى ويوحنا). وخلال هذه السنوات الطويلة، وتحت ظروف الاضطهاد القاسي الذى كان مسلطا على المسيحيين خلال تلك العصور، لانتوقع من هؤلاء الرواية الصحيحة لأقوال وأساليب يصعب على الذاكرة الاحتفاظ بها، لاسيما إذا تقدمت بأصحابها السن، وأضعفتها الحوادث والاضطهادات.

فإذا أضفنا إلى ذلك خضوع هؤلاء الكتاب لتأثير ما أحدثه بولس فى أول عهد المسيحية من العقائد الباطلة والشعائر المنقولة من الأديان والوثنيات الأخرى شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المسيحيين الذين انحرفوا بفعل هذه التأثيرات الغريبة - إذا أضفنا ذلك إلى ماقدمناه من الظروف المحيطة بكتابة هؤلاء الحواريين لأناجيلهم ، أصبح من المعقول وقوع التحريف فيما كتبه هؤلاء، وفى روايتهم لما حفظوه، وفى تأويلهم لما اعتقدوه، ولاسيما بعد ماتبيّن لنا من أنهم لم يكونوا رسلاً لله، بل كانوا فقط رسلاً للمسيح، ومن ثَم فلم يكونوا ملهمين ولا معصومين.

أما إذا كان كتاّب الأناجيل من غير الحواريين كـ (لوقا ومرقس) فإن الأمر يزداد صعوبة عما كان من قبل ، حيث يذكر هؤلاء فى أناجيلهم حصيلة ماكان شائعا فى الأوساط المسيحية عن حياة المسيح وأقواله ومعجزاته، دون أن يكون لهم سند متصل، أو منقطع فيما رووه. وبالاضافة إلى البُعد الزمني بين رفع المسيح، وبين زمن كتابتهم لأناجيلهم، وإلى عدم وجود السند فى روايتهم لأقوال المسيح ومعجزاته - بالاضافة إلى ذلك فإنهم كسابقيهم لابدّ وأن يكونوا قد خضعوا لتأثير التحريفات التى طرأت على العقيدة المسيحية فى أول عهدها على يد بولس، سواء فى نصوصها، أو فى تأويل تلك النصوص وتفسيرها.

ولهذا فإن انحراف تلك الأناجيل عما كان عليه انجيل عيسى يصبح أمراً طبيعياً ومعقولاً، لا استحالة فيه.

لكل هذا – ولغيره مما قدمناه – فقد كان من الطبيعي كذلك أن تختلف هذه الأناجيل بعضها مع بعض، وأن تتناقض، فضلاً عن مخالفتها جميعا لانجيل عيسى. إنها مجرد سير كتبها كتّابها ، وضمّنوها مايذكرونه أو يعرفونه من عقيدة المسيح، ووصاياه، وأحداث حياته، وقد قامت الأدلة على انحرافهم وتحريفهم لما كتبوه من ذلك؛ لمخالفته للحقائق الدينية الصحيحة الواردة فى القرآن الكريم، وكفى بهذا دليلا على تحريفهم. فما ناقض القرآن من العقائد والوصايا الأخلاقية، لايمكن أن يكون صحيحاً. وقد قام الدليل كذلك على تناقضهم فيما بينهم ، وهو مايعترف به المسيحيون أنفسهم، بالاضافة إلى أن ماكُتب بالفعل لم يسلم من التحريفات عبر هذه القرون المسيحية الطويلة، خلال الترجمات التى تعرضت لها الأناجيل من لغة إلى لغة حتى عصرنا الحاضر. حيث حرفت اسرائيل طبعات الأناجيل عندها، وحذفت من تلك الطبعات كل مايتضمن مسؤولية اليهود عن مأساة المسيح خلال قيامه بدعوته، بل وتعرضت الأناجيل على يد أتباعها للاختزال فقد قامت مجلة ريدرز دايجست (المختار) باصدار انجيل جديد مختصر يحتوى على (٣٢٠) ألف كلمة فقط أى مايعادل ٤٠٪ من النص الأصلي الموجود بالأناجيل، وذلك بعد الحصول على موافقة مجلس الكنائس العالمي* .. وقام بالتلخيص تسعة خبراء يشرف عليهم القس (بروس) منذ سنوات. ونُشر هذا الخبر كاملا فى مجلة (تايم) الأمريكية تحت عدد ١٤/أكتوبر ١٩٨٢م.

---

* هو هيئة لاتخدم النصارى مطلقا في أمور دينهم ، ولكنها تعمل ليلا ونهارا بكل الوسائل ضد الإسلام والمسلمين.

ويعلّق ناقل هذا الخبر (معالى عبد الحميد حموده) عليه فيقول :

« رغم طرافة هذا الخبر الذى يحمل فى نفس الوقت تصويراً بليغاً لمأساة أصحاب الأناجيل الأربعة المتداولة، ولكل هؤلاء الذين يؤمنون بهذه الأناجيل، إلا أنه يهمنا هنا أن نتساءل عما ورد فى هذا الخبر العجيب :

هل الانجيل الجديد الذى تم اختزاله، مأخوذ من انجيل واحد من الأناجيل الأربعة ؟ أم ياترى هو يجمع اختصارات من الأناجيل الأربعة المتداولة ؟ أم سيكون هذا الانجيل (انجيل القرن العشرين) هو خامس الأناجيل المتداولة ؟ !!!

أورد الخبر أن الانجيل (المختزل) يحتوى على (٣٢٠) ألف كلمة فقط، أى ما يعادل أربعين فى المائة من النص الأصلى الموجود بالأناجيل ....

وهذا يدفعنا إلى التساؤل :

أين ذهبت الـ (٦٠) فى المائة من النص الأصلى للأناجيل المتداولة ؟!

وهل ياترى رأى فريق الاختزال الانجيلى أن يستبعد الـ (٦٠) فى المائة على أساس أنه لا فائدة ترجى من ورائها ؟ أم أن فريق الاختزال رأى أنه من الأفضل – اختصارا للوقت والجهد – أن يأخذ النصارى بالأربعين فى المائة فقط، وأن يتمّ إهدار الـ ٦٠ فى المائة ؟ !!!

إنها مأساة بكل ماتحمله كلمة مأساة من معنى، وماتشير اليه من ايماءات .... مأساة أن يقف النصارى هكذا وعبر الأجيال كلها يتم ابادة الانجيل الأصلى الذى أرسله اله عز وجل لنبيه عيسى – عليه السلام – وأوكل إليهم حفظه ...... وأن يقف النصارى هكذا وهم يجدون بين أيديهم أربعة من

الأناجيل كلها تناقض بعضها البعض ...

وأن يقف النصارى هكذا أمام الأوامر الكهنوتية التى تحرّم على كل نصرانى مناقشة أى شيء عن الأناجيل المتداولة ....

ومأساة أن يقف النصارى هكذا وهم يرون مجلس كنائسهم العالمى يوافق على اعداد انجيل مختزل يضم (٤٠٪) من نصوص الأناجيل المتداولة ويتم استبعاد الـ (٦٠٪) ...... ولا ندري فقد يحرقونها أيضا، كما أحرق أسلافهم تلك الأناجيل السابقة. » (١)

هذا وقد قدمنا من قبل شهادة العلماء المسيحيين على وقوع التحريف فى الأناجيل الحالية، بفعل الترجمات الكثيرة التى نقلت من خلالها إلى لغات العالم. على هذا يمكن أن نتصوّر ماتوصف به الأناجيل من التحريف والتناقض نظريا وعمليا أى من واقع العوامل التى تجعل التحريف والتناقض فى الأناجيل أمراً وارداً غير مستبعد من الناحية النظرية ، وأمراً واقعاً بالفعل من الناحية العملية، وهو ماقرره ابن تيمية فى كتابه (الجواب الصحيح) وماناقش به النصارى فى هذا الموضوع.

---

(١) نقلا عن صحيفة الندوة عدد (٧٢٩٦) الصفحة الخامسة الصادر يوم الثلاثاء ١٤٠٣/٥/٢٣هـ.ظ

الباب الثاني

في

العقائد النصرانية

وموقف ابن تيمية منها

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول : عقيدة النصارى بالحلول والاتحاد، وإبطال ابن تيمية لها.

الفصل الثاني : عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته، وابطال ابن تيمية لها.

الفصل الثالث : عقيدة النصارى بألوهية روح القدس، وابطال ابن تيمية لها.

الفصل الرابع : عقيدة النصارى بالتثليث، وابطال ابن تيمية لها.

الفصل الخامس : عقيدة النصارى بالصلب والفداء، وابطال ابن تيمية لها.

الفصل الأول
في
عقيدة النصّارى فى الحلول والاتحاد
وابطال إبن تيمية لها

(أ) معنى الحلول والإتحاد :

١ – معنى الحلول .

٢ – معنى الإتحاد .

٣ – العلاقة بين الحلول والإتحاد .

(ب) عقائد فرق النصارى فى حلول الاله فى المسيح وإتحاده به :

١ – عقيدة النسطورية فى الحلول والإتحاد .

٢ – عقيدة اليعقوبية فى الحلول والإتحاد .

٣ – عقيدة الملكانية فى الحلول والإتحاد .

(جـ) ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى فى الحلول والإتحاد :

أولاً : ابطال ابن تيمية لاستشهادات النصارى بكتبهم المقدسة على الحلول والإتحاد .

ثانياً : ابطال ابن تيمية لاحتجاج النصارى بمعجزات المسيح، وثناء القرآن عليه على حلول اللاهوت فيه، وإتحاده به .

ثالثاً : ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى فى الحلول والإتحاد، لتناقضها مع العقيدة الصحيحة فى الله .

رابعاً: ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى فى الحلول والإتحاد، لما تستلزمه من المحالات العقلية .

(د) التعقيب:

١ – جذور عقيدة الحلول والاتحاد في الوثنيات والفلسفات القديمة.

٢ – البطلان العقلي للقول بالحلول.

٣ – البطلان العقلي للقول بالاتحاد.

الفصل الأول

عقيدة النصارى في الحلول والاتحاد

وابطال ابن تيمية لها

أ - معنى الحلول والاتحاد :

١ - معنى الحلول :

الحلول لغة : النزول . و« حلّ بالمكان يَحُلّ حلولا، ومحلا، وحِلا وحلّلا، وذلك نزول القوم بمحلة. وهو نقيض الارتحال قال الأسود بن يعفر :

كم فاتنى من كريم كان ذا ثقة ... يذكى الوقود بجُمْد ليلة الحَلَل

وحلّ واحتل به، واحتله نزل به.»[١]

وجاء الحلول فى القاموس المحيط بمعنى النزول أيضا.[٢]

«وحل غضب الله على الناس : نزل، وفى التنزيل العزيز :

{... فيحلّ عليكم غضبى، ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى }.[٣]

والمكان وبه - حلولاً : نزل به . وفى التنزيل العزيز : {... أو تحُلّ قريبا من دارهم}.[٤]. ويقال : حلت بهم، وحلت عليهم. و - البيت سكنه. فهو حال

---

(١) ابن منظور/لسان العرب/ جـ١١ ص١٦٣ فصل الحاء باب اللم.

(٢) للفيروز أبادى جـ٣ ص٣٥٩ فصل الحاء باب اللام.

(٣) سورة طه / آية ٨١.

(٤) سورة الرعد / آية ٣١.

جمع حلول وحُلاّل وحلّل.»[1]

وجاء في التعريفات للجرجاني : «الحلول السَّرياني - بفتح السين المشددة والراء المهملة - عبارة عن : اتحاد الجسمين بحيث تكون الاشارة إلى أحدهما اشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد. فيسمى الساري حالاّ، والمسرى محلا.

والحلول الجوارى، عبارة عن : كون أحد الجسمين ظرفا للآخر، كحلول الماء فى الكوز.»[2]

ولعل الجرجاني يقصد بـ «اتحاد الجسمين»، حصول أحدهما فى الآخر، واختصاصه به، والاّ فهناك فرق بين حلول الشيء فى الشيء، وبين اتحادهما معا، بحيث يصيران شيئا واحدا، كما سنذكره بعد قليل فى تعريف الاتحاد عند الجرجانى نفسه.

والحلول نوعان :

حلول عام : ومعناه - عند القائلين به - حلول الله فى الكون فيصبح الكون كله بكل جزئياته محلا له سبحانه وتعالى. وهو قول غالب متعبدة الجهمية.[3] الذين يقولون : «إن الله بذاته فى كل مكان، ولا يخلو منه مكان.».

وحلول خاص : ويقصد به حلول ذات الله، أو صفة من صفاته في جسد

---

(١) المعجم الوسيط جـ١ ص ١٩٣.
أنظر كذلك محمد فريد وجدى / دائرة معارف القرن العشرين جـ٣ ص٤٧٩.

(٢) ص ٩٨.

(٣) أتباع جهم بن صفوان.

انسان معيّن من خلقه، أو روحه، أو في أي كائن آخر حيا كان أو جمادا. بحيث يصبح هذا الشخص المعين، أو الكائن المعين محلا للاله ومظهرا له.

وهذا النوع من الحلول هو الذى تقول به النصارى، حيث يقولون : إن ذات الله حلت فى عيسى وتدرعت[١] به، كحلول الماء فى الاناء.

وكلا النوعين باطل فى حق الله – سبحانه وتعالى –؛ لما يترتب عليه من المحالات فى حقه عز وجل.[٢]

وعلى العموم فلفظ الحلول «لفظ مجمل يراد به معنى باطل، ويراد به معنى حق – كما سيأتي – وقد جاء فى كلام الأنبياء لفظ الحلول بالمعنى الصحيح، فتأوله من فى قلبه زيغ كالنصارى وأشباههم عن المعنى الباطل، وقابلهم آخرون أنكروا هذا الاسم بجميع معانيه، وكلا الأمرين باطل.»[٣]

٢ – معنى الاتحاد :

الاتحاد لغة صيرورة الشيئين واحداً. و «أحّد الاثنين، أي صيرهما واحداً.»[٤]

---

(١) تدرع الرجل لبس الدرع، وتدرعت المرأة لبست الدرع. وكون ذات الله تدرعت بالمسيح – على حد قول النصارى – أى اتخذته درعا كما يتدرع الانسان قميصه. فاللاهوت تدرع الناسوت. تعالى الله عن قولهم.

(٢) أنظر ابن تيمية مجموع الرسائل والمسائل جـ ١ ص٩٧/٩٨ طـ١.
وأنظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموعة الرسائل الكبرى جـ٤ ص٢٤، ٢٥.

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص١١٧/١١٨.

(٤) أنظر الامام السيد محمد مرتضى الزبيدى / تاج العروس جـ٢ ص٢٨٨ فصل الهمزة باب الدال.
وأنظر كذلك الجرجانى فى تعريفاته ص ٦.

ويقول الجرجاني في تعريفاته : «الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة، ولايكون الاّ في العدد، من الأثنين فصاعداً.»[1]

ويقول أيضا : «الاتحاد هو امتزاج الشيئين، واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا.»[2]

والاتحاد نوعان :

اتحاد عام : وهو اتحاد الذات الالهيه مع جميع الكائنات فتصبح عين وجودها. وهو قول الملاحدة الذين يزعمون أنّ ذات الإله سبحانه هي عين وجود الكائنات.

اتحاد خاص : وهو اتحاد الذات الالهيه ببعض الناس المخصوصين، وامتزاج هذه الذات مع الانسان في شخص واحد، كما تقول بذلك فرق النصارى، حيث يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت معا، وامتزاجهما في شخص المسيح عليه السلام.

وكلا النوعين باطل في حق الله عزّ وجلّ؛ لما يترتب عليهما من المحالات في حقّه سبحانه وتعالى.[3]

٣ - العلاقة بين الحلول والإتحاد :

الاتحاد مبني على الحلول، فالقائلون بالاتحاد قد تدرجوا من القول بالحلول أولا، ثمّ ارتقوا إلى القول بالاتحاد. ففي الحلول بقاء الاثنينية، بمعنى

---

(١) صفحة / ٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ابن تيمية / مجموع الفتاوى / جـ٢ ص١٧١ بتصرف.

أن يحلّ أحد الشيئين في الآخر، مع احتفاظ كل منهما بذاته.

أمّا في الاتحاد ففناء للاثنينية، بحيث تصبح الذات الانسانية، والذات الالهية شيئا واحدا، فلا اثنينية بين ذات الاله، وذات الانسان حينئذ.

وعقيدتا الحلول والاتحاد انتهت ببعض الفرق الى القول بوحدة الوجود. حيث يقولون : لا حلول ولا اتحاد، بل ليس الاّ موجود واحد.

وفي الحقيقة «يعتبر القول بالحلول والاتحاد خطوات أولى فى طريق القول بالوحدة، ويعتبر القول بوحدة الوجود ترقياً للقول بالاتحاد، وامعانا فى محو الاثنينية في الوجود.»(١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في بيان معنى وحدة الوجود – عند القائلين بها – :

«انّ الوجود عندهم واحد، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات، منفصل عنها أصلا، بل عندهم ماثمّ غير الخالق، ولا سواه. ولهذا قالوا : انّ آدم من الله بمنزلة إنسان العين من العين.»(٢)

و «مؤدى مذهب وحدة الوجود : أن لا موجود غير الله، وكل مافى الكون مما سواه ليس الاّ مظاهر صفاته، وأسمائه. فهو الأول، والآخر والظاهر، والباطن. ولا وجود بحقّ الاّ له، فهو قيّوم كل شيء، منه مادته، وروحه معا.»(٣)

---

(١) د. حسين جابر موسى / تنزيه الله في الفكر الاسلامي ص ٣١٧ (رسالة دكتوراه)

(٢) مجموع الفتاوى جـ٢ ص ١١٢ وكذلك الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صفحة ٨٢، ٨٣.

(٣) محمد فريد وجدى / دائرة معارف القرن العشرين جـ١٠ ص٧٦٤.

اذن فالقول بوحدة الوجود يعني : انّ وجود المخلوقات عين وجود الخالق، لا فرق بينهما من حيث الحقيقة، أمّا مايظن أنّه فرق بين وجود الخالق، ووجود المخلوق، فانما هو - في نظر أصحاب وحدة الوجود - أمر يقضى به الحسّ الظاهر، والعقل القاصر عن ادراك الحقيقة على ماهى عليه فى ذاتها، من وحدة ذاتية تجتمع فيها الأشياء جميعا.

ب - عقائد فرق النصارى في حلول الاله في المسيح واتحاده به :

تمهيـــــد:

قبل الكلام عن عقائد الفرق المسيحية فيما يتعلق بحلول الاله في المسيح، واتحاده به - كما يزعمون - نحبّ أن نقرر أنهّ كانت بين المسيحيين فرق تقول بتوحيد الله وتنزيهه، وتنكر القول بألوهية المسيح، ومابني عليه هذا القول من حلول الله فيه، واتحاده به، واذا كانت هذه الفرق قد انقرضت وبادت أمام قوة السلطان، وارهابه للموحدين، وأمام تيار الانحراف الدينى الذى عمّ الكنائس المسيحية. فقد بقي تيار التوحيد عبر القرون عند قلة من المسيحيين كما سنفصل ذلك فيما بعد[1] ومن هذه الفرق الموحدة التي انقرضت :

(١) « فرقة أبيون[2] التي تنكر ألوهية المسيح، وتعتبره مجرد بشر رسول، وقد انقرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي.

(٢) فرقة بولس الشمشاطي[3] الذي أنكر هو الآخر ألوهية المسيح، وقرّر

---

(١) انظر ص ٢٧٦ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) انظر ص ٢١ من هذه الرسالة.

(٣) بعض المراجع تذكر أنه بولس السميساطي. أنظر بطرس البستاني فى دائرة معارفه / المجلد الخامس ص٧٠٤.

بشريته. وقد انقرضت هذه الفرقة فى القرن السابع الميلادي.

(٣) فرقة الأريوسيين : التي كانت تقاوم كنيسة الاسكندرية، فيما تذهب إليه من القول بالوهية المسيح، وبنوته. فقرر أريوس أن المسيح ليس إلهاً، ولا ابن إله، وإنما هو بشر مخلوق. وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الخامس الميلادى.[١]

لم يكتب لهذه الفرق البقاء - كما نكرنا آنفا - ولم يبق الاّ الفرق القائلة بالحلول والاتحاد، على اختلاف بينها في التفاصيل، كما سنرى.

وكبار الفرق المسيحية - التي عنى ابن تيمية بالرد عليها - ثلاث : النسطورية، واليعقوبية، والملكانية.

وقبل أن نتكلم بالتفصيل عن هذه الفرق، ومايتمثّل في عقائدها حول المسيح من الحلول والاتحاد، لابدّ من الاشارة الى أنّ ماذهبت إليه من هذا الحلول والاتحاد لم يبدأ بتكوّن هذه الفرق في عصورها المختلفة، وإنما بدأ القول به على يد بولس الذى أشاع بأقواله بين المسيحيين عقيدتا الحلول والاتحاد في المسيح منذ سنوات المسيحية الأولى. لقد كان بولس كما قيل عنه : «ذا لسانين، وذا وجهين».

وهكذا انتشرت عقيدتا الحلول والاتحاد بين فئات كثيرة من المسيحيين اعتنقوها وهم الذين تكونت منهم فيما بعد الفرق المسيحية التي تدين بها، والتي سنشرح عقائدها الآن، ونرتّب الحديث عنها حسب ظهورها الزمني كما قلنا من قبل.

---

(١) أنظر الدكتور علي عبد الواحد وافي / الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص ١٠٠/١٠٢ بتصرف.

١) عقيدة النسطورية فى الحلول والاتحاد :

تنسب النسطورية إلى نسطور، الذى كان بطريركا للقسطنطينية سنة ٤٢٨م.[١] والذى ذهب إلى القول بأن مريم العذراء لم تلد الاله بل ولدت الانسان فقط؛ لأنّ مايولد من الجسد ليس الاّ جسدا؛ ولأنّ المخلوق لايلد الخالق. وعلى هذا، فمريم لاتسمى والدة الاله، بل والدة المسيح الانسان، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته، أى اتّحد عيسى بعد الولادة بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا، فمنحه الله المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن.»[٢]

ومذهب نسطور على هذا محاولة للقرب من التوحيد، وأن كان قد وضع بقوله : «باتحاد الكلمة بجسد المسيح بعد الولادة » الأساس للقول بطبيعتين للمسيح، وهو القول الذى قال به النساطرة فيما بعد.

ولهذا الاتجاه التوحيدى عند نسطور، انعقد مجمع أفسس الأول سنة (٤٣١م)، وقرر : لعن، وطرد نسطور، الذى ينكر ألوهية المسيح.

ويصوّر الشهرستانى مذهب النساطرة على النحو الآتي :

«قال (أي نسطور) : إنّ الله – تعالى – واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى – عليه السلام – لاعلى طريق الامتزاج – كما قالت الملكانية – ولا على طريق الظهورية – كما قالت اليعقوبية – ولكن كاشراق

---

(١) ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أنها تنسب الى نسطور الحكيم الذى ظهر في زمان المأمون (جـ٢ ص ٦٤)، وهذا خطأ. والصحيح أنّها تنسب إلى نسطور الذى كان بطريركا للقسطنطينية، كما ذكر ذلك ابن حزم في كتابه الفصل (جـ١ ص٤٩)، وسائر كتب الفرق.

(٢) انظر الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٨٩/١٩٠.

الشمس في كوّة، أو على بلور، أو كظهور النقش في الخاتم ...

ويعني بقوله : هو واحد بالجوهر، أى ليس مركبا من جنس، بل هو بسيط واحد.

ويعنى بالحياة والعلم، أقنومين، جوهرين، أى أصلين مبدأين للعالم، ثمّ فسر العلم بالنطق والكلمة.

ويرجع منتهى كلامه إلى اثبات كونه تعالى موجوداً، حياً، ناطقاً، كما تقوله الفلاسفة في حدّ الانسان. إلاّ أن هذه المعاني تتغاير فى الانسان؛ لكونه مركبا، وهو - أى الله - جوهر بسيط غير مركب ...

وزعمت النساطرة أن الابن (الكلمة) لم يزل متولّداً من الأب، وإنما تجسد، واتحد بجسد المسيح حين ولد. والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت فهو إله وانسان اتحدا. وهما جوهران، اقنومان، طبيعتان : جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام وانسان تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولاحدوث المحدث، لكنهما صارا مسيحاً واحداً، مشيئة واحد.[1]

وأما قولهم فى القتل والصلب، فيخالف قول الملكانية واليعقوبية حيث يذكرون (أى النساطرة) : أن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، ولامن جهة لاهوته؛ لأن الاله لا تحله الآلام ...»[2]

---

(١) نجد أن الدكتور على عبد الواحد وافي فى كتابه الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص ١١١ قد ذكر أنه لم يقل بالمشيئة الواحدة إلاّ المارونيون، وهذا يخالف مانقلناه هنا عن الشهرستاني. فالمارونيون مسبوقون بالقول بالمشيئة الواحدة على مانقله الشهرستاني عن النساطرة بأنهم قالوا بالمشيئة الواحدة أيضا.

(٢) الملل والنحل / جـ٢ ص ٦٤، ٦٥.

وينقل ابن حزم عن النساطرة تصورهم لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح بأنهم يقولون : «إن الاله اتحد مع انسان، بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا، كاتحاد الماء يلقى فى الزيت، فكل واحد منهما باق بحسبه.»(١)

ومعنى ذلك أن نسطور يذهب إلى القول بطبيعة واحدة للمسيح، وبالتالى بمشيئة واحدة له، ولكنه اذ قال باتحاد اللاهوت به بعد ولادته، وضع الأساس الذى تطور به أتباعه فيما بعد، حيث قالوا بطبيعتين للمسيح، وان بقوا على الاحتفاظ بقوله بمشيئة واحدة له.

وسوف نرى أن النساطرة بهذا الرأى قد جمعوا بين قولى زعيمهم نسطور ومخالفيه من الملكانيين، فتابعوا الملكانيين فى القول بالطبيعتين، وتابعوا نسطور في القول بالمشيئة الواحد، وسوف يتضح لنا ذلك عند عرضنا لعقيدة الملكانية. والنساطرة بهذا كما هو واضح قد انفصلوا عن زعيمهم نسطور حيث تطوروا بمذهبه على هذا النحو، وانفصلوا عن الكنيسة الشرقية، صاحبة القول بالطبيعة الواحدة – كما سيأتى – وأصبحت لهم كنيستهم الخاصة.

وليس من غرضنا التأريخ لهم ولكنيستهم ولا لوضعهم المعاصر وعلاقتهم بالكنيسة الغربية. وحسبنا ما قدمناه عن مذهبهم الذى يتصل بغرضنا فى هذا الفصل.

(٢) عقيدة اليعقوبية فى الحلول والاتحاد :

تنسب الى يعقوب البرادعي، لا كمؤسس لمذهبها، وإنما كمجدد له فى القرن السادس الميلادى (٥٤٣م)، حيث « نشأ هذا المذهب قبل ظهور يعقوب

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٥٣.

البرادعي بأمد طويل، ولا أدل على ذلك من أنه قد أخذ بهذا الرأى – وهو أن للمسيح طبيعة واحدة – معظم المجتمعين في مجمع أفسس الثانى الذى انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادى.»[1]

فقد أعلن بطريرك الاسكندرية «البابا كيراس» بأن للمسيح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة. وعقد لهذا الغرض مجمع أفسس الثانى[2] بالأناضول سنة ٤٤٩م (عقده بطريرك الاسكندرية آنذاك البابا ديسقورس) واتخذ قراراً يوافق عقيدة البابا كيرس حول طبيعة المسيح. ثم كان مجمع خلقيد ونيه عام ٤٥١ ردا على قرارات هذا المجمع ورفضها.

واليعاقبة إذ يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح الناشئة من اتحاد الأقنوم الثانى به (أى بالمسيح) يقررون بذلك أن مريم ولدت الها، ولم تلد إنساناً عادياً، بل ابن الله المتجسد، لذلك هى حقا أم الاله. يقول الشهرستانى فى تصوير مذهب اليعاقبة هذا :

«اليعقوبية قالوا بالأقانيم الثلاثة إلاّ أنهم قالوا : انقلبت الكلمة (الأقنوم الثانى) لحماً ودماً فصار الاله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وعنهم اخبرنا القرآن الكريم : { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}[3] فمنهم من قال المسيح هو الله، ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح، مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التى هى فى حكم الصفة بل صار هو هو. وهذا كما يقال : ظهر الملك بصورة انسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان. كما أخبر التنزيل عن

(١) د. على عبد الواحد وافي الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١٠٩.

(٢) سماه الكاثوليك – تهكماً – مجمع اللصوص؛ لأنه – فى نظرهم – مجمع غير شرعى.

(٣) سورة المائدة، آية ٧٢.

جبريل – عليه السلام – : (فتمثل لها بشراً سويا)[1]

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الانسان المحدث تركّبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً أقنوماً واحداً، وهو إنسان كله واله كله، فيقال الانسان صار إلها ولا ينعكس، فلا يقال الاله صار إنسانا كالفحمة تطرح فى النار فيقال صارت الفحمة ناراً ، ولايقال صارت النار فحمة وهى فى الحقيقة لا ناراً مطلقة، ولا فحمة مطلقة، بل هى حجرة، وزعموا (أى اليعاقبة) أن الكلمة اتحدت بالانسان الجزئى لا الكلى. وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج، والادرا ع، والحلول كحلول صورة الانسان فى المرآة المجلوة ...

واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جوهرين وهو إله وهو المولود. قالوا : إن مريم ولدت الها – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا – وكذلك قالوا فى القتل : وقع على الجوهر، الذى هو من جوهرين. وقالوا : ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد، وزعم بعضهم : انا نثبت وجهين للجوهر القديم.

فالمسيح قديم من وجه، محدث من وجه. وزعم قوم من اليعقوبية : أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا، لكنها مرت بها كالماء فى الميزاب.»[2]

وينقل ابن حزم عن اليعاقبة مذهبهم فى المسيح – عليه السلام – ، وتصورهم لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت به حيث يقولون : «إن الاله اتحد من الانسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا كاتحاد الماء يلقى فى الخمر، فيصران

---

(١) سورة مريم / آية ١٧.

(٢) الملل والنحل جـ٢ ص ٦٦/٦٧.

شيئا واحداً.»[1]

وليس من غرضنا أن نؤرخ لنشأة الكنيسة اليعقوبية، ولا أن نتتبع الوضع المعاصر لهذه الكنيسة واتباعها، وإنما الذى نريد أن نقوله : إنها نشأت فى أول أمرها فى أحضان الكنيسة الشرقية بالقسطنطنية، وأن زعيمها (يعقوب) قام مجدداً لما تقرر فى مجمعى تلك الكنيسة (مجمع أفسس الأول والثانى) من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح والمشيئة الواحدة له . وقد ظل هذا القول هو عقيدة كنيسة القسطنطينية حتى تسمت باسم الكنيسة الأرثوذكسية (أى الكنيسة المستقيمة الرأى) وانفصلت بذلك عن الكنيسة الغربية فى روما. وذلك فى الربع الأخير من القرن التاسع. فالمذهب الأرثوذكسي المعاصر يقول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح.

(٣) عقيدة الملكانية فى الحلول والاتحاد :

أصحاب هذا المذهب يقولون بأن للمسيح طبيعتين :

طبيعة إلهية، وطبيعة ناسوتية. فهم يتفقون مع النساطرة فى القول بأن للمسيح طبيعتين، لكنهم يختلفون عنهم فى أنهم يقولون إن مريم ولدت الاله والانسان معا. فهي قد ولدت يسوع الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية، ومع الناس فى الطبيعة الانسانية. بينما قال النساطرة : إن مريم ولدت الانسان فقط، ثم اتحد به اللاهوت بعد الولادة - كما ذكرنا من قبل - وقد تقرر هذا المذهب بصورة قاطعة فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م الذى عقد للرد على القائلين بالطبيعة الواحدة فى مجمع أفسس الثانى، وتقرر فيه (أى فى مجمع خلقيدونية) طرد نسطور القائل بولادة مريم لجسد المسيح فقط.

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٥٣.

ويلخص (ابن البطريق) قرار مجمع خلقيدونية هذا إذ يقول :

«قالوا : إن مريم العذراء ولدت الهنا ربنا يسوع المسيح، الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الالهية، ومع الناس فى الطبيعة الانسانية. وشهدوا أن للمسيح طبيعتين، وأقنوم واحد، ووجه واحد ... ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأفسس.»[1]

وقد انتصر لهذا المذهب الامبراطور الرومانى آنذاك، وحضر مجمع خلقيدونية هو وزوجته الملكة؛ لذلك سمى هذا المذهب بالمذهب الملكاني.[2]

ويقول الشهرستاني فى بيان آراء هذه الفرقة :

«قالوا (أى الملكانية) : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة. ولايسمون العلم قبل تدرعه ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به ابن. فقال بعضهم : إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء اللبن. وصرحت الملكانية : بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة ... وقالت : إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، ولقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزلياً. والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل، وعلى المسيح ...»[3]

---

(١) أنظر الدكتور على عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١١٠. وراجع أيضا كتاب الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ١٩١، ١٩٦.

(٢) ينسب الشهرستاني فى الملل والنحل (جـ ٢ ص ٦٢) هذا المذهب إلى شخص اسمه ملكا. وقد اخطأ فى ذلك، وراجعه فى هذا الخطأ الدكتور على عبد الواحد وافى فى الأسفار المقدسة ص ١١٠.

(٣) الملل والنحل جـ ٢ ص ٦٢.

ويقول ابن حزم فى بيان مقاله الملكانية :

«إنهم قالوا : إن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء : أب، وابن، وروح القدس. كلها لم تزل، وإن عيسى - عليه السلام - إله تام كله، وانسان تام كله، لم ينله شيء من ذلك، وان مريم ولدت الإله والانسان، وانهما معا شيئا واحداً.»[1]

وينقل عنهم ابن حزم كذلك قولهم :

«إنّ الاله اتّحد مع الانسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا، كاتحاد النار فى الصفيحة المحماة.»[2]

فالمذهب الملكاني إذن يقول بطبيعتين ومشيئتين للمسيح عليه السلام. إلاّ أنه - وكعادة المسيحيين فى مخالفة بعضهم بعضا ولعن بعضهم البعض - قد ظهر فى القرن السابع الميلادى (٦٦٧) شخص يدعى (يوحنا مارون). فخالف هذا الاتجاه، وذهب إلى أن المسيح مع أنه ذو طبيعتين، إلاّ أن له مشيئة واحدة، وارادة واحدة هى المشيئة الالهية، والارادة الالهية؛ لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد. ولكن بطارقة الكنيسة الغربية فى روما لم يرق لهم هذا الرأى ولم يقبلوه، وأشاروا على الامبراطور أن يعقد مجمعا ليقرر أن للمسيح طبيعتين، ومشيئتين، بعد أن عرفوا أنه يشاركهم الرأى، فعقد مجمع القسطنطينية السادس سنة (٦٨٠م)، وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ولعن وطرد (يوحنا مارون)، ومن تبعه، وكفر من يقول بالمشيئة الواحدة.[3] وجاء فى قرار المجمع مايلى :

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٤٩.

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٥٣.

(٣) أنظر الدكتور / على عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١١١.

«إننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابنَ الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم، المستوى مع الأب الاله فى أقنوم واحد ووجه واحد، يعرف تاما بناسوته، تاما بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين، ومشيئتين فى أقنوم واحد ... فهو يعمل مايشبه الانسان أن يعمله فى طبيعته، ومايشبه الاله أن يعمله فى طبيعته ... وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين.»[1]

وهكذا نجدهم دائما يجتمعون على الضلال، ويفترقون على اللعن.

فالقول بالطبيعتين ، والمشيئتين، هو قول الكنيسة الغربية منذ بداية الأمر، وحتى بعد أن تميّزت عن غيرها من الكنائس، في أواخر القرن التاسع باسم الكنيسة الكاثوليكية[2] (أى العامة أو العالمية). وبذلك يكون المذهب الكاثوليكي المعاصر، هو امتداد للمذهب الملكاني، على نحو مايعبّر عنه المؤرخون الاسلاميون.

= وأنظر كذلك الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ١٩٢ ط ٥.

(١) نقلاً عن/ كتاب الدكتور على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١١١.

(٢) في أواخر القرن التاسع الميلادي (٨٧٩) حينما حصل انفصال مذهبي بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، تسمت الكنيسة الشرقية بالأرثوذكسية التي يقول بالطبيعة الواحدة، والمشيئة الواحدة للمسيح، وبانبثاق روح القدس عن الله الأب فقط. وتتبع نظام الاكليروسي، الذى يبدأ من البطريرك، ثم المطارنة، ثم الاساقفة ... الخ.
وتسمت الكنسية الغربية بالكاثوليكية، وذهبت الى القول بالطبيعتين للمسيح، وبالمشيئتين، وبانبثاق روح القدس عن الأب والأبن معا، وبالنظام البابوي الذي يرأسه البابا، والكرادلة .. أنظر الدكتور أحمد شلبي المسيحية ص ٢٣٧/٢٣٨ ط ٥.

جـ - ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى فى الحلول والاتحاد :

تناول ابن تيمية شبهات النصارى التى يستدلون بها على عقيدتهم فى الحلول والاتحاد - تناول تلك الشبهات بالردود المطولة عليها بما يبطلها خلال كتابه الجواب الصحيح، ويمكننا أن نستخلص من تلك الردود الطويلة أن شبهات النصارى فى الحلول والاتحاد يمكن وضعها تحت نقاط كلية يحاولون بها تصحيح مايذهبون إليه من الحلول والاتحاد - كما يزعمون - وأن ردود ابن تيمية لاتنحصر فى تلك النقاط الكلية، بل يضيف ابن تيمية إلى ابطال شبهاتهم المندرجة تحت هذه النقاط أدلة أخرى يبطل فيها عقيدة الحلول والاتحاد عندهم. وهذه الوجوه يمكن حصرها بالتالى فى وجوه كلية تندرج تحتها تلك الأدلة.

وابن تيمية لم يعمد إلى هذا التنسيق المنهجي لردوده على النصارى وأدلته على بطلان عقائدهم، بل كان يسرد هذه الردود والأدلة سرداً دون تبويب. إلاّ أننا وجدنا أن مثل هذا التنسيق والتبويب لشبهات النصارى وردود ابن تيمية عليها، وأدلته التى يبطل بها عقائدهم يعين على الاحاطة بالموضوع من جميع وجوهه إحاطة منظمة مع توضيح تلك الوجوه التى تندرج تحتها الشبهات والردود عليها والأدلة المبطلة لتلك العقائد.

ويمكن ذكر مجمل الوجوه التى تندرج تحتها شبهات النصارى على عقائدهم فى الحلول والاتحاد وبالتالى تتوجه إليها أجوبة ابن تيمية فيما يأتى :

أولا : استدلال النصارى على عقائدهم فى الحلول والاتحاد بالنصوص المقدسة عندهم. وردود ابن تيمية على ذلك.

ثانياً : استشهاد النصارى بمعجزات المسيح وأعماله وفضائله وما يقتضيه ذلك من فضله على جميع مَنْ سواه مِن الأنبياء فى نظرهم -

استشهادهم بكل ذلك على مايزعمونه من حلول اللاهوت فيه واتحاده به، وأنه ليس كغيره من البشر. وردود ابن تيمية على ذلك .

ومن جهة ابن تيمية فإنه يضيف إلى ردوده على عقيدة النصارى من الوجهين السابقين – يضيف إلى ذلك إبطاله لتلك العقيدة من وجهين آخرين :–

أولا : مايثبته – ابن تيمية – من تناقض القول بالحلول والاتحاد عند النصارى مع العقيدة الصحيحة فى الله .

ثانيا : مايرتّبه – ابن تيمية – على القول بالحلول والاتحاد من استلزامه للمحالات العقلية التى لا تجوز فى حق الله عز وجل أو التى تتناقض مع البدائه العقلية السليمة.

وسوف نعرض فيما يلى إبطال ابن تيمية لعقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى من جميع هذه الوجوه. وذلك بايراد نصوص كلامه فى هذا المقام لما تتميز به تلك النصوص من الوضوح والقوة.

أولا : ابطال ابن تيمية لاستشهادات النصارى بكتبهم المقدسة على الحلول والاتحاد :

لقد كثرت النصوص التى يستشهد بها النصارى فى كتبهم المقدسة – فى زعمهم – على صحة مايعتقدونه من حلول اللاهوت فى الناسوت المسيحي واتحاده به وتجسده فيه . وقد أبطل ابن تيمية استشهاداتهم بتلك النصوص إما بإثبات زيفها وتحريفها، ومن ثم لا يصح الاستشهاد بها فى باب العقائد، واما ببيان عدم دلالتها على مايعتقدونه إذا فهمت على وجهها الصحيح – وذلك على فرض صحتها ولوجدلا – وبيان أنهم يحمّلون ألفاظها من الدلالات مال تحتمله .

وسوف نختار من هذه النصوص الكثيرة أهم مايستشهدون به على عقيدتهم فى الحلول والاتحاد. مع عرض ردود ابن تيمية عليها :

١ – يسشتهد النصارى بما نقلوه عن أرميا من قوله عن ولادة عيسى :

«يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور يملك الملك، ويعلّم ويفهم ويقيم الحق والعدل فى الأرض، ويخلّص من آمن به من اليهود، ومن بنى اسرائيل وغيرهم، ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل، ويسمى الاله.»[١]

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله :

«... أما قول أرمياء : « واسمه الاله» فهذا يدل على أنه ليس هو الله رب العالمين، وإنما لفظ الاله اسم سمي به كما يسمى موسى إلها لفرعون عندهم فى التوراة، إذ لو كان هو الله رب العالمين لكان أجلّ من أن يقال «ويسمى الاله» فإن الله تبارك وتعالى لا يعرّف بمثل هذا، ولايقال فيه : إن الله يسمى الاله ...

وقال : « يملك الملك» ورب العالمين مازال ولايزال مالكا للملك سبحانه. وأيضا فإنه قال : «يقوم لداود ابن هو ضوء النور » ومعلوم أن الابن الذي من نسل داود الذى اسم أمه مريم هو الناسوت فقط فإن اللاهوت ليس من نسل بشر، وقد تبين أن هذا الناسوت الذى هو ابن داود، ويسمى الاله، فعلم أن هذا اسم للناسوت المخلوق لا للإله الخالق.

وأيضا، فإنه قال : و « هو ضوء النور» فلم يجعله النور نفسه، بل جعله ضوء النور، والله تعالى منوّر كل نور، فكيف يكون هو ضوء النور، والله تعالى

---

(١) سفر أرمياء ٣٣ : ١٥–١٦.

قد سمى محمداً صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً، ولم يكن بذلك خالقا، فكيف اذا سمي ضوء النور ؟ وأيضا فإنه لم يجعل القائم إلاّ ابن داود، وابن داود مخلوق، وأضاف الفعل الى هذا المخلوق، ولو كان هذا هو الله رب العالمين قد اتحد بالناسوت البشري لَبيّن (أرمياء) وغيره من الأنبياء ذلك بيانا قاطعا للعذر، ولم يكتفوا بمثل هذه الألفاظ التى هى إما صريحة أو ظاهرة فى نقيض ذلك، أو مجملة لاتدل على ذلك، فإنه من المعلوم أن اخبارهم باتيان نبى من الأنبياء أمر معتاد ممكن، ومع هذا يذكرون فيه من البشارات والدلائل الواضحة مايزيل الشبهة. وأما الاخبار بمجيىء الرب نفسه وحلوله، أو اتحاده بناسوت بشرى فهو : إما ممتنع غير ممكن كما يقوله أكثر العقلاء من بنى آدم ... واما ممكن – كما يقوله بعض الناس – وحينئذ فإمكانه خفي على أكثر العقلاء وهو أمر غير معتاد، واتيان الرب بنفسه أعظم من إتيان كل رسول ونبى، ولاسيما إذا كان اتيانه باتحاده ببشر لم يظهر على يديه من الآيات مايختص بالالهية، بل لم يظهر على يديه إلاّ ماظهر على يد غيره من الأنبياء ماهو مثله أو أعظم منه، والله تعالى لما كان يكلم موسى، ولم يكن موسى يراه ولا يتحد لا بموسى ولا بغيره، ومع هذا فقد أظهر من الآيات على ذلك، وعلى نبوة موسى مالم يظهر مثله ولا قريب منه على يد المسيح.

فلو كان هو بذاته متحداً بناسوت بشري لكان الأنبياء يخبرون بذلك إخباراً صريحاً بيناً لايحتمل التأويلات، ولكان الرب يظهر على ذلك من الآيات مالم يظهر على يد رسول ولا نبى، فكيف والأنبياء لم ينطقوا فى ذلك بلفظ صريح، بل النصوص الصريحة تدل على أن المسيح مخلوق ولم تأت آية على خلاف ذلك، بل إنما تدل الآيات على نبوة المسيح فقط.»[1]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٢ ص ١٨٧-١٨٩.

٢ – وينقلون عن أشعياء النبى قوله : «قل لصهيون هنا تفرح وتتهلل فإن الله يأتى (أى فى صورة المسيح) ويخلص الشعوب، ويخلص من آمن به وبشعبه ويخلص مدينة بيت المقدس، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المبددين ويجعلهم أمة واحدة، ويبصر جميع أهل الأرض خلاص الله، لأنه يمشى معهم وبين يديهم ويجمعهم إله اسرائيل»[١]

ومعنى ذلك :

أن الله إنما يتمثل – بزعمهم – فى صورة المسيح حالاً فيه متحداً إذ يمشى أمام شعب اسرائيل ويجمع شتاتهم، وأن مافعله المسيح من ذلك إنما فعله بهذا الاعتبار.

ويجيب ابن تيمية على ذلك قائلا :–

« هذا – أى قول اشعياء كما يدّعون – يحتاج أولاً أن يعلم أن فى هذه النبوة أن هذا الكلام نقل بلا تحريف للفظه، ولا غلط فى الترجمة ولم يثبت ذلك، واذا اثبت ذلك فحينئذ هو نظير مافى التوراة. من قوله : « جاء الرب من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[٢]

ومعلوم أنه ليس فى هذا مايدل على أن الله حال فى موسى ابن عمران، ولا متحد به، ولا أنه حالّ فى جبال فاران ، ولا أنه متحد بشىء من طور سينا ولا ساعير.

وكذلك هذا اللفظ لايدل على أنه حال فى المسيح ومتحد به، إذ كلاهما

---

(١) سفر أشعياء، الاصحاح ٥٢ الفقرات من ٧–١١.

(٢) سفر التثنية ٣٣ : ٢.

سواء. وإذا قيل : المراد بذلك : قربه ودنوه كتكليم موسى، وظهور نوره وهداه وكتابه ودينه، ونحو ذلك من الأمور التى وقعت، قيل : وهكذا فى المسيح عليه السلام.

وقوله : «ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين» قد قال فى التوراة مثل هذا فى غير موضع، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى عليه السلام، كقوله : «شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب بتجارب وآيات عجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ... الخ »[1] «وهم شعبك وميراثك الذى أخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة»[2] «فلما صرخنا إلى الرب اله آبائنا سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا، فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب»[3]

وأما قوله عن الأمم المبددين فيجعلهم أمة واحدة، فهم الذين اتبعوا المسيح، فإنهم كانوا متفرقين مبددين فجعلهم أمة واحدة.

وأما قوله : «ويبصرون جميع أهل الأرض خلاص الله، لأنه يمشى معهم وبين يديهم، ويجمعهم إله اسرائيل» فمثل هذا فى التوراة فى غير موضع، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ولا حلوله فيه، كقوله فى السفر الخامس من التوراة يقول موسى لبنى اسرائيل : «لاتهابوهم ولاتخافوهم، لأن الله ربكم سائر بين أيديكم هو محارب معكم.»[4]

---

(١) سفر التثنية ٤ : ٣٤.

(٢) سفر التثنية ٩ : ٢٩.

(٣) سفر التثنية ٢٦ : ٧-٩.

وأنظر كذلك سفر أشعياء ١ : ٢٥-٢٧.

(٤) سفر التثنية ١ : ٢٩-٣٠.

وفي موضع آخر قال موسى : «إن الشعب هو شعبك، فقال : أنا أمضي أمامك فارتحل فقال : إن لم تمض أنت أمامنا وإلاّ فلا تصعدنا من هھنا، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أنى وجدت أمامك نعمة كذا بعلمك لا بسيرك معنا».

وفي السفر الرابع (العدد) من الفصل الرابع عشر : «ربي اصعدن هؤلاء من بينهم بقدرتك، فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عينا بعين، وغمامك يقيم عليهم، وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهارا، وبعمود نار ليلا.»[1]

وفي التوراة أيضا : يقول الله لموسى : «إني آت اليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك.».

ثم قوله : «أجمع سبعين رجلا من شيوخ بني اسرائيل، وخذهم إلى خيمة الاجتماع خباء العرب يقفون معك حتى أخاطبهم»[2]

ويستدل ابن تيمية بذكر هذه النصوص من التوراة من أن ماتتضمنه من القول بمجيىء الرب لموسى وقومه لم يدل على اتحاده بموسى، ومن ثم فما ينقله النصارى عن اشعياء من أن اله اسرائيل يجمع الأمم ويمشي معهم وبين أيديهم لايدل على حلول الله عز وجل فى عيسى عليه السلام أو اتحاده به.

٣ – ويستشهد النصارى بما ينقلونه عن النبى زكريا من قوله : «افرحي يابنت صهيون، لأني آتيك وأحلّ فيك واترايا، قال الله، ويؤمن بالله فى ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكّونون شعباً واحداً، ويحل هو وهم فيك، وتعرفين أنى أنا الله القوى الساكن فيك، ويأخذ الله فى ذلك اليوم الملك من يهوذا، ويملك عليهم إلى

---

(١) سفر العدد ١٣ – ١٦.

(٢) سفر العدد ١١ : ١٦–١٧.

الأبد.»[1]

وهم يرون فى هذا نصا صريحا على آتيان الرب لمريم، وحلوله فيها، وترائيه فى شخص المسيح، وأنه هو الذى سكن فيها. أى أنّ هذا الكلام نص صريح فى عقيدة حلول الله فى عيسى، وظهوره فى صورته كما يزعمون.

ويجيبهم ابن تيمية على ذلك بقوله :

«مثل هذا قد ذكر عندهم عن ابراهيم وغيره من الأنبياء أن الله تجلى له، واستعلن له، وترياله، ونحو هذه العبارات، ولم يدل ذلك على حلوله فيه.

وكذلك ايتانه، وهو لم يقل : إنى أحلّ فى المسيح واتحد به، وإنما قال عن بنت صهيون :

«آتيك وأحل فيك» كما قال مثل ذلك عندهم فى غير هذا ولم يدل على حلوله فى بشر، كذلك قوله :«وتعرفين أني أنا الله القوى الساكن فيك»، ولم يرد بهذا اللفظ حلوله فى المسيح، فإن المسيح لم يسكن بيت المقدس وهو قوي، بل كان يدخله وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب- حسبما يعتقدون - أو شبهه، والله سبحانه إذا حصلت معرفته والايمان به فى القلوب اطمأنت وسكنت. وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه حصل فيه من الايمان بالله ومعرفته، مالم يكن قبل ذلك ..... فكتب الأنبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم يصدّق بعضها بعضا، وسائر ماتستدل به النصارى على إلهيته من كلام الأنبياء، قد يوجد مثل تلك الكلمات فى حق غير المسيح، فتخصيص المسيح بالالهية دون غيره باطل. وذلك

---

(١) سفر زكريا الاصحاح ٢ من ١٠-١٢.

مثل اسم الابن والمسيح، ومثل حلول روح القدس فيه، ومثل تسميته إلهاً، ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه، أو فى مكانه.

فهذه الكلمات وما أشبهها موجودة فى حق غير المسيح عندهم، ولم يكونوا بذلك آلهة .... وقد قال الله تعالى : {وله المثل الأعلى فى السموات والأرض}(١)

وقال تعالى : {وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله}(٢)

وقال تعالى : {وهو الله فى السموات وفى الأرض}(٣)

فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه. ويقال :هو فى قلوبهم، والمراد معرفته ومحبته وعبادته، وهو المثل العليّ ليس المراد نفس ذاته ...)(٤)

٤ – وقد احتّج النصارى كذلك على عقيدتهم فى الحلول والاتحاد بما جاء فى سفر الملوك :

«والآن يارب اله اسرائيل ليتحقق كلامك لداود، لأنه حق أن يكون، أنه سيسكن الله مع الناس على الأرض، اسمعوا أيتها الشعوب كلكم، ولتنصت الأرض، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً من بيته القدوس، ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشاريق الأرض فى شأن خطيئة بني يعقوب ...»(٥)

---

(١) سورة الروم آية ٢٧.

(٢) سورة الزخرف آية ٨٤.

(٣) سورة الأنعام آية ٣.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٢ ص١٩١ ، ١٩٢ بتصرف قليل.

(٥) أنظر الاصحاح ٦ : ١١-١٣، والاصحاح ٨ : ١٥-٢٧ وهو موجود فى سفر الملوك الأول وليس الثالث كما ذكر ابن تيمية.

وإذا كان المسيح هو الذى وطىء أطراف الأرض وساكن الناس فيها ... فإن هذا النص قد عبّر عن ذلك بأن الله هو الذى فعل ذلك، فالمسيح إذن – كما يزعمون – إنما فعل ذلك باعتباره رباً لحلول الرب فيه واتحاده به.

ويجيب ابن تيمية عن ذلك بأن هذا السفر يحتاج إلى أن يثبت أن الذى تكلم به نبي، وأن ألفاظه ضبطت وترجمت إلى العربية ترجمة مطابقة، ثم بعد ذلك يقال فيه مايقال فى أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم، وليس فيها مايدل على اتحاده بالمسيح، فإن قوله: «إن الله سيسكن مع الناس فى الأرض» لايدل على المسيح، إذ كان المسيح لم يسكن مع الناس فى الأرض، بل لما أظهر الدعوة لم يبق فى الأرض إلاّ مدة قليلة، ولم يكن ساكنا فى موضع معين، وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى النبوة فضلا عن الالهية، ثم إنه بعد ذلك رفع إلى السماء فلم يسكن مع الناس فى الأرض، وأيضا فإذا قالوا سكونه هو ظهوره فى المسيح عليه السلام، قيل لهم : أما الظهور الممكن المعقول ، كظهور معرفته ومحبته ونوره، وذكره، وعبادته، فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره ...

وأما قوله : « فيكون الرب عليها شاهداً» ، فيقال:

شهود الله على عباده لايستلزم حلوله، أو اتحاده ببعض مخلوقاته، بل هو شهيد على العباد بأعمالهم كما قال:

{... ثم الله شهيد على مايفعلون}(١)

ولفظ النص : «وتنصت الأرض، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهدا، وهذا كما فى التوراة : «إن موسى لما خاطب بني اسرائيل، أشهد عليهم، وكذلك

---

(١) سورة يونس / آية ٤٦.

محمد صلى الله عليه وسلم كان يقول لأمته لما بلّغ الناس يقول : «ألاّ هل بلغت؟ فيقولون : نعم، فيقول : اللهم أشهد».

وحينئذ فليس في هذا تعرض لكون المسيح هو الله، وقد يقال أيضا: ليس فيه أن المراد بلفظ الرب هنا هو الله، ولفظ الرب يراد به السيد المطاع، وقد غاير بين اللفظين، فقال : هناك إنه سيسكن الله مع الناس، فقال : فيكون الرب عليها شاهداً، والأنبياء يشهدون على أممهم، كما قال المسيح عليه السلام: {وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم.}.(١)

... وحينئذ فيكون الرب الشهيد هو المسيح الذى هو الناسوت، وهو الذى جاء من بيت المقدس، وخرج من موضعه، ونزل ووطىء على الأرض من أجل خطيئة بني يعقوب، فإنهم لما أخطأوا وبدلوا أرسل الله اليهم المسيح عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده وطاعته، فمن آمن به كان سعيداً مستحقا للثواب، ومن كفر به كان شقيا مستحقا للعذاب.»(٢)

٥ – واستدل النصارى على الحلول في عيسى بقول ميخا النبى:

«وأنت يابيت لحم قرية يهودا بيت أقرانا منك، ويخرج لي رئيس الذى يرعى شعبى اسرائيل، وهو من قبل أن تكون الدنيا، لكنه لايظهر إلاّ فى الأيام التى تلده فيها الوالدة وسلطانه من أقاصى الأرض إلى أقاصيها»(٣)

ومعنى ذلك – عندهم – أنه لايمكن أن يوصف المسيح بأنه قديم أزلي – كما يزعمون – إلاّ لأنه إلهي حلّ اللاهوت فى ناسوته واتحد به، فاللاهوت قديم وان لم يظهر ناسوت المسيح إلاّ بعد ولادته.

---

(١) سورة المائدة آية ١١٧.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ابن تيمية جـ ٢ ص١٩٦/١٩٨.

(٣) سفر ميخا ٥ : ٢ : ٤.

ويجيب ابن تيمية عن ذلك بأن : «عامة مايذكرونه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حجة عليهم لا لهم، كما نكروه عن المسيح عليه السلام فى أمر التثليث*، فإنه حجة عليهم لا لهم، وهكذا إذا تأملنا عامة مايحتج به أهل البدع والضلالة من كلام الأنبياء فإنه إذا تدبر حق التدبر وجد حجة عليهم لا لهم ، فإن كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هدى وبيان، وهم معصومون لايتكلمون بباطل. فمن احتج بكلامهم على باطل، فلابد أن يكون فى كلامهم مايبيّن أنهم أرادوا الحق لا الباطل، وهذا مثل قوله فى هذه النبوة :

«منك يخرج لي رئيس» فهذا صريح فى أن هذا الذى يخرج هو رئيس الله ليس هو الله، بل هو رئيس له كسائر الرؤساء الذين لله وهم الرسل والأنبياء المطاعون مثل : داود وموسى وغيرهما. ولهذا قال : «الذى يرعى شعبى اسرائيل» ولو كان هو، لكان هو راعي شعب نفسه، وأما قوله: «وهو من قبل أن تكون الدنيا» فهذا مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ميسرة الفجر**، وقد قيل له : يارسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : (وآدم بين الروح والجسد.) وفى لفظ : متى كتبت نبيا؟ قال : (وآدم بين الروح والجسد).[1] وفى مسند الامام أحمد عن العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (انى عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول أمرى دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى، ورؤيا أمى رأت حين ولدتنى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام.)[2]

---

* سيأتي الكلام عن التثليث فى الفصل الرابع من هذا الباب.

** اسمه عبد الله بن أبي الجدعاء، وميسرة لقب له، وهو من أعراب البصرة. أنظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة / تاليف ابن الأثير المجلد الرابع صفحة ٤٢٦.

(١) أنظر مسند الامام أحمد الجزء ٥ ص ٥٩ وكذلك جـ ٥ ص٣٧٩، جـ٤ ص٦٦.

(٢) جـ ٤ ص ١٢٧.

فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه كان نبيا، وكتب نبيا وآدم بين الروح والجسد، وأنه مكتوب عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته ومراده صلى الله عليـه وسلم ان الله كتب نبوته، وأظهرها وذكر اسمه، ولهـذا جعل ذلك فى ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه ، كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله، وشقى هو أو سعيد بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه.

وكذلك قول القائل فى المسيح عليه السلام: «وهو من قبل أن تكون الدنيا» فإنه مكتوب مذكور «من قبل أن تكون الدنيا»، فإنه قد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.)[(١)]

وفى صحيح البخارى عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(كان الله، ولم يكن شىء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء، وخلق السموات والأرض)[(٢)] وهو قد قال: (قبل أن تكون الدنيا) أى قبل الخلق مطلقا فلا يصح أن ننسب وجود الله الى الخلق. ولم يقل : إنه كان قديما أزليا مع أن الله لم يزل كما يقول النصارى : إنه صفة الله الأزلية بل وقّت ذلك بقوله : «قبل أن تكون الدنيا» ولا يحسن أن يقال فى رب العالمين كان قبل أن تكون الدنيا، فانه سبحانه قديم أزلي، ولا ابتداء لوجوده، فلا يوقّت بهذا المبدأ، لاسيما إن أريد بكون الدنيا عمارتها بآدم وذريته، فإن الدنيا قد لاتدخل فيها السموات والأرض، بل يجعل من الآخرة وأرواح المؤمنين فى الجنة فى السموات

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠١٤ / كتاب القدر / باب حجاج آدم وموسى صلى الله تعالى عليهما وسلم. وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

(٢) جـ ٤ ص ١٢٨ / ١٢٩ كتاب بدء الخلق.

ويراد بالدنيا : الحياة الدنيا أو الدار الدنيا. ولهذا قال : «لكنه لا يظهر إلاّ فى الأيام التى تلده فيها الوالدة، كما يظهر غيره من الأنبياء بعد أن تلده أمه.»

والوالدة إنما ولدت الناسوت، وأما اللاهوت فهو عندهم مولود من الله، القديم الأزلى، واذا قالوا : هي ولدت اللاهوت مع الناسوت، كان هذا معلوم الفساد من وجوه كثيرة ...»[1]

فالمقصود هنا أن الكلام الذى وصف به المسيح، إما وصفه به الأنبياء قبله، أو أخبر به عن نفسه، موجود مثله في حق غيره، ولم يكن أحدهم بذلك لاهوتا وناسوتا، ولا اتحد اللاهوت بالناسوت، ولا استحقّ أحدهم أن يعبد ، ويصلى له، ويسجد، ويدعى كما يدعى الله ، ويضاف آليه مايضاف إلى الله من الخلق، والبعث والثواب والعقاب. وليس للمسيح صلوات الله عليه آية خارقة إلاّ ولغيره مثلها، وأعظم منها. ولا قيل فيه كلمة الاّ قيل في غيره مثلها، وأعظم منها، الاّ ماخصّه فيه القرآن.»[2]

٦ - واحتج النصارى على حلول اللاهوت في المسيح، بقول النبى في سفر حبقوق:

«انّ الله في الأرض يترآى، ويختلط مع الناس، ويمشي معهم.»[3]

كما يحتجّون بقول أرمياء النبي أيضا في ذلك : «الله بعد هذا في الأرض

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح / جـ ٢ ص٩٨ : ٢٠٠ بتصرّف قليل. وسوف نعرض لهذه الوجوه التي يشير اليها ابن تيمية في الفقرات التالية.

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح / جـ ٢ ص ٢٠٤: ٢٠٥.

(٣) أنظر الاصحاح الأول فقرة ١٢-١٣، وكذلك الاصحاح الثاني فقرة ١-٣.

يظهر ويتقلّب مع البشر، فيقول : أنا الله ربّ الأرباب.»[1]

ومعنى هذا أنّ الذى ترآى للناس، ومشى بينهم، وتقلّب بين ظهرانيهم باسم المسيح، ليس جسدا مجردا من اللاهوتية، بل إنما الذى فعل ذلك هو الله، بعد حلوله - في زعمهم - في شخص المسيح، ولهذا أسندت اليه كل الأفعال التي قام بها المسيح بهذا الاعتبار.

ويجيب ابن تيمية على ذلك بأن «هذا يحتاج إلى تثبيت نبوة هذين النبيين، وإلى ثبوت النقل عنهما، وثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة، وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره. ففي التوراة ماهو من هذا الجنس، ولم يدلّ ذلك باتفاق المسلمين، واليهود والنصارى على أنّ الله حلّ في موسى، ولا في غيره من أنبياء بني اسرائيل، بل قوله: «يترآى» هو بمنزلة يتجلى، ويظهر. وقد ذكر في التوراة أنّه تجلّى، وترآى لابراهيم، وغيره من الأنبياء - عليهم السلام - من غير أن تكون ذاته حلّت بأحد منهم ...

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الله: (عبدى، مرضت فلم تعدني، فيقول العبد : يارب، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ فيقول : أما علمت أنّ عبدى فلانا مرض فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده؟ عبدى، جعت فلم تطعمني، فيقول : ياربّ، كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ فيقول : أما علمت أن عبدى فلانا جاع، فلو اطعمته لوجدت ذلك عندى؟ عبدى، عطشت فلم تسقني، فيقول : ربّ كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين؟ فيقول : أما علمت أنّ عبدى استسقاك فلم تسقه أما لو سقيته لوجدت ذلك عندى)[2]. فجعل جوع

---

(١) الاصحاح الثلاثون فقرة ٢١-٢٢.

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب / باب فضل عيادة المريض جـ ٤ ص ١٩٩٠ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

عبده جوعه، ومرضه مرضه، لأن العبد موافق لله فيما يحبه ويرضاه، ويأمر به وينهى عنه، وقد عرف أن الرب نفسه لايجوع ولايمرض.

ومعلوم أن وصفه بالجوع والمرض أبعد من وصفه بالمشي بين النّاس والاختلاط بهم، ولهذا نظائر كثيرة موجودة فى كلام الأنبياء وغير الأنبياء من الخاصة والعامة، ولايفهم عاقل من ذلك أن ذات المذكور اتّحدت بالآخر، أو حلت فيه الاّ من هو جاهل كالنصارى ... فما قيل فى المسيح عليه السلام وأمثاله من هذا فهو حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا .. واذا كان مثل هذا الكلام كثيرا موجودا فى كلام الأنبياء وغيرهم، بل هو المعروف فى كلامهم ولا يوجد قط عن أحد من الأنبياء أنه جعل ذات الله فى قلب أحد من البشر علم أن النصارى تركوا المحكم من كلام الأنبياء عليهم السلام، وتمسكوا بالمتشابه. كأمثالهم من الضلاّل، فاشتبه عليهم المعلوم بالقلوب، المذكور بالألسن، بالموجود فى نفسه، فظنوا أن نفس المثال العليّ هو الوجود العيني، كما يظن ذلك كثير من الغالطين، وهؤلاء يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى، ولايفرقون بين حلول الايمان والمعرفة والمثال العليّ فى القلب وبين حلول الذات المعلومة المحبوبة ... وهذا الذى ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت فى المسيح وغيره بأن المراد ظهور مافى القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهداه وروحه، هو مما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى، فإنهم يفسرون اتحاد اللاهوت وبالناسوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخاتم فى الشمع والطين.

ومعلوم أن الحال فى الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا أن فى الشمع والطين شيئا من الخاتم، بل ظهر فيه نقش الخاتم.

وكذلك يظهر نور الله وروحه فى الأنبياء والصالحين، وهذا المعنى لايختص به المسيح عليه السلام، بل يشترك فيه سائر الرسل، بل وكل مؤمن له

من هذا نصيب بحسب ايمانه»[1]

٧ – واحتج النصارى بما نقلوه عن أشعياء النبى من قوله : «هاهي العذراء تحبل وتلد ابنا، ويدعى اسمه عمانويل»[2]

وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربى «الهنا معنا».

ومعنى ذلك – عندهم – أن أشعياء قد شهد بهذا الكلام على أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما.[3]

وأجاب ابن تيمية عن ذلك، فقال :

«ليس فى هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت، وأنها ولدت خالق السموات والأرض، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض، فأنه قال : تلد ابنا، وهذا نكرة فى الاثبات كما يقال فى سائر النساء : إن فلانة ولدت ابنا، وهذا دليل على أنه نبي من النبيين ليس هو خالق السموات والأرضين. ثم قال : ويدعى اسمه «عمانويل» فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له، ويسمى به كما يسمى الناس أبناءهم بأسماء الأعلام أو الصفات التى يسمونهم بها.

ومن تلك الأسماء مايكون مرتجلا ارتجلوه.

ومنها مايكون جملة يحكونها، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمي ابنه عمانويل، ثم منهم من يقول العذارء المراد بها غير مريم، ويذكرون فى ذلك قصة جرت.

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٠٥ / ٢١١ بتصرف كثير.

(٢) في الاصحاح السابع فقرة ٤.

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢١١.

ومنهم من يقول : بل المراد بها مريم، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين :-

إما أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والاعانة، فإن بني اسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم ، فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع من اتبع المسيح، والمسيح نفسه لم يبق معهم، بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والاعانة.

كما قال تعالى: {فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين}(١)

وقال تعالى : {وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة}(٢) وهذا أظهر .

وأما أن يكون يسمى المسيح إلها، كما يقولون : إنه يسمى موسى اله فرعون، أى هو الآمر الناهى له المسلط عليه، وقد حرّف بعضهم معنى هذه الكلمة. فقال : معناها : الله معنا، فقال من ردّ عليهم من علمائهم : يقال لهم :أهذا هو القائل؟ : أنا الرب ولا اله غيرى، وأنا أميت وأنا أحي، أم هو القائل لله : إنك أنت الاله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح؟ واذا كان الأول باطلا والثانى هو الذى شهد به الانجيل، وجب تصديق الانجيل، وتكذيب من كتب فى الانجيل أن «عمانويل» تأويله «الله معنا» بل تأويل عمانويل «معنا اله» وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم، بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى وهذا موجود فى عصرنا هذا فى أهل الكتاب من

---

(١) سورة الصف / آية ١٤.

(٢) آل عمران آية ٥٥.

سماه أبوه عمانويل معنى «شريف القدر»، قال : وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانويل، قلت : ومعلوم أن الله مع المتقين، والمحسنين، والمقسطين بالهداية والنصر والاعانة، ويقال للرجل في الدعاء : الله معك، فإذا سمي الرجل بقوله: «الله معك» كان هذا تبركاً بمعنى هذا الاسم، واذا قيل : أن المسيح سمي «الله معنا»، أو «الهنا معنا» ونحو ذلك كان ذلك دليلا على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه.»(١)

٨ - واحتج النصارى كذلك بما قاله أشعيا النبي : «... أيضا يخرج عصاه من بيت يسّى، وينبث أورمتها، ويحل فيه روح القدس، وروح الله، روح الحكمة والفهم، روح الحيل والقوة، روح العلم وخوف الله. وفي تلك الأيام يكون أصل يسّى آية للأمم، وبه يؤمنون، وعليه يتوكلون، ويكون لهم النتاج والكرامة إلى دهر الداهرين»(٢)

وفي هذا الكلام تصريح بحلول روح القدس روح الله روح العلم والحكمة ... الخ كما يقولون في المسيح، فعقيدة الحلول في نظرهم قائمة على نصوص صريحة وليس على معان مستنبطة من كتابهم المقدّس.

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك بقوله : «ان هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن النبي، وصحة الترجمة له باللسان العربي هو حجة على النصارى لا لهم، فأنه لايدل على أن المسيح هو خالق السموات والأرض، بل يدل على مثل مادلّ عليه القرآن، من أن المسيح عليه السلام أُيّد بروح القدس، فأنه قال :

«ويحل فيه روح القدس، وروح الله، روح الحكمة والفهم، روح الحيل

---

(١) الجواب الصحيح / جـ ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) الاصحاح ١١ فقرة ١ - ٢.

والقوة، روح العلم وخوف الله.». ولم يقل تحلّ فيه حياة الله فضلا عن أن يقول حلّ فيه الله أو اتحد به، ...»[1]

٩ – واحتج النصارى بما نقلوه عن أشعيا أيضا من قوله : «من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر»[2]

وفى هذا تعبير عن المسيح المولود من مريم بأنه رب الملائكة، وماذلك إلاّ لحلول اللاهوت فيه واتحاده به. أى أن مريم لم تلد جسدا انسانيا فقط، ولكنها ولدت إلها بهذا الحلول والاتحاد – كما يزعمون–.

ويجيب ابن تيمية عن ذلك بقوله : «مثل هذا الكلام لابدّ أن يكون قبله كلام وبعده كلام، وهو منقول من لغة إلى لغة، ونحن نعلم قطعا أنه لم يرد أن رب العالمين يولد من البشر، ولو أراد ذلك، لم يقل رب الملائكة فقط، فإن الله رب كل شيء، لكن قد يريد : أنه يولد من البشر من يكون سيد الملائكة تخدمه وتكرمه، كما سجدت الملائكة لأبي البشر آدم. والنصارى يسلمون أن اللاهوت ماهو متولد من البشر، وإنما المتولد من البشر هو الناسوت، وليس هو رب العالمين بالاتفاق، فعلم أنه لا حجة لهم فى ظاهر اللفظ إن قدر سلامته من التغيير.

ونظير هذا ماعندهم في انجيل متى: «أن ابن الانسان يرسل ملائكته، ويجمعون كل الملوك ربا على الأمم فيلقونهم فى أتون النار.»[3]

---

(١) الجواب الصحيح / جـ ٢ ص ٢١٤/٢١٥.

(٢) بحثت عنه فى سفر اشعياء فلم أجده حرفيا وربما يكون ماهو موجود فى هذا السفر ٩ : ٦ مما يشير إلى نفس المعنى.

(٣) ١٣ : ٤١ ، ٤٢ ونصه : «يرسل ابن الانسان ملائكته، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الأثم ، ويطرحونهم في أتون النار».

قال بعض علماء أهل الكتاب : لم يرد بذلك أن المسيح هو رب الأرباب، ولا أنه خالق الملائكة، بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح بشهادة النبى القائل : «إن الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك»[(١)]

ثم شهادة «لوقا» أن الله أرسل له ملكا من السماء ليقويه، قال : «واذا شهد الانجيل باتفاق الأنبياء والرسل بأن الله يوصى ملائكته بالمسيح فيحفظونه، علم أن الملائكة تطيع المسيح بالأمر، وهو والملائكة فى خدمة رب العالمين. وقال المسيح لتلاميذه:

«من قبلكم فقد قبلني، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني»[(٢)]

وقال المسيح :«من أنكرنى قدام الناس أنكرته قدام ملائكة الله» وقال للذى ضرب عبد رئيس الكهنة: «أغمد سيفك، ولاتظن أني لا أستطيع أن أدعو الله الأب فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جوقا من الملائكة.»[(٣)]

هذه هى ردود ابن تيمية على ماذكره من شبهات النصارى التى نقلوها من أسفار العهد القديم، زاعمين أنها تدل على عقيدتهم فى حلول اللاهوت فى ناسوت المسيح. وقد أظهرت ردود ابن تيمية بما لا مجالَ بعده لبيان كيف أن استشهاداتهم بهذه النصوص استشهادات باطلة، حمّلوا فيها أسفار العهد القديم مالا تحتمله من الدلالة على تلك العقيدة الباطلة.

---

(١) مزامير داود / مزمور ٩١ : ١١، ١٢.

(٢) انجيل متّى ١٠ : ٤٠.

(٣) انجيل متّى ٢٦ : ٥٢، ٥٣ أنظر هذه الردود / الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢١٦/٢١٧.

ثانيا : إبطال ابن تيمية لاحتجاج النصارى بمعجزات المسيح، وثناء القرآن عليه على حلول اللاهوت فيه واتحاده به :

ذكر ابن تيمية احتجاج النصارى على حلول اللاهوت فى المسيح عليه السلام بما أظهره من المعجزات وبتعظيم القرآن له فقال :

احتج النصارى على حلول اللاهوت فى ناسوت المسيح عليه السلام بمعجزاته التى أظهرها، وبما وجدوه فى القرآن الكريم من تعظيم السيد المسيح وأمه، حيث يقول القرآن في سورة الأنبياء : { والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين }(١)

وقال فى سورة آل عمران : { وإذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين }(٢)

مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات، وأنه حبلت به أمه من غير مباضعة رجل لبشارة ملائكة الله لأمه، وأنه تكلم فى المهد، وأحيا الميت، وأبرأ الأكمه، ونقّى الأبرص، وأنه خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيرا بإذن الله أى بإذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت.(٣)

وينقل ابن تيمية كذلك عن النصارى احتجاجهم على ماتقدم بقولهم :

(انا وجدنا أيضا فى الكتاب أن الله رفعه اليه. وقال فى سورة النساء {وماقتلوه يقينا، بل رفعه الله اليه})(٤)

وفى سورة آل عمران : {إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين

(١) سورة الأنبياء آية ٩١.

(٢) سورة آل عمران آية ٤٢.

(٣) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٢٩/٢٣٠.

(٤) سورة النساء آية ١٥٧/١٥٨.

كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة}[1]. وقال في سورة البقرة : {وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس}[2]

وقد أجاب عن ذلك ابن تيمية فبين أن تعظيم الله للمسيح إنما كان باعتباره بشراً رسولاً، وان هذا التعظيم لايقتضي اتحاد اللاهوت به ولا ألوهيته وبيّن كذلك أن معجزاته ليست صادرة عن لاهوت متحد به كما يقولون. فقد صدر ماهو أكثر منها عن غيره من الأنبياء ولم يقل أحد - لا هم ولا غيرهم - أن اللاهوت قد اتحد بهؤلاء الأنبياء.

يقول ابن تيمية فى تفصيل جوابه عن شبهات النصارى فى هذا المقام :-

«أما تعظيم المسيح وأمه فهو حق، وكذلك مدح مَنْ كان على دينه الذى لم يبدل قبل أن انبعث محمد صلى الله عليه وسلم أو بقي على ذلك إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به، فإن هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وكذلك من كان على دين موسى الذى لم يبدل إلى أن بعث المسيح فآمن به، فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون ....[3]

«وأما قولهم : «فكان طيرا بإذن الله أى باذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت فهذا إذا قالوه على أنه مذهبهم من غير أن يقولوا إن محمدا أراده، تكلمنا معهم فى ذلك، وبيّنا فساد ذلك عقلا ونقلا.

وأما قولهم : إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يقول : إن المراد : إذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت، فهذا من البهتان الظاهر على

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٥.

(٢) سورة البقرة آية ٨٧.

(٣) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٣٠.

محمد صلى الله عليه وسلم، وهو من جنس قولهم : إن قوله : {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم}(١) أراد به : النصارى. ومن جنس قولهم: إن قوله : {ومن يبتغِ غير الاسلام دينا}(٢) أراد به العرب. ومن جنس قولهم: إن قوله : {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات}(٣) أراد بهم : الحواريون. ومن جنس قولهم: إن قوله: {ألم، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين}(٤) أراد به : الانجيل - كما ذكرنا سابقا -(٥)

فهذه المواضع التى فسروا بها القرآن وزعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم الذى بيّن للناس ما أنزل إليهم كان يريد بها مايتلوه من القرآن هذه المعاني التى ذكروها وهى من الكذب الظاهر الذى يدل على غاية جهل قائلها، أو غاية معاندته، ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى، فإنهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة والأنجيل والزبور والنبوات بنحو هذه التفاسير التى حرفوا فيها الكلام الذى جاء به الأنبياء عن مواضعه تحريفا ظاهرا، فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله، وضاهوا بذلك اليهود الذين حرفوا وبدّلوا وآن اختلفت جهة التحريف والتبديل، فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم للتوراة والأنجيل، وهم من الذين يدعون المحكم ويتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لكن فى هذه المواضع حرفوا المحكم الذى معناه ظاهر لا يحتمل إلاّ معنى واحداً، فكانوا من الجهل والمعاندة أبعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه، وذلك أنه قد علم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) سورة الفاتحة آية ٦، ٧.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٣) سورة الحديد آية ٢٥.

(٤) سورة البقرة آية ١، ٢.

(٥) أنظر ص   من هذه لرسالة.

كان يقول: «إن المسيح عند الله مخلوق كسائر المرسلين، وأنه يكفّر النصارى الذين يقولون : هو الله وابن الله.

وقال تعالى : { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا، ولله ملك السموات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير}[1]

وقال تعالى : {لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم، وقال المسيح يابنى اسرائيل، اعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن اله إلاّ اله واحد، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. ما المسيح بن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام، أنظر كيف نبيّن لهم الآيات، ثم انظر أنّى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولانفعا والله هو السميع العليم. قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل}[2]

فقد ذكر كفر النصارى في قولهم : «هو الله» مرتين، وذكر أنه ليس المسيح إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل، فغايته الرسالة، وغاية أمه أن تكون صديقة، ودل بهذا أنها ليست نبيّة، ثم قال : «كانا يأكلان الطعام» وهذا من أظهر الصفات النافية للالهية لحاجة الأكل إلى مايدخل في جوفه، ولما يخرج منه

---

(١) سورة المائدة آية ١٧.

(٢) سورة المائدة آية ٧٢-٧٧.

مع ذلك من الفضلات. والرب تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

والنصارى تقول : إنه يلد، وانه يولد، وان له كفواً ... وقد أخبر القرآن بعبودية المسيح في غير موضع كقوله تعالى : { ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ، وقالوا : ءآلهتنا خير أم هو ؟ ماضربوه لك إلاّ جدلا بل هو قوم خصمون، إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل}(١)

وأخبر تعالى أن أول شيء نطق به المسيح قوله : {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا}(٢)

وقال تعالى : { وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟ قال : سبحانك، مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك أنك أنت علاّم الغيوب. ماقلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد}(٣)

وقال تعالى : { ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله اله واحد سبحانه

---

(١) سورة الزخرف آية ٥٧-٥٩.

(٢) سورة مريم آية ٣٠.

(٣) سورة المائدة آية ١١٦/١١٧.

أن يكون له ولد، له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا}[١]

فإذا كان قد علم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم وبالنقل المتواتر عنه، وبإجماع أمته إجماعا يستندون فيه إلى النقل عنه وبكتابه المنزل عليه، وسنته المعروفة عنه، أنه كان يقول : ان المسيح عبد الله ورسوله ليس هو إلاّ رسول، وأنه يكفر النصارى الذين يقولون : هو الله وهو ابن الله، والذين يقولون ثالث ثلاثة وأمثال ذلك، كان - بعد - هذا تفسيرهم لقول الله الذى بلّغه نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم فيكون طيراً بإذن الله أى بإذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة بالناسوت، كذبا ظاهرا على محمد صلى الله عليه وسلم ... وان قدّر أن ماقالوه يكون ممكناً معقولاً، فكيف اذا كان ممتنعا فى صرائح العقول؟ بل هو قول غير معقول ومتناقض وفاسد ويمتنع ثبوته فى الخارج ...»[٢]

« أما ما شاهدوه من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام فقد شاهدوا من غيره ماهو مثلها وأعظم منها، وقد أحيا غيره الميت، وأخبر بالغيوب أكثر منه، ومعجزات موسى أعظم من معجزاته وأكثر، وظهور المعجزات على يديه يدل على نبوته ورسالته، كما دلت المعجزات على نبوة غيره ورسالتهم، ولا تدل على الالهية. والدجال لما ادعى الالهية لم يكن مايظهر على يديه من الخوارق دليلا عليها، لأن دعوى الالهية ممتنعة، فلايكون فى ظهور العجائب مايدل على الأمر الممتنع.»[٣]

---

(١) سورة النساء / آية ١٧١.

(٢) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٥١/٢٤٨ بتصرف قليل.

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ ٢ ص ١٨٦.

«... ومعلوم أن المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى ... فإن أعظم آيات المسيح عليه السلام احياء الموتى، وهذه الآية قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس وغيره. وأهل لكتاب عندهم فى كتبهم أن غير المسيح أحيا الله على يديه الموتى، وموسى بن عمران، من جملة آياته العصا التى انقلبت فصارت ثعبانا مبينا حتى بلعت الحبال والعصى التى للسحرة، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا. ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره وهى أعظم من أحياء الموتى، فإن الانسان إذا كانت فيه الحياة فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حالة الأول، والله تعالى يحيى الموتى بإقامتهم من قبورهم، وقد أحيا غير واحد من الموتى فى الدنيا.

وأما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي، فهذا أعجب من حياة الميت.

وإيضا فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بنى اسرائيل أعظم ممن أحياهم على يد المسيح. قال تعالى: { وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون }.(١)

وقال تعالى: { فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى }(٢)

وقال تعالى: { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم }.(٣)

---

(١) سورة البقرة / آية ٥٥/٥٦.

(٢) سورة البقرة آية ٧٣.

(٣) سورة البقرة / آية ٢٤٣.

وأيضا : فموسى عليه الصلاة والسلام كان يخرج يده بيضاء من غير سوء، وهذا أعظم من ابراء البرص الذى فعله المسيح، فإن البرص مرض معتاد، وإنما العجب الابراء منه، وأما بياض اليد من غير برص، ثمّ عودها إلى حالها الأول، ففيه أمران عجيبان لايعرف لهما نظير.

وأيضا فموسى فلق الله له البحر، حتى عبر فيه بنو إسرائيل، وغرق فيه فرعون وجنوده وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية، ومن إهلاك الله لعدو موسى مالم يكن مثله للمسيح. وأيضا : فقوم موسى كان الله يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني اسرائيل، ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عينا يكفيهم. وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة، ومن قلب الماء خمرا، ونحو ذلك مما يحكى عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات مالم يكن مثله للمسيح ... ولو كان المسيح هو اللاهوت الذى كلّم موسى لكان يظهر قدرته أعظم مما أظهره على يد موسى، فإنه لم يحل في بدن موسى، ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى، كما يزعمه هؤلاء في المسيح. ومع هذا فالآيات التى أيدّ بها عبده موسى تلك الآيات العظيمة، فكيف تكون آياته إذا كان هو نفسه الذى قد حلّ في بدن المسيح، وهو الذى يخاطب الناس على لسان المسيح».(١)

ثالثا : إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى فى الحلول والاتحادلتناقضها مع العقيدة الصحيحة فى الله :

يقول النصارى : إن الاله «اتحد بالمسيح، وأنه صعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وأن اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه، بل لما صعد إلى

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٧٣/٢٧٥.

السمـاء، وجلس عن يمين الأب ، كـان الصـاعـد هو المسيح، الذى هو ناسـوت ولاهوت اله تام وانسـان تام، وانهم لايقـولون : إن الجـالس عن يمـين الأب هو الناسوت فقط بل اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت.»[1]

ويستدل ابن تيمية على بطلان هذه العقيدة بما تستلزمه من التبعيض والتجزىء، فى حق الله، بينما ينفون التبعيض والتجزىء عن الله. فكل صـور اتحـاد اللاهوت بناسـوت المسيح مـتناقـضـة فى نفسـهـا ومناقـضـة للعـقـيـدة الصحيحة فى الله عز وجل.

ويقول ابن تيمـية بيانا لذلك : «أي تبـعـيض وتجـزئة أبلغ من هذا، وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال : إن له معنى لا نفهمه، بل هو من كلام أكابرهم الذين وضـعـوه وجـعلوه عـقيـدة ايمانهم، فـإن كانوا تكلمـوا بمالا يعـقلونه، فـهم جهّال لايجوز أن يتّبـعوا، وان كانوا يعـقلون مـاقـالوه فـلا يعقل أحـد من كون اللاهوت المتـحـد بالناسـوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحـاد، إلاّ أن هذا اللاهوت المجرد، منفصل مباين للاهـوت المتحد، وليس هو متـصـلا به، بل غـايتـه أن يكون مماسـا لـه، بل يجب أن يكون الذى يماس اللاهـوت المجـرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به، فـهذا حـقيقة التبـعيض والتجزئة مع انفصـال أحد البعضين عن الآخر.

وأيضـا فيقـا لهم : المتحد بالمسيح ، أهو ذات ربّ العـالمين، أم صـفة من صفاته؟ فان كان هو ذات الرب، فهو الأب نفسه، ويكون المسيح هو الأب نفسه، وهذا مما اتفق النصـارى على بطلانه، فـانهم يقـولون : هو الله، وهو ابن الله ، كما حكى الله عنهم. ولايقولون هو الأب والابن، والأب عندهم هو الله. وهذا من عظيم تناقضهم.

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ج٢ ص ١٥٦.

وان قالوا المتحد بالمسيح صفة الربّ، فصفة الربّ لا تفارقه، ولايمكن اتحادها ولا حلولها في شيءدون الذات.

وأيضا، فالصفة نفسها ليست هي الاله الخالق ربّ العالمين، بل هي صفة، ولا يقول عاقل انّ كلام الله، أو علم الله، أو حياة الله هي ربّ العالمين الذى خلق السموات والأرض. فلو قدّر أن المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله، ولم يكن هو ربّ العالمين، ولا خالق السموات والأرض ...

وان قالوا: المتحد به بعض ذلك دون بعض، فقد قالوا بالتبعيض، والتجزئة. فهم بين أمرين : امّا بطلان مذهبهم، وأمّا اعترافهم بالتبعيض، والتجزئة مع بطلانه .

وهم يقولون : انّ المسيح اله خلق السموات والأرض؛ لاتحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كل الدهور، المساوِي للأب فى الجوهر. وهذا كلّه نعت عين قائمة بنفسها، كالجواهر القائمة بنفسها، لا نعت صفات قائمة بغيرها، واذا كان كذلك، فالتبعيض والتجزئة لازمة لقولهم. فإن القول بالولادة الطبيعية مستلزم لأن يكون خرج منه جزء .

وأمّا هذا المعنى الذى يثبته مَنْ يثبته مِن علماء النصارى، ويسمّونه ولادة وبنوّة، فيسمون الصفة القديمة الازلية القائمة بالموصوف ابنا، ويسمّونها تارة النطق بالكلمة، وتارة : العلم، وتارة الحكمة. ويقولون : هذا مولود من الله، وابن الله. فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم، ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى، ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى ... فقولهم متناقض فى نفسه مخالف لصريح المعقول، وصحيح المنقول

عن جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين»[1] إن القول بحلول الاله في عيسى معناه : أنه قد تنزّل ليخاطب بنفسه عوام اليهود والنصارى بلسان عيسى، ومخاطبة الله بنفسه لأحد خلقه فيها من التكريم لذلك المخلوق مافيها، فإذا جاز هذا كان الأنبياء والصالحون أولى بهذا التكريم، حيث يخاطبهم الله بنفسه بعد أن يحلّ فى كبار الأنبياء كإبراهيم وموسى عليهما السلام، لو جاز هذا الحلول، لكنه سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك، لأن الحلول أمر غير جائز، وعقيدة باطلة.

يقول ابن تيمية : «إنه من المعلوم أن الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح أفضل من عوام النصارى الذين كانوا بعد المسيح، وأفضل من اليهود الذين كذبوا المسيح. فإذا كان الرب قد يتفضل باتحاده فى المسيح حتى كلّم عباده بنفسه فيتحد بالمسيح محتجبا ببدنه الكثيف، وكلّم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح، وعوام النصارى، وسائر من كلمه المسيح فكان أن يكلم من هم أفضل من هؤلاء من الأنبياء والصالحين بنفسه أولى وأحرى، مثل أن يتحد بابراهيم الخليل، فيكلم اسحاق ويعقوب ولوط محتجبا ببدن الخليل، أو يتحد بيعقوب فيكلم أولاده، أو غيرهم محتجبا ببدن يعقوب، أو يتحد بموسى بن عمران فيكلم هارون ويوشع ابن نون وغيرهما محتجبا ببدن موسى. فإذا كان هو سبحانه لم يفعل ذلك إما لامتناع ذلك، وأما لأن عزته وحكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة إلى ذلك، علم أنّه لايفعل ذلك في المسيح بطريق الأولى والأحرى»[2].

أنّ الاحتجاج على عقيدة الحلول بأنها إنما صحت لكون الحلول الإلهي

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص١٥٦/١٦٠ بتصرف.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ٢ ص ١٧٤.

في أجلّ مخلوقات الله، وهو المسيح عليه السلام - انّ الاحتجاج بهذه الحجة لا قيمة له، فمهما بلغ المخلوق من الكمال، والجلال، فهو مجرد مخلوق، وشتان في النسبه بين الخالق والمخلوق. بحيث لايمكن أن يحلّ الخالق في المخلوق. فالحلول يتنافى مع العقيدة الصحيحة في كمال الخالق، وجلاله.

ثمّ انّ دعوى النصارى : أنّ المسيح هو أجلّ المخلوقات، وأنّ الله حلّ فيه لذلك، مجرد دعوى بلا دليل. فهناك من الأنبياء من هو أجلّ منه قدرا، وأقرب منه درجة، كإبراهيم، ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومع ذلك لا يقول أحد بحلول الله فيهما.

وفي هذا المقام يخاطب ابن تيمية النصارى قائلا :

«ان أردتم بقولكم : «ظهر في عيسى»، حلول ذاته، واتحاده بالمسيح، أو غيره، فهذه دعوى مجردة من غير دليل متقدم، ولا متأخر، وكون الانسان أجلّ ما خلقه الله لوكان مناسبا لحلوله فيه ، أمر لايختصّ به المسيح، بل قد قام الدليل على أنّ غير عيسى - عليه السلام - أفضل منه مثل : محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام. وهذان اتخذهما الله خليلين، وليس فوق الخلة مرتبة، فلو كان يحلّ في أجلّ ما خلقه الله من الانسان، لكونه أجلّ مخلوقاته، لحلّ في أجلّ هذا النوع، وهو الخليل ومحمد صلى الله عليهما وسلم»[1].

رابعا : إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد لما تستلزمه من المحالات العقلية :

يستدل ابن تيمية على بطلان عقيدة المسيحيين في الحلول والاتحاد بما يرتّبه على هذه العقيدة من استلزامها للنقائض والمحالات العقلية، فالنصارى

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٨٥.

يبررون ظهور اللاهوت باعتباره موجودا روحانيا لطيفا في الناسوت، وهو موجود كثيف - يبررون ذلك بما يرونه من « أنّه لايرى شيء من لطيف الخلق الاّ في غليظ الخلق، ولا يرى ماهو ألطف من اللطيف الاّ مع ماهو أغلظ منه»[1].

واذا كان ذلك القول يعبر في نظرهم عن حقيقة واقعة في الوجود، حيث يتمثّل العالم الروحانى في مظاهر مادية، يحلّ فيها حتى يرى، فهم يفّسرون بذلك ظهور اللاهوت في ناسوت المسيح، ورؤية الناس له في ذلك الناسوت باعتبار اللاهوت موجودا لطيفا، مجردا، فلا يمكن أن يرى الاّ في ناسوت كثيف يحلّ هو فيهم.

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك، فردّ عليهم مبينا أنّ ذلك القول يصبح لغواً لا معنى له ان قالوا بأنّ الناس إنما رأوا المسيح دون الاله الذى حلّ فيه . أمّا إن قالوا : بأنّ الذي رأى المسيح فقد رأى الله الذي حلّ فيه، فإنّ هذه الرؤية المزعومة باطلة حسّا وشرعا وعقلا.

يقول ابن تيمية رداً على النصارى في قولهم باتحاد اللاهوت بناسوت المسيح باعتباره ظهوراً للموجود اللطيف في المخلوق الكثيف، يقول ردّا عليهم في ذلك :

«أمّا أن يكون الله لما اتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس، وعاينوه أو لم يره أحد، فإن قلتم قد رآه الناس وعاينوه فهذا مخالف للحسّ، والشرع، والعقل. أمّا الحسّ : فانّ أحدا ممن رأى المسيح لم ير شيئا يتميز به المسيح عن غيره من البشر، غير العجائب التي ظهر على غيره منها ما هو أعظم مما ظهر عليه،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص٦٥.

ولم ير الاّ بدن المسيح الظاهر، لم ير باطنه، ولا قلبه، ولا كبده، ولا طحاله، فضلا عن أن يرى روحه، فضلا عن أن يرى الملائكة الذين يوحون اليه، فضلا عن أن يرى الله ، ان قدّر أنّه كان متحدا به أو حالا فيه.

فدعوى المدعي أنّ من رأى المسيح ، فقد رأى الله عيانا ببصره، في غاية المباهتة، والمكابرة، والكذب.

أمّا الشرع : فموسى والمسيح، وغيرهما من الأنبياء، أخبروا أنّ أحدا لايرى الله في الدنيا.

وأمّا العقل : فإنّ رؤية بعض ملائكة الله أو بعض الجنّ يظهر لرائيهما من الدلائل، والأحوال، ما يطول وصفه، فكيف بمن رأى الله؟!والذين رأوا المسيح لم يكن حالهم الاّ كحال سائر من رأى الرسل، منهم الكافر به، والمكذب له، ومنهم المؤمن به، المصدّق له، بل هم يذكرون من اهانة ناسوته مالا يعرف عن نظرائه من الرسل، مثل ضربه والبصاق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه، وصلبه، وغير ذلك.

وأيضا : فمعلوم أن من رأى الله، أمّا أنّ يعرف أنّه الله ، أو لا يعرف، فإن عرف أنّه رأى الله، كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنّه الله، ولو علموا ذلك لحصل لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب. وان كانوا لم يعرفوه، فهذا في غاية الامتناع، حيث صار ربّ العالمين لايميزّ بينه وبين غيره من مخلوقاته، بل يكون كواحد منهم، ولايميّز بينه وبينهم، ولايعرف الرائى أنّ هذا هو الله.

وان قالوا : إن الله لم ير لما اتحد بالمسيح، وإنما رئي جسد المسيح الذى احتجب به الله. فقولهم بعد ذلك : « واعلم أنه لايرى شيء من لطيف الخلق إلاّ فى غليظ الخلق، ولايرى ماهو ألطف من اللطيف إلاّ مع ماهو أغلظ منه» كلام لا

فائدة فيه، بل كان هذا استدلالا على شيء يعلمون أنه باطل، اذ كان هذا مثلا ضربوه لله ليبينوا أنه يرى.»(١)

ويفرق ابن تيمية بين تمثل الملائكة الروحانيين فى أشخاص بشرية وتلبّس الجن بأجسام بعض الناس - يفرق ابن تيمية بين هذا وبين دعوى النصارى : اتحاد الله بجسد المسيح. فالأول ممكن، يجوز تصوره ولا استحالة فيه، أما الثانى فهو مستحيل عقلا لما يترتب عليه من المحال في حق الله عز وجل، ولأن تصورهم للاتحاد بين اللاهوت والناسوت يختلف عما ذكرناه فى حق الملائكة والجن. يقول ابن تيمية :-

«إنا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تتصور فى صورة بشرية، ولم نعهد ملكا صار هو والبشر شيئا واحدا.

فإذا لم يجز أن يتحد الملك بالبشر، فكيف يجوز أن يتحد رب الخلائق كلهم بالبشر؟ قالوا : وقد يحلّ الجنّي في بدن الانسيّ، ويتكلم على لسانه، إلاّ أنهما جوهران ومشيئتان وطبيعتان، وليس بينهما اتحاد، لكنه دخل فيه وتكلم على لسانه. والنصارى يقولون : إن رب العالمين اتحد بالبشر. فمنهم من يقول جوهر واحد، ومنهم من يقول : شخص واحد وأقنوم واحد، ومنهم من يقول مشيئة واحدة، فلابد لكل منهم من نوع واتحاد، وهذا أبعد من حلول الجنّي في الانسيّ فإذا كان مايقولونه ممتنعا في الجن والملائكة، فكيف برب العالمين؟!(٢)

ومما قاله النصارى تصويرا لاتحاد اللاهوت بناسوت المسيح وبيانا للآثار المختلفة والأفعال المتباينة التى صدرت عن المسيح بناء على مافيه من هاتين

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص ٦٥، ٦٦، ٦٧ بتصرف.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص ١٧١/١٧٢.

الحقيقتين اللاهوتيه والناسوتية – مما قاله النصارى تصويرا لذلك :

«إن كلمة الله الخالقة التى بها خلق كل شيء تجسمت وتجسدت بإنسان مخلوق، وهو الذى أخذ من مريم العذراء المصطفاة التى فضلت على نساء العالمين، واتحدت الكلمة به اتحادا بريا من اختلاط أو تغيّر أو استحالة ... ففعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته، والفعلان هما من المسيح الواحد»(١)

وابن تيمية بدوره يتناول هذا التصوير لاتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح عليه السلام بالرد والابطال، لما فى هذا التصوير من تناقض فى نفسه ومناقضة للعقيدة الصحيحة فى الله، ولما يترتب عليه من المحالات الباطلة شرعا وعقلا، بل يرد عليهم ببيان استحالة مايذهبون اليه من الاتحاد مع عدم التغير، بل يلزمهم بما ينفونه من تغيّر اللاهوت المتحد بالناسوت.

وبيانا لذلك البطلان يقول ابن تيمية تعقيبا على تصوير النصارى السابق للحلول والاتحاد بالمسيح : «إن فى هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض أموراً كثيرة وذلك يظهر بوجوه :

أولا : إن قولهم كلمة الله الخالقة التى بها خلق كل شيء كلام متناقض، فإنّ الخالق هو الاله الخالق وهو خلق الأشياء بكلامه وهو قوله «كن» فالخالق لم تخلق به الأشياء بل هو خلقها، والكلام الذي به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها، بل به خلق الخالق الأشياء.

والفرق بين الخالق والمخلوق، وبين مابه خلق الخالق معقول، وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذى به خلقت المخلوقات، فجعلوا الكلمة هى الخالق، وجعلوا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦٦ بتصرف.

المخلوقات خلقت بها.

وايضاح هذا : أن الكلمة إن كانت مجرد الصفة، فإن الصفة ليست خالقه، وإن كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق، ليس هذا هو المخلوق به.

ثانيا : إن قولهم : تجسّمت، وتجسدت يقتضى أن الكلمة صارت جسدا وجسما في الإنسان المخلوق، وذلك يقتضي انقلابها جسدا وجسما، وهذا يقتضى استحالتها وتغيّرها، وهم قالوا : اتحادا بريئا من تغيّر واستحالة.

ثالثا : قولهم : اتحدت الكلمة به اتحادا بريئا من اختلاط أو تغيّر، واستحالة، كلام متناقض أيضا، فإن الاتحاد أن يصير الاثنان واحدا، فيقال : قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهراً والناسوت جوهراً آخر. وإن شئت قلت : كان هذا شيئا وهذا شيئا، أو هذا عينا قائمة بنفسها، وهذا عينا قائمة بنفسها، فبعد الاتحاد إما أن يكونا أثنين كما كانا، أو صارا الأثنان واحدا، فإن كانا أثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان كما كانا متعددين، وإن كانا قد صارا شيئا واحدا، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم، وهذا عدم لأحدهما لا اتحاده، وإن كان هذا الذى صار واحداً ليس هو أحدهما، فلابّد من تغيّرهما واستحالتهما، وإلاّ فلو كانا بعد الاتحاد أثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد فإذا قيل : اتحد اتحادا بريا من اختلاط أو تغيّر أو استحالة، وكان هذا كلاما متناقضا، ينقض بعضه بعضا، فإن هذا إنما يكون مع التعدد والمباينة، لا مع الاتحاد.

يوضح ذلك : أنه إذا اتحد الماء واللبن، والماء والخمر، ونحو ذلك، كان الحاصل من اتحادهما شيئا ثالثاً ليس ماء محضا ولا لبنا محضا، بل هو نوع

ثالث ، وكل من الماء واللبن قد استحال وتغيّر واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول ...»(١)

ويعلق ابن تيمية على مانسب إلى اليعاقبة من تصورهم لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح عليه السلام وأنهما فيه قد صارا بعد الاتحاد جوهرا واحداً وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وقولهم : « إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا، كما يختلط الماء واللبن والماء والخمر-»(٢) - يعلّق ابن تيمية على مايقوله اليعقوبية من ذلك بقوله :-

« إن هذا القول هو حقيقة الاتحاد ولا يعقل الاتحاد إلاّ هكذا»(٣)

ثم يبطل ابن تيمية هذا التصور للاتحاد بين اللاهوت والناسوت بما يلزمه من النتائج الفاسدة، فإنه يترتب على هذا القول «ان الذى كان يأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، والذى ضرب وبصق فى وجهه ووضع الشوك على رأسه هو رب العالمين»(٤) تنزه الله عن ذلك.

وإذا كان الاتحاد يؤدى إلى هذه النتيجة الباطلة كان باطلا، لأن مايؤدى إلى الباطل فهو باطل.

ويرى ابن تيمية إبطالاً لحلول اللاهوت فى ناسوت المسيح عليه السلام ،أن ناسوت المسيح هو من جنس سائر النواسيت ، والإنسان لا يستطيع أن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦٦/٢٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص٢٦٨.

(٣) المرجع السابق .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦٨.

يرى الله فى الدنيا، كما أخبر بذلك موسى وعيسى ومحمد[1] فإذا لم يستطع أن يراه كان أن لايستطيع الاتصال به ومماسته فضلا عن أن يتحد به أولى وأحرى.»[2]

وكيف يقال : إن اللاهوت حلّ في المسيح، وخاطب الناس بلسانه مع أن المسيح عليه السلام كان كل أحد يسمع صوته كصوت سائر الناس لم يتميز عنهم بما يوجب أن يكونوا سمعوا كلام الله، كما سمعه موسى بن عمران.»[3]

ومما يدل على بطلان القول : بأن اللاهوت تكلم على لسان المسيح : « أن المخاطب للناس إن كان هو مجموع اللاهوت والناسوت فكلامه (أى المسيح) صريح فى أنه مخلوق مربوب يدعو ويسأل، والمجموع ليس بمخلوق يسأل الله ويعبده، وإن كان هو اللاهوت وحده كما يقتضيه كلامهم هذا فهو أبعد وأبعد، وأن كان الناسوت وحده فلم يكن اللاهوت مخاطبا للناس من الناسوت كما كلم الله موسى من الشجرة»[4] بزعمهم

ويقول ابن تيمية : «إن الرب عز وجل إذا تكلم تكلم بكلام الربوبية فلو كان فى المسيح اللاهوت الذى أرسل موسى وغيره لم يخضع لموسى ولتوراته

---

(١) من ذلك ماجاء فى سفر الخروج (٣٣ : ٢٠) أن موسى – عليه السلام – طلب أن يرى وجه الله، فأجابه سبحانه : «لاتقدر أن ترى وجهي؛ لأن الانسان لايرانى ويعيش».
وتؤكد أسفار العهد الجديد هذه الحقيقة، حيث جاء فى انجيل (يوحنا) (٦ : ١٨) : «الله لم يره أحد» وجاء فى رسالة بولس إلى صديقه تيموثاوس (٦ : ١٦) : «الله لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ...».
وسئل محمد صلى الله عليه وسلم يوما : كيف رأيت ربك ؟ فأجاب : (نور أنّى أراه ...).
الأنعام آية ١٠٣ .

(٢) الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٦٩.

(٣) المرجع السابق جـ٢ ص٢٧٠ .

(٤) ابن تيمية الجواب الصحيح/ جـ٢ ص٢٧١-٢٧٢

ويذكر أنه إنما جاء ليكملها لا لينقضها، ولا كان يقوم بشرائعها فإن رب العالمين أعظم وأجلّ من ذلك، بل لو كان ملكا من الملائكة لم يفعل مثل ذلك، فكيف برب العالمين؟

وإذا قالت النصارى : فعل ذلك خوفا من بني اسرائيل، أو خوفا أن يكذبوه كان عذرهم أقبح من ذنوبهم، فرب العالمين ممن يخاف سبحانه وتعالى؟ وموسى لما كان فرعون يكذبه كان يظهر من الآيات مايذلّ بها فرعون وقومه مع عتوه، وعتو قومه، ولم تكن بنو اسرائيل أعتى من فرعون وقومه، فلو كان هو رب العالمين كان مايؤيد به نفسه من الآيات أعظم مما يؤيد به عبده موسى.»(١)

وأمّا قول النصارى بأن المسيح عليه السلام - بناء على اتحاد اللاهوت به فعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته.

فيرد عليهم ابن تيمية بأن «الله فعل من المعجزات ماهو أعظم من المعجزات التى ضهرت على يد المسيح عليه السلام، ولم يكن متحداً بشيء من البشر، فأى ضرورة به إلى أن يتحد بالبشر إذا فعل معجزات دون ذلك ؟.»(٢)

ولا وجه لتفرقة النصارى بين فعل اللاهوت وفعل الناسوت بعدما أصبح فى نظرهم شيئا واحداً، فالشيء الواحد يصدر عنه أثر واحد لا أثران مختلفان.

وعلى أي نحو كان الاتحاد بين اللاهوت والناسوت - كما يزعم النصارى - فإنه يترتب على تصوره المحال فى حق الله عز وجل، وكما يقول ابن تيمية : «إن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإن كانا بعد الاتحاد أثنين كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد، وان كانا استحالا إلى شيء ثالث كما يتحد

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح/ جـ٢ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٧٧.

الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك مما يشبه النصارى بقولهم فى الاتحاد، لزم من ذلك أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر مايتحد مع غيره، فإنه لابدّ أن يستحيل وهذا ممتنع على الله ينزه الله عن ذلك، لأن الاستحالة تقتضى عدم ماكان موجودا، والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك ...»[1]

فظهر لنا مما سبق أن مايقتضيه الاتحاد من تركيب البارى مع غيره أو استحالته إلى غيره، باطل، ومن ثم يبطل هذا الاتحاد المزعوم.

ثم إنه يبطل كذلك لما يترتب عليه من لزوم الاحتياج فى حق الله – تعالى عن ذلك – وكون قوامه بغيره، وهو الصمد الذى يصمد إليه كل شيء فى حاجته، ولايحتاج هو إلى غيره، ويقول ابن تيمية : « والرب تعالى غني عن كل ماسواه من كل وجه، وكل ماسواه فقير اليه من كل وجه، وهذا من معنى اسمه «الصمد» فإن الصمد الذى يصمد إليه كل شيء، لافتقاره إليه، وهو غني عن كل شيء لايصمد إلى شيء، ولا يسأله شيئا سبحانه وتعالى، فكيف يكون قوامه بشيء من المخلوقات؟!(2)

والنصارى يرون أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت حقيقة دينية عليهم أن يؤمنوا بها وان كانت فوق إدراك العقول ولكن ابن تيمية يرى أن «مالا يدرك، وأن ماهو فوق العقل، ليس لأحد أن يعتقده، ولا يقوله برأيه. ولكن إذا أخبرت الرسل الصادقون بما يعجز عقل الانسان عنه صدقهم، وان نقل عنهم ناقل مايعلم بصريح العقل بطلانه، علم أنه يكذب عليهم، إما فى اللفظ والمعنى وأما

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ص١٠١/١٠٢ طـ١ .

(٢) الجواب الصحيح جـ٣ ص٧٣.

وأنظر كذلك : مجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ص٧٩/٨٠ طـ١ .

في أحدهما.»(١)

ويرى ابن تيمية أننا يجب أن نفرق بين مايكون فوق العقل، وما يحكم العقل باستحالته. فالأول يمكن الايمان به. أما الثاني فلا يجوز فيه ذلك. وإذا جاز على الأنبياء أن يأتوا بما يجوز أن يكون فوق العقل إدراك حقيقته، فإنهم لايمكن أن يأتوا بما يحكم العقل باستحالته. ومايعتقد النصارى من الحلول والاتحاد من النوع الثاني لا من النوع الأول. ومن ثَم لايجوز الاعتقاد به، يقول ابن تيمية :

«إن الأنبياء صلوات الله عليهم أكمل الناس كشفا، وهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما تعرف عقولهم أنه باطل، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول»(٢).

قد توجد هناك نصوص دينية تخبر عن نوع من الاتحاد بين الله وبين عبده المؤمن ولكنه إذا فهم على حقيقته يحكم العقل أنه ليس اتحادا بالمعنى الحسيّ تتركب فيه الحقائق معا أو تتمازج، ولكنه اتحاد معنوى أو على حد تعبير ابن تيمية «اتحاد وصفى» «وهو أن يحب العبد مايحبه الله ويبغض مايبغضه الله، ويرضى بما يرضى الله، ويغضب لما يغضب الله. ويأمر بما يأمر الله، وينهى عما ينهى الله عنه، ويوالى من يواليه الله، ويعادي من يعاديه الله، ويحب لله، ويعطى لله، ويمنع لله، بحيث يكون موافقا لربه تعالى»(٣).

ويرى ابن تيمية أن «هذا المعنى للاتحاد حق وهو حقيقة الايمان

---

(١) الجواب الصحيح جـ٣ ص٦٩.

(٢) الجواب الصحيح جـ٣ ص٧٩.

وكذلك مجموعة الرسائل والمسائل / ابن تيمية جـ١ طـ١ ص٨١، ٨٢ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل / ابن تيمية جـ١ طـ٢ ص١٠٢ طـ١ .

وكماله»(١).

ويسوق ابن تيمية فى هذا المقام حديثا رواه البخارى يتضمن التعبير عن هذه الصلة القوية التى تكون بين العبد المؤمن وربه بحيث يصبح المولى عز وجل سمعه وبصره ... الخ تعبيراً عن المدد الالهي الذى يخص به المولى عبده المؤمن وذلك الحديث هو مايرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة من قوله: (إن الله قال : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفسي عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابدّ له منه)(٢).

«وكل من قال بحلول الله فى شيء من المخلوقات من النصارى، وغيرهم، يلزمهم أن يكون مفتقرا إلى ما حلّ فيه، فإنّه لا حقيقة للحلول الاّ هذا، ولهذا كان ما حلّ بقلوب المؤمنين من الايمان، والهدى، والنور، والمعرفة، مفتقرا إلى قلوب المؤمنين، لايقوم إلاّ بها»(٣).

ولو أنّ النصارى قد اعتقدوا هذا النوع من الاتحاد الوصفى بين الله سبحانه وتعالى، وبين عيسى – عليه السلام – لما كان في اعتقادهم هذا بأس،

---

(١) المرجع السابق .

(٢) صحيح البخارى / كتاب الدعوات / باب ماجاء فى الرقاق وان لاعيش إلاّ عيش الآخرة جـ٨ ص ١٣١.

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص١٢١.

فعيسى - عليه السلام - كان موضع تأييد الله وعونه، ولكنهم اعتقدوا أنّ بينهما اتحادا تركيبيا، أو اتحاداً مزجياً ، على نحو ما ذكرنا آراء الفرق المسيحية فى هذا الاتحاد المحال في حقّ الله عزّ وجلّ.

د - تعقيـــــب :

هذه هى عقيدة النصارى فى الحلول والاتحاد، وهذه هى إبطالات ابن تيمية لتلك العقيدة. والواقع أنها - كما رأيناها - إبطالات تتناول تلك العقيدة من جوانبها المختلفة، ومع ذلك فلايزال جانب التعقيب عليها قابلا للمزيد، بياناً لجذورها التاريخية فى الوثنيات والفلسفات السابقة على المسيحية، واستزادة من الأدلة العقلية التى تثبت بطلان تلك العقيدة، ومخالفتها للبدائه العقلية الصحيحة، بل واستلزامها لمحالات العقول، وكذلك بيانا للمعانى الصحيحة التى يمكن أن تؤول بها أقوال المسيح - على فرض صحة نقلها عنه - بمالا يشهد لعقيدتهم فى الحلول والاتحاد وهى أقوال لم يذكرها ابن تيمية مما يستشهد بها النصارى على صحة عقيدتهم.

١ - جذور عقيدة الحلول والاتحاد فى الوثنيات والفلسفات القديمة :

الواقع أن النصارى كانوا مسبوقين فيما ذهبوا إليه من حلول اللاهوت فى الناسوت المسيحى، واتحاده به، ببعض المذاهب والأديان الوضعية القائلة بالحلول والاتحاد فى أشياء، وأشخاص آخرين لها قداستها فى تلك الأديان والمذاهب.

وسوف نعرض فيما يلى عقيدة الحلول والاتحاد فى تلك الأديان والمذاهب مبيِّنين كيف تأثرت الفرق النصرانية بها، وأوجه التشابه بين مافى تلك الأديان والمذاهب، وبين ماعند هذه الفرق فى شأن المسيح عليه السلام.

فإذا جئنا للديانة البرهمية القديمة، فإننا نجدها فى أصلها ديانة توحيد، حيث تقرر أسفار الدين البرهمي أن الله واحد لا شريك له (وهو الاله براهما)، وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات وسرت منه روح فى الجماد والنبات والحيوان، وحلت فى تلك الكائنات.(١)

وقد انتهت هذه الفكرة فى الديانة البرهمية إلى القول بوحدة الوجود التى انتقلت إلى بعض صوفية المسلمين فيما بعد.

وتقرر العقيدة البرهمية «أن روح كل كائن تعود فى نهاية مطافها إلى مصدرها الأول، الذى نشأت منه ، وهو الله. والانسان أحد هذه الكائنات، فيعرض له مايعرض لها، وروحه قطرة من نور الله، انفصلت عن الله إلى أجل محدود، واتصلت به (أى بالانسان)، ثم تتصل بعده بكائن آخر، وآخر ... وهكذا على طريق التناسخ، وتجوال الروح بين الأجساد، ثم تعود فى النهاية إلى الله متى جاء الأجل، كالقطرة من الماء العذب، وتصعد بخارا من البحر، وترقى فى السماء،وتنتقل من جهة إلى جهة، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البَرَد، ثم تسقط على قمم الجبال، وتجري فى الأنهار، ثم ترجع فى نهاية مطافها إلى البحر الذى انفصلت عنه فى أول الأمر، أو كالهواء الحبيس في قدح مقلوب – حسب تشبيه أسفارهم نفسها – يظل منفصلا عن الهواء الخارجى وان كان منه ، حتى يتحطم القدح، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان.»(٢)

---

(١) أنظر الدكتور على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٦٣ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٥، ١٦٦ .

فالروح الالهية التى حلت فى الكائنات، واتحدت بها، وتعود بعد انحلال هذه الكائنات إلى مصدرها الأول الذى فاضت عنه، وهو الله. وقد قال (كرشنا)* عن نفسه : «أنا علة وجود الكائنات فى كانت وفيّ تحل، وعليّ جميع مافي الكون يتكل، وفيّ يتعلق، كاللؤلؤ المنظوم في خيط.[(1)]

وهكذا آل أمر البرهمية إلى كونها ديانة حلولية تقول بوحدة الوجود. وإذا علمنا أن الديانة البرهمية «ربما ترجع إلى ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد»[(2)] تبين لنا أن الهنود سابقون على غيرهم في القول بمبدأ الحلول والاتحاد.

أما عقيدة الحلول والاتحاد في البوذية، فمن المعروف أن بوذا كان صاحب مذهب أخلاقي، وأنه كان يدعو إلى التقشف والزهد، والعمل على التخلص من الألم ولم يكن يُعن بالحديث عن الاله، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه اثباتا أو انكارا، بل تحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية، وما وراء الطبيعة. وأن كان يتجه أحيانا إلى جانب الانكار أكثر من اتجاهه إلى جانب الاثبات، حيث سخر في بعض خطبه من الذين يقولون بوجود إله لا يرونه.[(3)]

«والايمان باله اتجاه نفسي قوى لايقل عن قوة الغرائز في البشر، واهمال

---

* كرشنا أحد ابطال الهندوس المقدسيين، ينسب إليه كتاب (كيتا) الذى يعتبر من الروافد التي قدمت للهند أروع التعاليم، وأرق الثقافات.
أنظر الدكتور أحمد شلبي الهندوكية ص ٨١، وكذلك منجد الأعلام ص ٥٨٦ .

(١) موريس وليمز / ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٢ نقلا عن كتاب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ٣ ص ٣٠١.

(٢) أنظر الشهرستاني في الملل والنحل جـ٢ ص ١٠ .

(٣) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص ١٠٩ وأنظر كذلك الدكتور أحمد شلبي أديان الهند الكبرى ص ١٦٨ .

هذا الاتجاه يحدث اضطرابا نفسيا عند صاحبه، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الاله، ويعملون على الوصول إليه، أو التعرف عليه. ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خاليا، فقد لعبت بهم الأهواء، فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد أن بوذا ليس انسان محضا، بل إن روح الله قد حلت به، وأن شخصيته ثنائية : لاهوتية، وناسوتية، وأن الشخصية اللاهوتية حلت بالناسوت.»(١) وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها المسيحيون فى السيد المسيح، كما شرحناها من قبل. فهم يعتقدون في بوذا «أنه ولد من العذراء مايا بدون مضاجعة رجل، وكان تجسده – كما يقولون – بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا ، ولما نزل بوذا من معقد الأرواح، ودخل فى جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي، وظهر بوذا منه كزهرة جميلة.

وقد ولد بوذا – كما يقولون – من العذراء مايا التى حلّ فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد ... وقد عرف الحكماء بوذا، وأدركوا أسرار لاهوته، ولم يمض يوم على ولادته حتى جاء الناس، ودعوه إله الآلهة.»(٢)

«بل ذهب بعض البوذيين إلى القول بأن بوذا كائن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور.»(٣)

ولايخفى مدى التشابه بين هذه العقيدة، وبين عقائد الفرق المسيحية فى المسيح – عليه السلام – وحلول اللاهوت فى ناسوته كما يزعمون. يقول الأستاذ

---

(١) الدكتور أحمد شلبي / أديان الهند الكبرى ص ١٦٨ بتصرف .

(٢) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص ٩٦/٩٧ بتصرف.
وأنظر أيضا الأستاذ احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد فى مختلف العصور جـ٣ ص ٣٠٤/٣٠٥ .

(٣) الدكتور أحمد شلبي / أديان الهند الكبرى ص ١٦٨ .

(أنور الجندى):

«إن الديانة المسيحية، والديانة البوذية، متشابهة فى بعض الوجوه، وخاصة الحلول والتجسد ...»(١).

وفيما يتعلق بالزرادشتية*،فإننا نجد أن الفرس كانوا يعتقدون بأن الله قد نفخ فى رحم أم زرادشت من روحه، فتقمصت روح الله جسد زرادشت، فنشأ جامعا بين اللاهوت والناسوت على نحو مايعتقده المسيحيون فى المسيح(٢).

وغاية القول فيما يتعلق بالتشابه بين المسيحية والديانات السابقة أن فى الديانات الوثنية كثيرا من طقوس المسيحية، وعباداتها، ... وأن للمسيح نفسه أشباها ونظائر كما تصوره النصرانية، بل الشبه ينتهى إلى أن يكون المسيح، وبعض من فى تلك الديانات الوثنية توائم ، بل نجد أكثر من ذلك، نجد مسيح النصرانية كرشنا أو بوذا، وكأنه أحدهما، أو هما فى جميع الصفات، والمزايا، وجوهر الشخصية، وسماتها، وكل خصائصها .

أنّ في هذه الديانات الوثنية أقانيم ثلاثة، وفيها المولود من عذراء الذي هو كلمة الله المتجّسدة، وهو ابن الله، وهو الربّ والله. فإذا جاز أن يكون المسيح

---

(١) المؤامرة على الإسلام ص ٥٣ .

* الزرادشتية هم أتباع الحكيم زرادشت زعيم ديني، فارسي ولد في منتصف القرن السابع قبل الميلاد بأذربيجان، وهاجر منها إلى بختر، شرق ايران في مرحلة شبابه، دعا الناس إلى عبادة النار، مات قتيلا في بيت من بيوت النار في بلخ حوالى سنة ٥٨٣ قبل الميلاد. أنظر بطرس البستاني دائرة المعارف جـ٩ ص ١٩٨/١٩٩ وأنظر كذلك محمد شفيق غربال وأنظر كذلك محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٢٢ .

(٢) أنظر الدكتور على عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٤٣/١٤٦. وكذلك ص ١٢٩/١٣١.

كذلك، فيجوز أن يكون من في تلك الديانات مسحاء، وابناء لله، وآلهة، بل لاجواز في الأمر، بل هم كذلك على التحقيق في تلك الديانات. والمسيح متأخر، وأولئك متقدّمون عنه ، فالشخصية التي ابتدعها المسيحيون، واطلقوا على صاحبها اسم يسوع المسيح، بعد أن أخذوه من اسم الرسول الكريم عيسى - عليه السلام - ليست الاّ شخصية كرشنا أو بوذا.»[1]

ولسنا نحن الذين ندعى هذا الادعاء، بل مفكرو المسيحية الكبار يقررون بالبراهين، والشواهد، والوقائع، أن المسيحية دين جمع ما تفرق في الديانات الوثنية، وأختفى منها التوحيد الحقّ. يقول ج. بيورى في كتابه (حرية الفكر) مانصه :

«وجاء الباحثون في علم الانسان، وفي الدين المقارن، من أمثال (تيلور) و (روبرتسوث) و (فريزر)، فأثبتوا أنّ الأفكار المبهمة الصوفية والمعتقدات، والطقوس التي كان يظن أنها من خصوصيات المسيحية التي جاء بها الوحي - أثبتوا أنّ كل أولئك له مثيل من الأفكار البدائية الفجة، في الأديان الفطرية الهمجية ...»[2]

وإذا جئنا إلى الفلسفة الافريقية، واستعرضنا أوجه التأثير الفلسفي في العقيدة المسيحية، ومظاهر هذا التأثير، ولاسيما فيما نحن بسبيله من بيان الأصول التاريخية لتلك العقيدة عند النصارى - إذا جئنا نستعرض هذا التأثير الفلسفي، ومظاهره، فإننا نجده واضحا إلى الحد الذى تعتبر معه العقيدة المسيحية المحرفة عند النصارى أحد منتجات التلاقي الفكرى بين المسيحية،

---

(١) الأستاذ احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد فى مختلف العصور جـ٣ ص ٢٨٨:٢٨٧ .

(٢) ص ١٣٣، ١٣٤ نقلا عن كتاب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد جـ٣ ص٢٨٨.

والفلسفة الأغريقية. يقول الأستاذ الدكتور (محمد يوسف موسى) – فيما ترجمه عن بعض المستشرقين، حول تأثر المسيحية بالفلسفة الأغريقية فى عقائدها – :

«إن التزاوج بين العقيدة اليهودية، والفلسفة الأغريقية لم ينتج فلسفة فقط، بل انتج معها دينا أيضا، أعني المسيحية التى تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان. وذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذى صبّت فيه الأفلاطونية الحديثة (يريد فلسفة أفلاطون التى كانت المعين الأصلي للفلسفة الأفلاطون الحديثة)، ولذا نجد بينهما (أى اللاهوت المسيحي والأفلاطونية الحديثة) مشابهات كثيرة ....»[1].

« ولقد اصطدم المسيحيون بالفلسفة اليونانية من أول أمرهم، فلما انطلق الحواريون يبشرون العالم بالوحي الجديد، اصطنعوا، واصطنع تلاميذهم اللغة اليونانية في الخطابة والكتابة.

وباليونانية كتب بولس رسالته إلى الرومانيين، ثم كتب بها فى روما رسائل عدة إلى الكنائس الشرقية، وبها كتب مرقس انجيله.

كذلك كانت اليونانية لغة المسيحيين فى الغرب، وفى شمال افريقيا. فقد كانت غالبيتهم من المهاجرين الشرقيين، واستمر الحال على ذلك زمناً طويلاً، فكانوا يعرفون اليونانية، فاستخدمتها الكنائس، ومنها كنيسة روما.»[2]

«كانت المذاهب الفلسفية الكبرى أربعة : الأفلاطونية، والرواقية،

---

(١) نقلا عن كتاب الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية ص ٣٧ ط ٣.
وأنظر كذلك الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٣٣/١٣٤ طه .

(٢) يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٣ .

والأرسطوطالية، والأبيقورية، مرتبة بحسب حظوتها لدى المفكرين المسيحيين لذلك العهد.

أما الأفلاطونية، فكانت المذهب المفضل عندهم، عرفوها بوقوفهم على بعض محاورات أفلاطون، وعن طريق مختلف الكتّاب، وبخاصة (فيلون الاسكندرى). كان يعجبهم قول أفلاطون بعالم معقول فوق العالم المحسوس، وباله هو الخير بالذات، وشمس العالم المعقول، وصانع العالم المحسوس بما فيه من خير وجمال وبنفس إنسانية روحية هابطة من العالم المعقول تائقة العودة إليه، وبتحقير الجسم، والحياة العاجلة، والاشادة بالزهد، والتطهير، والخلود، والاتحاد بالله. ومازالوا يعتبرون الأفلاطونية أسمى المذاهب اليونانية، وأقربها إلى المسيحية، حتى إذا ماجددتها مدرسة الاسكندرية فى القرن الثالث متأثرة باليهودية والمسيحية، استغلوا الأفلاطونية الجديدة أيضا.

وأما الرواقية : فكانت المذهب السائد فى روما أوائل المسيحية ... وقد أقتبس المفكرون المسيحيون من الرواقية، وخصوصا فى الخلقيات، وكان معظمهم قد تنصر بعد رواقية، أو رواقية أفلاطونية، وكانوا يعدون هاتين المدرستين لنزعتهما الروحية بمثابة المدخل إلى المسيحية.

وكان الحال على العكس بالنسبة للمدرستين الأخريين، فقد نفروا من الأرسطوطالية، وشاع عن أرسطو أنه ملحد. وكذلك أجمعوا على نبذ الابيقورية، وازدرائها، حيث كان لفظ (أبيقوري) عنوانا على الالحاد، والاستهتار.»[١]

---

(١) يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤/٢٥٥ باختصار.

«وقد كان أثر أفلوطين* متصلا عميقا، ترجمت بعض رسائله إلى اللاتينية فى القرن الرابع، فوجد فيها القديس (أوغسطين**) عونا كبيرا، ووضع أفلاطونية المسيحية.»(١)

«وكان قبل أفلوطين أستاذه أفلاطون، الذى كملت على يديه جوانب الفلسفة اليونانية، وبلغ فى آرائه اللاهوتية مبلغا. ومن عقيدته : تناسخ الأرواح. والروح موجودة قبل خلق البدن، وبعد خلقه تحل فيه الروح، فإذا كان صاحب البدن الذى تحل فيه الروح صالحا خيّرا، صعدت إلى الكوكب الذى هبطت منه، لتحيا به حياة سعيدة هانئه، مثل إله الكوكب. أماإذا غلبت عليه الشقوة، بأن تغلبت عليه المادة، وعجز عن مجاهدتها، فإن عقوبته أن تحل روحه فى جسد أحقر من جسده الانسانى، كأن تحلّ فى جسد امرأة. وهكذا تنتقل كلما فسد الجسد، من جسد حقير إلى أحقر تعانى الآلام، ولاترجع إلى سيرتها الأولى، إلاّ بعد أن ينتصر العقل على الشهوة، فتعود إلى رجل صالح؛ لتصعد إلى الكوكب ...

* أفلوطين (٢٠٥-٢٧٠م) مؤسس الأفلاطونية الجديدة، ألّم بفلسفة الهند وفارس، تأثرت فلسفته بالأفلاطونية، لكنها تميزت بنظرية الفيض التى تفسر الخلق بأن الواحد (الله) فاضت عنه المخلوقات وأن كمال الانسان يتحقق بتجرده من الجسد، واندماجه مع الواحد ... أنظر محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٢.

** (٣٥٣ - ٤٣٠) كان وثنياً، ثم اعتنق المسيحية، أشهر آباء الكنيسة الغربية، خطيب ولاهوتي، وفيلسوف، وكاتب. ويرى أن السبيل إلى الخير الأسمى هو الاتحاد بالله بواسطة التأمل .

مؤلفاته عديدة أهمها : «الاعترافات». وهو شبيه بالمنقذ من الضلال للغزالي. و «الثالوث» ويضم فيه خمس عشرة مقالة، يشرح فيها العقيدة المسيحية، ويفند ما أثير حولها من أباطيل بين الثقافة اليونانية، والعقيدة المسيحية. وكان لأوغسطين تأثير كبير فى اتجاه التربية والتعليم فى العالم المسيحى خلال العصور التالية. أنظر / محمد شفيق غربال/ الموسوعة العربية الميسرة ص٢٦٦، وأنظر كذلك منجد الاعلام ص ٩٦.

(١) يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩٧ .

والتناسخ فى رأي أفلاطون عقوبة، جزاء ما اقترف صاحبها من آثام، والاّ لصعدت إلى الملأ الأعلى.»[1]

وقد أكد السيد محمود أبو الفضل أن القول بألوهية المسيح اكتسبه المسيحيون من فلسفة مدرسة الاسكندرية، وفلسفة الأغريق فقال :

«إن الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون فى عهدهم الأول، دفعهم إلى الهجرة فرحل بعضهم إلى الأسكندرية فأخذوا عن الوثنية الرومانية ، ومن هذين المعينين جاءت المسيحية الحديثة.»[2]

ومن المسلم به أن المسيحية أحدث عهدا من الوثينة، فإذا كان ثمة انتحال، فالمتأخر زمنا هو المنتحل.[3]

٢ – البطلان العقلى للقول بالحلول :

والواقع أننا إذا عرضنا عقيدة الحلول والاتحاد على نحو ماذكرناها عن فرق النصارى – إذا عرضناها على العقل المجرد، فإنه يتضح له بطلانها، واستلزامها للمحالات العقلية من جميع الوجوه. فالقول بحلول اللاهوت فى الناسوت على سبيل الامتزاج، أو على سبيل المجاورة، أو على سبيل اتخاذه هيكلا ومحلاً له – هذا القول – بمختلف هذه التصورات باطل بداهة؛ لأن هذه التصورات لا تعقل إلاّ بين الجواهر والأجسام، والله سبحانه وتعالى منزه عن التجوهر والتجسد، وذلك أنه لو كان جوهراً أو جسدا للزم حدوثه، ونفي القدم عنه، ومن ثم لايكون إلها خالقا للأجسام.

---

(١) الأستاذ / احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد جـ١ ص ٤٠٦.

(٢) ص ١٣١ نقلا عن كتاب الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٥٠ ط ٥.

(٣) عصام الدين حفني ناصف / المسيح في مفهوم معاصر ص ٨٦.

وبناء على استحالة الجسمية فى حق الله تعالى، نحكم باستحالة حلوله فى غيره، على سبيل المجاورة، أو الأمتزاج؛ إذ لايتصور ذلك إلاّ بين الأجسام.(١)

إن العقيدة الصحيحة فى الله، تتمثل فى تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة خلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٢). والقول بالحلول يؤدى إلى تشبيه الخالق بالمخلوق فى الجسمية، والامتزاج، والتركيب، والاقتران بالغير والتحيز فيه إلى غير ذلك من خصائص الأجسام. وكل ذلك باطل فى حق الله تعالى عقلا؛ لمخالفته للتنزيه.

والعقيدة الصحيحة فى الله أيضا تقوم على أساس استغناء الله تعالى عما سواه. قال تعالى (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)(٣) فإليه تصمد المخلوقات فى حوائجها، أما هو فهو غني عما سواه، لايحتاج إليهم، لكن القول بالحلول يبطل هذه الصمدية، حيث يلزم منه احتياج الذات الالهية إلى ماتحل فيه، بل وتحديدها به، وتبعيتها له فى جميع خصائصه وأحواله. وذلك باطل فى حق الله تعالى. ومن ثَم كان مايؤدي إليه من القول بالحلول باطلا كذلك.

ويذكر لنا (سعد الدين التفتازاني) فى مقاصده وجوها ستة، يبيّن فيها بطلان القول بالحلول فى حق الله تعالى؛ لما يترتب عليه من المحالات الباطلة –

---

(١) أنظر القاضي عبد الجبار / المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ ٥ ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) سورة الشورى / آية ١١ .

(٣) سورة الأخلاص .

وهى محالات ذكرنا بعضها آنفا - ، ويبين لنا كيفية ترتّب هذه المحالات على القول بالحلول ، فيقول :

يمكن إبطال الحلول فى حق الله تعالى لوجوه:

الأول : إن الحالّ فى الشىء يفتقر إليه فى الجملة، سواء كان حلول جسم فى مكان، أو عرض في جوهر، أو صورة في مادة، كما رأى الحكماء، أو صفة في موصوف كصفات المجردات . والافتقار إلى الغير ينافى الوجوب.

فإن قيل : قد يكون حلول امتزاج، كالماء فى الورد، قلنا : ذلك من خواص الأجسام، ومفضي إلى الانقسام. وعائد إلى حلول الجسم فى المكان.

الثانى : إنه لو حلّ فى محل، فإمّا مع وجوب ذلك ، وحينئذ يفتقر إلى المحل، ويلزم إمكانه. وقدم المحل، بل وجوبه ؛ لأن مايفتقر إليه الواجب أولى بأن يكون واجبا. وأمّا مع جوازه، وحينئذ يكون غنيا عن المحل، والحالّ يجب افتقاره إلى المحل، فيلزم انقلاب الغني عن الشىء محتاجا إليه.

الثالث : إن الحلول فى الغير، إن لم يكن صفة كمال، وجب نفيه عن الواجب، وإن كان (أى صفة كمال) لزم كون الواجب مستكملا بالغير، وهو باطل وفاقا.

الرابع : إنه لو حلّ فى شىء، لزم تحيزه؛ لأن المعقول من الحلول باتفاق العقلاء هو حصول العرض فى الحيز، تبعا لحصول الجوهر. أما صفات الباري عز وجل، فالفلاسفة لا يقولون بها ، والمتكلمون لايقولون بكونها أعراضا، ولا بكونها حالّة فى الذات، بل قائمة بها ، بمعنى الاختصاص الناعت.

الخامس : إنه لو حلّ في جسم – على مايزعم الخصم – فإمّا في جميع أجزائه، فيلزم الانقسام، أو في جزء منه فيكون أصغر الأشياء. وكلاهما باطل بالضرورة والاعتراف.

السادس: لو حلّ في جسم – والأجسام متماثلة ؛ لتركبها من الجواهر الفردة، المتفقة الحقيقة على ماتبيّن – لجاز حلوله في أحقر الأجسام وأرذلها، فلا يحصل الجزم لعدم حلوله في مثل البعوضة. وهو باطل بلا نزاع.(١)

وقد ساق الآمدي في رده على الحلولية ثلاثة مسالك، كشف فيها عن تلك اللوازم الباطلة التى تلزم على مذهبهم.

أما المسلك الأول :فيلزم فيه على القول بحلول الخالق فى المخلوق كونه سبحانه وتعالى غير واجب الوجود، لاحتياجه – على ذلك القول – إلى محله وتقومه به، وكون المحل الحادث قديما، أو كون الاله القديم حادثا، وكذلك يلزم الدور من القول بحلول الله فى محل، لتوقف كل منهما على الآخر، وكل ذلك باطل، فما أدى إليه القول بالحلول باطل.

يقول الآمدى فى المسلك الأول : «إنه لو حلّت ذاته تعالى فى محل، فذلك المحل : إما أن يكون قديما أو حادثا. لا جائز أن يكون قديما، لحدوث كل موجود سوى الله، وان كان حادثا فقبل حدوثه إما أن يكون الرب تعالى محتاجا فى وجوده إلى حلوله فى ذلك المحل، أو لايكون محتاجا إليه. فإن كان الأول : فهو محال لثلاثة أوجه :–

الأول : إنه يلزم منه خروج الرب تعالى عن كونه واجب الوجود وهو محال.

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص ٥٠/٥١.

الثانى: إنه يلزم منه إما قدم المحل ضرورة احتياج القديم إليه، أو حدوث القديم، وكل واحد من الأمرين محال.

الثالث: إنه يلزم منه ضرورة توقف وجود المحل على وجود الباري تعالى، لكونه مصدر الكائنات، وتوقف وجود الرب تعالى على حلوله فى ذلك المحل، وهو ممتنع.

فإما أن يكون الرب تعالى قبل حلوله فى ذلك المحل محتاجا إليه أو لايكون محتاجا إليه - فإن كان محتاجا إليه خرج عن كونه واجب الوجود، وهو محال وان لم يكن محتاجا إليه ففي حالة حلوله فيه : إما أن يكون قائما بنفسه أو بذلك المحل، فإن كان قائما بنفسه والمحل قائم بنفسه، فليس القول بحلول أحدهما فى الآخر بأولى من العكس، بل الواجب أن كل واحد قائم بنفسه وليس محلاً للآخر، ولا حالاً فيه. وان كان قائما بذلك المحل لا بنفسه، فليس واجب الوجود لذاته ضرورة تقّومه بغيره وهو محال.[1]

وأما المسلك الثانى: فيلزم منه على القول بحلول الله فى محل : إما قبول الذات الالهية للانقسام على سبيل التبعية - إذا كان المحل قابلا له - ، واحتياجها إلى ما تتركب إليه من أجزاء، وذلك من لوازم الجسمية، ويترتب على ذلك كون الله تعالى غير واجب الوجود، لجسميتة وتبعيته لمحله واحتياجه إلى أجزائه. أما إذا لم يقبل المحل الانقسام فكان دقيقا كالجوهر الفرد، فإن ماحلّ فيه يكون كذلك، وكل ذلك باطل فى حق الله تعالى. يقول الآمدى فى المسلك الثانى:

---

(١) أبكار الأفكار جـ٢ ص ٥٣٩. نقلا عن د. حسن جابر موسى/ تنزيه الله فى الفكر الاسلامى ص ٢٩٩/٢٩٨ (رسالة دكتوراه).

«إنه لو حلّت ذاته تعالى في محل فذلك المحل : إما أن يكون قابلا للإنقسام أو لا يكون قابلا للإنقسام، فإن كان قابلا للإنقسام : فما حلّ فيه وطابقه يجب أن يكون أيضا قابلا للإنقسام، فتكون ذات الربّ تعالى قابلة للإنقسام، ومركبة من أجزاء، وكل واحد من أجزائها غيرها، إذ المفهوم من الجملة يزيد على المفهوم من كل واحد من الأفراد، فيكون غير كلّ واحد من الأفراد وهو مفتقر إلى كلّ واحد من الأفراد، وما كان مفتقرا في وجوده إلى غيره فلا يكون واجب الوجود لذاته، وان لم يكن المحل قابلا للإنقسام، فيكون من الصغر والحقارة، بمنزلة الجوهر الفرد، فما حلّ فيه يكون مثله، والربّ يتعالى، ويتقدّس عن ذلك.»(١)

وأما المسلك الثالث : فيردّ به الآمدى على القائلين بحلول الله تعالى في بعض الأجسام الخاصة دون البعض الآخر، ففى هذا المسلك يرى الآمدى أنّ قابلية المحل لحلول الذات الالهية فيه ، ان كان مرجعها إلى الجسمية، فالجسمية أمر مشترك بين جميع الأجسام، ومن ثمّ يلزم القول بالحلول العام لقابلية جميع الأجسام لذلك ، أمّا ان كان مرجع القابلية إلى الخصائص التى يتميّز بها المحل القابل، فإن رجعت تلك الخصائص إلى ذات الجسم عاد الأمر إلى الجسمية، وهو أمر مشترك بين جميع الأجسام، أمّا ان رجعت إلى مخصص خارجي وكان فاعلا لها بالطبع، فالأمر فيه كسابقه، وان كان فاعلا باختيار، جاز في حقّه أن يخصص الأجسام الأخرى، بخصائص تجعلها قابلة للحلول فيها، فيعود الأمر إلى قابلية جميع الأجسام للحلول، وهو خلاف مذهب هؤلاء. يقول الآمدى في مسلك الثالث :

---

(١) أبكار الأفكار جـ٢ ص ٥٣٩. نقلا عن الدكتور حسين جابر موسى/ تنزيه الله في الفكر الاسلامى ص ٢٩٩/٣٠٠ (رسالة دكتوراه).

«وهو خصيص بامتناع حلول ذات الباري تعالى عز وجل في بعض الأجسام، فلابدّ وأن تكون ذات ذلك الجسم قابلة لحلول ذات البارى تعالى فيها، وأن تكون ذات البارى تعالى قابلة للحلول في ذلك الجسم، والاّ لكان القول بجواز الحلول مع امتناع القبول من الطرفين، أو من أحدهما ممتنعا، وعند ذلك فامّا أن يكون قبول ذلك الجسم لحلول ذات الله تعالى فيه، وقبول ذات الله تعالى لحلولهما فيه، لعموم كونه جسما، أو لما به تعيّنه وتخصّصه من الصفات الموجبة لتميّزه عن غيره من الأجسام، فإن كان الأول، فيلزم منه جواز حلول الربّ تعالى بكل جسم من الأجسام، حتى أجسام الجمادات والحشرات والمستقذرات من النجاسات. والربّ تعالى يتقدّس عن ذلك.

وان كان الثاني، فما اختصّ به ذلك الجسم من الصفات أمّا أن يكون ذلك لذاته، أو لمخصص خارج، فإن كان لذاته، فالأجسام مشتركة في معنى الجسمية، فما اختص به جاز أن يختص به غيره، فيكون أيضا قابلا لحلول ذات البارى تعالى فيه. وان كان لمخصص من خارج، فإمّا أن يكون مخصصا بالطبع أو بالاختيار.

فإن كان مخصصا بالطبع فهو محال؛ لتساوى الاجسام بالنسبة إليه، وأن كان مخصصا بالاختيار، فما جاز على الفاعل المختار تخصيص ذلك الجسم بما تخصص به، جاز أن يخصص به ماهو مماثل له في الجسمية، وعند ذلك: فيجوز على ذات الربّ تعالى الحلول بالنسبة إلى كل جسم من الأجسام، ويمتنع الاختصاص بالبعض دون البعض. وعلى هذا فلا يمتنع أن يكون الرب تعالى في بدن كل ما تراه من الناس، بل فيما نشاهده من أبدان الحيوانات، والعجماوات؛ لجواز أن يكون متصفا بما به القبولية، وعدم المعرفة بذلك غير مانع من الجواز. وأن يكون فى نفس الأمر كذلك، فانّه لايلزم من انتفاء الدليل

انتفاء المدلول في نفسه».(١)

إن هذه الوجوه، التى يبطل بها المتكلمون القول بالحلول مطلقا، هى في نفس الوقت إبطال لعقيدة كل قائل بها، سواء من النصارى أو من غيرهم وهى وجوه عقلية صالحة للرد على كل معتقد لهذه العقيدة الباطلة.

وإلى جانب هذه الوجوه العقلية العامة توجد وجوه خاصة، تتناول بالإبطال تصور النصارى لحلول اللاهوت فى الناسوت، يقول الامام القرافي:

«إن القول بحلول الكلمة – التى هى المسيح – فى مريم، وتجسد المسيح عليه السلام من الروح، يقتضى انتقال المعانى من محالّها إلى محالّ آخر، وانتقالها محال؛ لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات، فيلزم أن تكون المعانى أجساما، والصفات موصوفات، وذلك قلب للحقائق. وهو محال عند جميع العقلاء».(٢)

ويقول الامام الرازى : «إن النصارى وافقونا على أن ذاته سبحانه وتعالى لم تحل فى ناسوت عيسى – عليه السلام –، بل قالوا : الكلمة حلت فيه، والمراد من الكلمة : العلم. فنقول :

العلم لما حلّ فى عيسى – عليه السلام – ففى تلك الحالة : إما أن يقال : أنه بقي فى ذات الله تعالى، أو مابقي فيها، فإن كان الأول، لزم حصول الصفة الواحدة فى محلين، وذلك غير معقول. ولأنه لوجاز أن يقال : العلم الحاصل فى

---

(١) أبكار الأفكار جـ٢ ص ٥٤٢. نقلا عن الدكتور حسين جابر موسى/ تنزيه الله فى الفكر الاسلامى ص ٣٠٠/٣٠٢ (رسالة دكتوراه).

(٢) الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة بهامش كتاب / عبد الرحمن بك باجه جي زاده الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٦٥ .

ذات عيسى - عليه السلام - هو العلم الحاصل فى ذات الله تعالى بعينه، فلم لايجوز فى حق كل واحد ذلك، حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد، هو العلم الحاصل لذات الله تعالى. وان كان الثانى، لزم أن يقال : إن الله تعالى لم يبق عالما بعد حلول علمه فى عيسى - عليه السلام - وذلك مما لا يقوله عاقل».(1)

وهكذا تتضح بجلاء تلك المحالات التى تترتب على تصور النصارى لكيفية حلول اللاهوت فى الناسوت، أو حتى مجرد حلول الكلمة أو العلم فى ناسوت المسيح، وهى محالات عقلية ودينية على سواء.

٣ - البطلان العقلى للقول بالاتحاد :

وكما كان القول بالحلول باطلا، فكذلك القول بالاتحاد، وقد سبق أن بينّا فى أول هذا الفصل أن الاتحاد عقيدة ينتهى إليها بعض القائلين بالحلول، فإذا بطل القول بالحلول، فإن ذلك يؤدى إلى بطلان القول بالاتحاد من باب أولى، لما في هذا القول من انقلاب للحقائق، حيث يصبح الواجب ممكنا، والممكن واجبا، إذا اتحدا وصارا شيئا واحداً. يقول سعد الدين التفتازاني فى المقاصد :

«إن القول بالاتحاد باطل، لأنه يلزم منه أن يكون الواجب ممكنا والممكن واجبا، وذلك محال على الله تعالى بالضرورة»(2)

وفى الواقع : أن تصور الاتحاد بين ذاتين أيا كانتا، تصور محال فى حقيقة الأمر فليس هناك اتحاد حقيقى بين أثنين، فضلا عما يترتب على القول بالاتحاد من محالات على أى صورة تصورنا هذا الاتحاد.

---

(١) التفسير الكبير المجلد ١١ جـ٢١ ص ٢١٣.

(٢) شرح المقاصد : الجزء الثانى ص ٥٢ .

يقول أستاذنا الشيخ الجليل / الدكتور محمد يوسف الشيخ - رحمه الله تعالى - في بيان هذه الحقيقة والاستدلال عليها:

«لو اتحد شيء بآخر فإن الاحتمالات العقلية التي لا مفر من وجودها بعد الاتحاد كما يلي :-

أولا : أن يفنى الشيئان المتحدان، ويزولا، فلا اتحاد حينئذ .

ثانيا : أن يبقى الشيئان المتحدان بعد الاتحاد موجودين بذاتيهما، فلا اتحاد أيضا .

ثالثا : أن يزول واحد من الشيئين ويبقى واحد، وهذا لايقال عنه اتحاد .

رابعا : أن يزول كل واحد منهما، ويظهر شيء جديد، فإن كان هذا الشيء الجديد غير الشيئين السابقين فلا اتحاد، بل زال شيئان من الوجود، ووجد شيء جديد واحد، وان كان هو عين الشيئين السابقين فلا اتحاد أيضا، لبقاء الشيئين بعينهما، وان اجتمعا في شيء واحد، فيقال اجتمعا ولا يقال اتحدا .

فاتحاد الشيء بشيء مطلقا باطل، سواء كان الشيئان ممكنين أو واجبين أو ممكنا وواجبا».(1)

بل يمتاز بطلان اتحاد الممكن بالواجب بدليل آخر أقوى، هو أنه «إذا اتحد الواجب بالممكن وقد بقي الواجب على وجوبه والممكن على إمكانه، اجتمع الوجوب والامكان في شيء واحد، وهو محال عقلا، وان زال وجوب الواجب

---

(1) نقلا عن د. حسين جابر موسى/ تنزيه الله تعالى في الفكر الاسلامي ص ٣١١ (رسالة دكتوراه).

وامكان الممكن، صار الواجب ممكنا بالاتحاد، والممكن واجبا، وهو محال أيضا».(١)

وكما قلنا سابقا : إن القول بالحلول يتنافى مع العقيدة الصحيحة فى الله ومايجب له من التنزيه عن مشابهة المخلوقين واستغنائه عنهم، فإن القول بالاتحاد هو الآخر يتنافى مع تلك العقيدة لما فيه من مخالفة لتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، واستغنائه عنهم.

ذلك أن الاتحاد بين شيئين، بحيث يكونان شيئا واحدا يقتضى الامتزاج والتحول فى كل منهما ويقتضى أيضا استكمال كل منهما بالآخر بدليل ضرورة الاتحاد بينهما. وهذه اللوازم - كما قلنا - باطلة فى حق الله؛ لمنافتها للتنزيه، والكمال الالهي.

ويورد ابن كمونة اعتراضا - على لسان مخالفى النصارى - فى بيان عدم معقولية الاتحاد، ومايترتب على تصور النصارى للاتحاد بين اللاهوت والناسوت من محالات عقلية، فيقول :

«لمخالفي النصارى أن يقولوا : أما الاتحاد فهو غير معقول، لأن الشيئين إذا اتحدا فإما أن يكونا موجودين أو معدومين، أو أحدهما موجودا والآخر معدوما. فإن كانا موجودين فلم يتحدا، لأنهما أثنان لا واحد، وان كانا معدومين فلا يصيران واحداً، بل عدما، وحدث ثالث، وان عدم أحدهما وبقي الآخر فظاهر أن ذلك ليس باتحاد، فإن فسّر الاتحاد بمعنى الممازحة والمخالطة والتركيب، فإن كان الأب والأبن ذاتين غيرين، بحيث يتحد الأبن وحده بالمسيح

---

(١) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية / د. أحمد محمد بناني. ص ١١٥ (رسالة ماجستير) عام ١٣٩٨ هـ .

دون الأب بالمعنى المذكور، فهو يخالف اعتقاد التوحيد، وان كان الأبن صفة، فلا يعقل فى الذات العالمة أن يصير كونها عالمة ممازجة لجسم من الأجسام دون الذات كما لا يعقل أن يكون زيد ببغداد وكونه عالما بخراسان. ثم علم كل شيء هو قائم به، فيلزم أن يكون علم الله تعالى موجوداً فيه وفى المسيح دفعة واحدة، فللصفة الواحدة فى الحالة الواحدة موصوفان وهو محال. فإن لم يكن (الله) تعالى عالما حال الاتحاد، كان كونه عالما حكما جائزا فيفتقر إلى مخصص يخصصه، وذلك يخرجه عن الألهية.

فالقول بالامتزاج باطل، لأنه لا يعقل إلاّ فى الأجسام، والكلمة عندهم ليست بجسم ، فإن قالوا الممازجة بالتركيب الارتباطي، كالانسان الواحد من نفس وبدن، فارتباط أحد الشيئين بالآخر لا يعقل، إلاّ باحتياج أحدهما إلى صاحبه، إما مع العكس، كاحتياج النفس إلى البدن باعتبار، واحتياج البدن إليها باعتبار آخر، وأما من غير عكس كاحتياج صورة السرير إلى الخشب، وعدم احتياج الخشب إليها، لكن فيما نحن فيه يمتنع احتياج الجزء اللاهوتي إلى غيره بوجه من الوجوه. ولو كان الاتحاد لاحتياج الجزء الناسوتي إلى اللاهوتى من غير انعكاس لكان مثل هذا الاتحاد حاصلا مع كل المخلوقات، لأنها كلها محتاجة فى وجودها وسائر كمالاتها إلى الله تعالى.

وكون الاتحاد كاتحاد نقش الفص بالشمع، إن عُني به أن ذات المسيح صارت مثلا للبارىء فهو محال، لاستحالة أن يصير الجسم المحدَث منزها قديما . وان عُني به أنه حصلت له خاصية لأجلها قدر على مالم يقدر عليه غيره. فليس يقتضي ذلك كونه إلها، والاّ لكان كل من ظهر على يده معجزات من الأنبياء إلها، لاسيما مثل معجزات موسى، فإنها أعظم بكثير مما يحكى عن

معجزات المسيح ...»[1]

وغاية ما ننتهي إليه فى هذا المقام بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى - كما هى باطلة عند غيرهم - سواء في ميزان العقل أو فى ميزان الدين، وأن موقف ابن تيمية من النصارى فى هذه العقيدة، وهو موقف الرد والإبطال موقف صحيح.

٤- التأويل الصحيح لأقوال المسيح في علاقته بالله :

لقد أورد ابن تيمية ما استشهد به النصارى من نصوص الكتاب المقدس على عقيدتهم فى الحلول والاتحاد، وإبطال استشهاداتهم بهذه النصوص - كما رأينا - . ونلاحظ أن معظم ما أورده كان من أسفار التوراة.

والواقع أن للنصارى على عقيدتهم فى الحلول والاتحاد استشهادات أخرى من الأناجيل، لابدّ من بيان المعنى المراد منها، على فرض صحة ورودها على لسان المسيح - عليه السلام - . وسوف يتبيّن لنا - إذا فهمناها على وجهها الصحيح - أنه لا دلالة فيها على مايزعمونه من حلول اللاهوت فى ناسوت المسيح، واتحاده به. وأن قصارى ماتدل عليه إنما هو تلك العلاقة الخاصة التى تكون بين الله عز وجل، وبين أحد أنبيائه، من اختصاصه اياه بمحبته، وتأييده، واعتبار طاعته من طاعته، وامداده اياه بروح منه ... إلى غير ذلك من المعانى اللازمة لانتساب المسيح إلى الله، باعتباره كلمته التى ألقاها إلى مريم، وروح منه.

فمن هذه الشواهد التى تدل على اتحاد المسيح بالله - فى زعمهم ماجاء

---

(١) تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث. ص ٥٤/٥٥ .

فى انجيل يوحنا : «أنا والأب واحد»(١)

ويبيّن صاحب (إظهار الحق) التأويل الصحيح لهذه العبارة، بما يبطل دلالتها على الاتحاد بين الله والمسيح، وإلاّ للزم القول بالاتحاد بين الله والحواريين، وهو أمر باطل – يبيّن ذلك فيقول :

«إن مثل هذا وقع فى حق الحوراايين ، كما جاء فى انجيل (يوحنا) : «ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الأب فىّ وأنا فيك، وليكونوا هم أيضا واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ، ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد، أنا فيهم ، وأنت فيّ ليكونوامكملين إلى واحد».(٢)

فقوله : «ليكون الجميع واحداً»، وقوله: «ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد»، وقوله : «ليكونوا مكملين إلى واحد» تدل على اتحادهم بالله.

وسوّى في القول الثانى «ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» بين اتحاده بالله ، وبين اتحاده فيما بينهم، وظاهر أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقيا، فكذا اتحاده بالله ، بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه، والعمل بالأعمال الصالحة، وفى نفس هذا الاتحاد : المسيح، والحواريون، وجميع أهل الإيمان متساوية الأقدام، وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف. فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره.

والدليل على كون الاتحاد عبارة عن هذا المعنى قول (يوحنا) فى الباب الأول من رسالته الأولى، وهو هكذا: «وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه،

---

(١) ١٠ : ٣٠ .

(٢) ١٧ : ٢١-٢٣ .

ونخبركم به أن الله نور، وليس فيه ظلمة ألبته. إن قلنا إن لنا شركة معه، وسلكنا فى الظلمة نكذب، ولسنا نعمل الحق، ولكن إن سلكنا فى النور كما هو فى النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض».(١)

ويستشهد النصارى على الوحدة - المزعومة - بين الله والمسيح، بما جاء فى أنجيل (يوحنا) كذلك من قول المسيح : «الذى رآنى فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت أرنا الأب؟ ألست تؤمن أني أنا فى الأب والأب فيّ، الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الأب الحالّ فىّ هو يعمل الأعمال».(٢) فيرون أن هذه النصوص دالة على اتحاد المسيح بالله.

ويبطل (صاحب اظهار الحق) أيضا دلالة هذا الكلام على مايزعمه النصارى من حلول الله فى المسيح، واتحاده به، وذلك من وجهين :

الوجه الأول: إن رؤية الله فى الدنيا ممتنعه عندهم، فيؤولونها بالمعرفة. ومعرفة المسيح باعتبار أن الجسمية أيضا لاتفيد الاتحاد. فيقولون : إن المراد بالمعرفة باعتبار الألوهية ...

فبعد هذه التأويلات يقولون : إنه لما كان إنسانا كاملا، والها كاملا، صحت أقواله الثلاثة بالاعتبار الثانى (الألوهية) وهو باطل؛ لأن التأويل يجب الاّ يخالف البراهين والنصوص .

الوجه الثانى : إن الآية العشرين من الباب الرابع عشر من انجيل (يوحنا) هكذا : «في ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبي، وأنتم فيّ وأنا فيكم.».

---

(١) ١ : ٥-٧ أنظر الشيخ رحمة الله الهندي جـ٢ ص ٤٩/٥٠ .

(٢) ١٤ : ٩، ١٠ .

وقد عرفت ان المسيح قال فى حق الحواريين : «أنا فيهم وأنت فيّ». وبديهى أن حالّ الحالّ، حالّ فى محل الحالّ.

والآية التاسعة عشرة من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا : «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم».

والآية السادسة عشرة من الباب السادس من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس هكذا : «وأيّة موافقة لهيكل الله مع الأوثان، فانكم أنتم هيكل الله الحي ...» .

والآية السادسة من الباب الرابع من الرسالة إلى أهل أفسس هكذا : «اله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفى كلكم».

فلو كان الحلول مشعرا بالاتحاد ، ومثبتا للألوهية لزم أن يكون الحواريين، بل جميع أهل كورنثوس، وكذا جميع أهل أفسس آلهة. بل الحق أن الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى، كأن يكون رسوله، أو عبده، أو تلميذه، أو قريبا من أقربائه. فالأمر المنسوب إلى الأدنى من التعظيم والتحقير، والمحبة، وغيرها ينسب إلى الأعلى مجازاً؛ ولذلك قال المسيح – عليه السلام – فى حق الحواريين : «من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلنى».[1] ومثل هذا وقع فى القرآن المجيد أيضا : { أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم ...}[2] الآية .

فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله. وأما حلول الغير فى الله، أو حلول الله فيه ، وكذا حلول الغير فى المسيح، أو حلول المسيح فيه، فعبارة عن

---

(١) انجيل متّى ١٠ : ٤٠.

(٢) سورة الفتح / آية ١٠ .

إطاعة أمرهما. وقد جاء فى الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : «من يحفظ وصاياه يثبت فيه، وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذى أعطانا».[1]

لقد كان على النصارى إذا كانوا حقا يأخذون عقيدتهم من نصوص كتابهم المقدس الاّ يأخذوا ببعض هذه النصوص، ويهملوا البعض الآخر، فالكتاب المقدس يتضمن نصوصا تنزيهية، تنزه الله عن مشابهة المخلوقين، فكان ينبغى أن تجعل هذه النصوص هى الأساس الذى تفهم على ضوئه النصوص الأخرى، الموهمة للحلول والاتحاد، وذلك على نحو ما جعلنا قوله تعالى : { ليس كمثله شيء } أساسا تردّ إليه جميع الآيات ، التى قد يفهم البعض منها مخالفتها للتنزيه.

ومن النصوص التنزيهية الواردة فى الكتاب المقدس، ماجاء فى سفر التثنية من أسفار التوراة : «فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه، ولم تروا الشبه ألبته، ... فاحفظوا أنفسكم بحرص، فإنكم لم تروا شبها يوم كلمكم الرب فى حوريب من جوف النار ».[2]

وجاء فى انجيل (يوحنا) أيضا مايدل على التنزيه : «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الأب هو الذى خبر»[3]، بل قال مثل ذلك أستاذه بولس فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس، فإنه وصاه بحفظ الوصية إلى ظهور المسيح ، وقال عن هذا الظهور: « الذى سيبينه فى أوقاته، المبارك العزيز الوحيد، ملك الملوك، ورب الأرباب، الذى له وحده عدم الموت، ساكنا فى نور ،

---

(١) فقرة / ٢٤ أنظر الشيخ رحمة الله الهندي جـ٢ ص ٥٣/٥١ .

(٢) ٤ : ١٢، ١٥ .

(٣) ١ : ١٨ .

لايدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس، ولايقدر أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الأبدية».[1]

على هدى هذه النصوص التى تتضمن المخالفة بين الله ، وبين غيره، وعدم رؤيته بناء على ذلك كان ينبغى أن تفهم النصوص الأخرى، التى تتضمن ذكر الوحدة بين الله والمسيح، على نحو ماشرحها صاحب إظهار الحق، وعلى نحو مانقلنا عن ابن تيمية، بحيث يظهر المعنى المراد من هذه النصوص، بما يتفق مع المعانى التنزيهية التى تدل عليها النصوص التنزيهية فى الكتاب المقدس.

وبهذا يتضح بطلان استشهادات النصارى على عقيدة الحلول والاتحاد سواء من أسفار التوراة، أو الاناجيل، أو الرسائل. كما اتضح من قبل بطلانها بالأدلة العقلية الصحيحة.

---

(١) ٦ : ١٥، ١٦.

الفصل الثاني

في

عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته

وإبطال ابن تيمية لها

أ – اعتقاد النصارى ببنوة المسيح لله تعالى – وألوهيته ، وأدلتهم على ذلك :

١ – حقيقة المسيح في النصرانية الصحيحة.

٢ – بدء انحراف المسيحية في حقيقة المسيح

٣ – عيس عليه السلام بين القائلين ببشريته، والقائلين ببنوته لله – تعالى وألوهيته :

أولا : القائلون ببشرية عيسى –عليه السلام .

ثانيا : القائلون ببنوة عيسى – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته.

٤ – أدلة القائلين ببنوة المسيح – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته من الكتاب المقدس وبطلانها.

ب – إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى وإلوهيته :

١ – ابطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته من الكتاب المقدس .

أولا : ابطال أدلتهم من التوراة.

ثانيا : ابطال أدلتهم من الإنجيل.

٢ – إبطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته بالقرآن الكريم.

٣ – ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته لمخالفتها للعقيدة الصحيحة في الله.

٤ – إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته؛ لاستلزامها المحالات العقلية.

٥ – إبطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على بنوة المسيح – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته، بما يزعمونه من تميزه على غيره في كيفية وجوده ومعجزاته.

ج – التعقيب :

١ – الجذور التاريخية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح – عليه السلام – لله تعالى وألوهيته.

٢ – بشرية المسيح – عليه السلام – في الانجيل، ودلالتها على بطلان بنوته لله تعالى وألوهيته.

٣ – بطلان تأويل النصارى للخصائص البشرية عند المسيح عليه السلام.

٤ – التأويل الصحيح لما وصف به المسيح – عليه السلام – في الأناجيل من صفات الألوهية والربوبية والبنوة لله تعالى .

٥ – دلالة القرآن الكريم على بشرية المسيح – عليه السلام – وإبطاله لبنوته لله تعالى وألوهيته.

الفصل الثاني

عقيدة النصرانية ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته وإبطال ابن تيمية لها

أ - اعتقاد النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته وأدلتهم على ذلك :

١ - حقيقة المسيح في النصرانية الصحيحة :

« المسيحية في حقيقتها الأصلية - كما ينبئنا القرآن - ديانة توحيد، تدعو الى عبادة الله الواحد، الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وتقرر أن المسيح انسان من البشر، أرسله الله تعالى كما أرسل الرسل من قبله، وأن الارهاصات التي سبقت بعثته، والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته، هي من نوع الارهاصات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها رسله، وأن خلقه بدون أب ليس إلا إرهاصا من هذه الارهاصات (وليس في شئ من ذلك ما يرفعه عن مقام البشرية)، وأن أمه صديقة من البشر، قد كرّمها الله، فنفخ فيها من روحه، فحملت بالمسيح»[١].

قال تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون }[٢].

---

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة ص ٩٦ ، ٩٧.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٢٥.

والمسيح طوال سني دعوته لم يدّعِ يومًا ما أنه اله، أو ابن اله.

وقد سجل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى – حكاية لما سيقوله عيسى عن ذلك يوم القيامة :

(وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علّم الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد }[1].

وقد حرص عيسى – عليه السلام – في أحاديثه مع الناس أن يدعو نفسه بلقب (ابن الإنسان) ويتكرر هذا الوصف لنفسه على لسانه في كافة الأناجيل، فهو أحد أبناء آدم، وله نفس طبيعتهم، ولد من أنثى كما يولدون، وعاش كما يعيشون[2].

يقول الكاتب (أميل لودفيج) – مؤكدا ذلك – في كتابه (ابن الإنسان) :

« لم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي، وليس بقليل أن يرى نفسه في بعض الأحيان دون النبي، ولم يحدث أبدا من يسوع ما يخيّل به إلى السامع أن له خواطر وآمالاً فوق خواطر البشر وآمالهم. وماكان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك ... فإذا ما قال الناس عنه : إنه أحد الأنبياء راقه ذلك، موجها أفكارهم الى ملكوت السموات.

---

(٢) سورة المائدة / آية ١١٦ ، ١١٧.

(٣) انظر محمد مجدي مرجان / المسيح انسان أم إله ص ٢٢٥ / ٢٢٦.

والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه، بقوله عن نفسه إنه (ابن الإنسان) ... »[١].

ويتكرر لفظ (ابن الإنسان) في الأناجيل في مواضع كثيرة، منها:

ما جاء في انجيل (متّى) :

« وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السمـاء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير»[٢].

وجاء فيه أيضا على لسان المسيح :

« ان ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلّم ابن الإنسان، كان خيرا لذلك لو لم يولد»[٣].

ويروى فيه كذلك :

« ثم جاء الى تلاميذه، وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا، هو ذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة»[٤].

---

(١) ترجمة عادل زعيتر ص ٩٥ نقلاً عن / محمد مجدي مرجان / المسيح انسان أم إله ص ٢٢٦.
(٢) ٢٤ : ٣٠.
(٣) ٢٠ : ٢٤.
(٤) ٢٠ : ٤٥.

... وغيرها كثير[١].

ومنها ما جاء في انجيل (مرقس) :

« ان ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدمُ »[٢].

وما جاء في انجيل (لوقا) :

« ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم ان ابن الإنسان سوف يسلّم إلى أيدي الناس»[٣].

وجاء فيه كذلك على أيدى المسيح :

«... لأن ابن الانسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص...»[٤].

ويروي (لوقا) أيضا على لسان المسيح قوله :

«للثعالب أوجرة*، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه»[٥].

ومنها ما جاء في انجيل (يوحنا) على لسان المسيح – عليه السلام – :

---

(١) انجيل (متّى) نفسه ٨ : ٢٠، ٢٠ : ١٨ ، ١١ : ١٩ ، ١٢ : ٨ ، ٢٠ : ٢٨ ، ٢٦ : ٤٥.

(٢) ١٠ : ٤٥ . وانظر كذلك في الانجيل نفسه ٢ : ٢٨ ، ٩ : ٩ ، ١٤ : ٤١.

(٣) ٩ : ٤٤.

(٤) ٩ : ٥٦.

* جميع أوجار . وهو ما كان كالكهف في الجبل. انظر المنجد في اللغة والأعلام ص ٨٨٨.

(٥) ٩ : ٥٨ . وانظر كذلك في الموضوع نفسه الاصحاحات التالية من انجيل (لوقا) أيضا : ٧ : ٣٤ ، ٢٢ – ٢٦ ، ١٢ : ١٠ ، ١٧ : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ١٨ : ٨ ، ١٩ : ١٠ ، ٢١ : ٢٧ ، ٢٢ : ٢٢ .

«الحق الحق أقول لكم، من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون، وينزلون على ابن الانسان»[1].

وجاء فيه أيضا :

«وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان»[2].

ويوجد في الأناجيل الأربعة ثمانية وسبعون موضعا يستخدم فيها يسوع المسيح عبارة «ابن الانسان» تعبيرا عن نفسه، وهي تدل على الانسانية الخالصة[3].

بل انه – عليه السلام – لم يصف نفسه بأنه صالح فضلا عن أن يكون إلهًا، وأنكر على من وصفه بذلك قائلا له :

« لا تدعوني صالحا ، فليس أحد صالحا إلا واحد ، وهو الله »[4].

فبشرية المسيح حقيقة ثابتة بالقرآن ، شأنه في ذلك شأن بقية المرسلين، بل وثابتة فيما روته الأناجيل الأربعة على لسان المسيح من كلمات رغم ما سنراه من انحراف تلك الأناجيل في حقيقته، وتقريرها لبنوته لله تعالى وألوهيته.

---

(١) ١ : ٥١.

(٢) ٣ : ١٤ . وانظر كذلك الاصحاحات الآتية من الانجيل نفسه :
٣ : ١٣ ، ٣١ ، ٥ : ٢٧ ، ٦ : ٢٧ ، ٥ ، ١٢ : ٢٣ ، ٣٤ .

(٣) انظر / قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٤ (لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين).

(٤) انجيل مرقس ١٠ : ١٧ ، ١٨ .

٢ - انحراف المسيحيين في حقيقة المسيح :

هذه هي العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسى - عليه السلام - ، ولكن مظاهر الشرك والإنحراف أخذت تتسرب الى معتقدات بعض المسيحيين، ولم يكن الإنحراف عن مسار التوحيد الصحيح بعد المسيح، وإنما بدأ الإنحراف عن التوحيد عند بعض الناس حتى في حياة المسيح نفسه، ثم استمرّ هذا الإنحراف فيما بعد، في معتقدات الفرق المسيحية، متأثراً أحيانا بالفلسفات القديمة، وأحياناً برواسب ديانات، ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية، والتي احتكّ بأهلها المسيحيون، ثم ببولس اليهودي، وتأثيره الواضح في الديانة المسيحية عقيدة وشريعة، كما سنشرح ذلك فيما بعد.

وبهذا انقسم المسيحيون الى طائفتين :

« طائفة جنحت عقائدها الى الشرك بالله ، بإثبات بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته.

وطائفة بقيت محافظة على التوحيد في عقيدتها، بتقرير بشرية المسيح، وعدم القول لابينوته ولا بألوهيته.

وضمّت كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة»[١].

واستمر الوضع على ذلك سنين عديدة، حتى تغلب الظلام على النور، والباطل على الحق، وأصبحت المسيحية - كما نراها - اليوم تختلف اختلافا

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة ص ٩٧ .

كليا عن مسيحية عيسى الصحيحة المنزلة من عند الله.

ولكن رغم ذلك « لم تَعدِم الأجيال المسيحية مصلحين، حاولوا اصلاح المسيحية وارجاعها الى طبيعتها النقية، وأعلنوها على الملأ في صراحة ووضوح، دون خوف أو وجل ، ولاقوا في سبيلها الأهوال، وذاقوا العنت والعذاب وان فشلت مساعيهم فيما كانوا يهدفون اليه من اصلاح. والأمثلة على ذلك كثيرة»[1].

وسنعرض هنا لعقيدة كل فريق من هذين الفريقين بما فيها من تصورات مختلفة قبل أن نورد ردود ابن تيمية على القائلين ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته.

٣ – عيسى بين القائلين ببشريته والقائلين ببنوته وألوهيته :

أولا : القائلون ببشرية عيسى – عليه السلام – :

ليس من قصدنا في هذه العجالة الاحاطة بجميع الطوائف المسيحية الموحدة، فهذا يحتاج الى مجلدات، وانما نعرض لذكر بعضهم عبر العصور المسيحية، حتى عصرنا الحاضر.

فمن هؤلاء الموحدين القائلين ببشرية المسيح :

(القديس برنابا الحواري) الذي شاهد ورافق المسيح الإنسان، فقد رفض القول بتأليهه، وكتب انجيله الذي يشرح فيه الحقيقة للناس، محذراً إياهم من قبول التعاليم المخالفة للتوحيد.

---

(١) محمد مجدي مرجان / الله واحد أم ثالوث ص ٤٥ .

يقول برنابا في مقدمة انجيله :

« أيها الأعزاء ، ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيّه يسوع المسيح برحمة عظيمة، للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة؛ لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ...»[1].

كما يورد لنا أيضا في انجيله اعلان عيسى – عليه السلام – للناس مؤكدا لهم عبوديته لرب العالمين، مبرئا نفسه من ترهات المشركين والكافرين. يقول عيسى – عليه السلام – : « اني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني برئ من كل ما قال الناس عنّي، من أني أعظم من بشر، لأني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام»[2].

وذكر أيضا في موضع آخر من انجيله انه – عندما قال له بطرس : « إنك المسيح ابن الله » – غضب منه ، وانتهره قائلا له :

« اذهب وانصرف عني ... »[3].

وجاء في الفصل الثاني والخمسين من انجيله قول يسوع :

« إني أقشعرّ ، لأن العالم سيدعونني إلها، وعليّ أن أقدّم لأجل هذا

---

(١) ترجمة د. خليل سعادة ص ٣.

(٢) الفصل الرابع والتسعون . الفقرات ١ ، ٢ ، ٣.

(٣) الفصل السبعون . الفقرات ٥ ، ٦ .

حسابا، لعمر الله الذي نفسي واقفة في حضرته اني رجل فإنِ كسائر الناس»[1].

وجاء أيضا في انجيله على لسان المسيح قوله ك

« وليكن ملعونا كل من يدرج في أقوالي إني ابن الله »[2].

وقد كانت فرقة (أبيون)* – من فرق اليهود المتنصرين – تعتبر المسيح مجرد بشر رسول ، وتنكر القول بألوهيته، ولها انجيل مدوّن باللغة الآرامية يقرّ جميع شرائع موسى، ويستغنون به عن كافة أسفار العهد الجديد. وهو من الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين.

وقد ظل لهذه الفرقة أشياع حتى أواخر القرن الرابع الميلادي ثم انقرضت بعد ذلك[3].

وجاء آريوس – قسيس الأسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادي – وأعلن أن الله وحده هو الإله الواجب الوجود. أما المسيح فهو غير مساوٍ للأب في الجوهر والعظمة، وهو مخلوق بإرادة الله حادث غير أزلي ، فحكم عليه – وأتباعه – مجمع نيقية – بتدخل من الأمبراطور قسطنطين في ذلك الوقت – بالكفر والهرطقة والحرمان.

---

(١) الفقرات من ١٠ – ١٢.

(٢) الفصل الثالث والخمسون فقرة (٥٣).

* ذهب الأكثرون الى أنه لم يوجد شخص بهذا الاسم. وأصل هذا الاسم من أبيونيم بالعبرانية. ومعناه : الفقراء الى الله. انظر بطرس البستاني / دائرة المعارف ج٢ ، ص ٤٢٦. وقد سبق التعريف عنه في صفحة ٢٠ من هذه الرسالة.

(٣) أنظر : د. عبد المنعم الحنفي / الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٤٣.
وأيضا : بطرس البستاني / دائرة المعارف ج ٢ ص ٤٢٦.

إلا أن ذلك لم يفتّ في عضد الآريوسية، التي بقيت تقاوم وتقاوم، وتعرضت بعد ذلك لانتصارات وانتكاسات ... ولم يزالوا يقاومون حتى وجدوا ثقة قسطنطين وعطفه عليهم وذلك سنة (٣٢٨م) ، حيث أمر بعودة آريوس وأشياعه من المنفى الى كنائسهم* وكان في ذلك الوقت (اثناسيوس)[١] (القائل بألوهية المسيح) بطريركا على الاسكندرية ، - وهو لايقل شأنا عن بولس في تحريفه للمسيحية - فاشتد النزاع بينه وبين الآريوسيين حول ألوهية المسيح وبنوته، حتى عقد مجمع صور سنة (٣٣٥م) فخلع (اثناسيوس)، وقرر نفيه الى تريفس في جنوب غرب فرنسا.

وبقي (اثناسيوس) في منفاه حتى موت (قسطنطين)، الذي قسّم البلاد على أولاده الثلاثة : (قسطنس، وقسطنطنيوس، قسطنطين الصغير)، حيث قرر قسطنطنيوس تحت تأثير شقيقه قسطنطس اعادة اثناسيوس الى كرسي الاسكندرية[٢].

لم يكن هذا من قسطنطين إلا رغبة منه في توطيد سلطانه السياسي في الشرق الذي كان يدين معظمه بالمذهب الآريوسي. فقد دافع قسطنطين عن مذهب التثليث الاثناسيوسي وأيّده طالما كانت عاصمته في روما، حيث تدين الغالبية بالمذهب الاثناسيوسي. فلما احتاج الى نقل عاصمته الى القسم الشرقي الذي توجد به أكثرية مسيحية تعتنق مذهب أريوس، أحضره، وعفا عنه، وألغى قرار طرده هو وأتباعه.

فهو على استعداد تام لتغيير ميوله الدينية وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية.

أنظر : الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب ج١ ص ٢١٠ / ٢١١ ط ٢.

(١) اثناسيوس (٢٩٥م - ٣٧٣م) من آباء الكنيسة، حارب الآريوسية بعد المجمع النيقاوي، نفي خمس مرات. له مؤلفات لاهوتية عديدة. انظر منجد الأعلام ص ٢٢.

(٢) أنظر المهندس أحمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين ص ٢٤ - ٢٦ بتصرف.
وانظر كذلك ابن تيمية / الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٨ ، ٢٩.

ومنذ ذلك التاريخ توالى أباطرة مناوئون للآريوسيين، ولكن ذلك لم يقضِ على الحق، ولم يزل بصيص النور موجودا حتى يومنا هذا.

ويعتبر الإعلان الذي صدر عام ١٦٠٥م واحدا من أهم المطبوعات التي انتجتها جماعة الليبراليين القائلة بأن:

الله واحد في ذاته، وأن المسيح انسان حقيقي ... [١].

والأسقف نسطور كان هو الآخر ينكر ألوهية المسيح، ويقرر أنه انسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة - وان انحرف أتباعه من بعده - . ويشايعه في رأيه فلاسفة متأخرون مثل تولستوي، ورينان. فضلا عن أساقفة متقدمين يشايعونه مثل: سابليوس، وبولس السُمَيساطي.

وهذا هو أوريجانوس* يعلن - في وجه المؤلّهين للمسيح - أن الله لا يدركه الفهم، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان، وان الله لا يجزأ ولا يجسد، ولا يحصر. فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه[٢].

ويقول بولس السميساطي - بطريرك أنطاكية من عام ٢٦٠ - ٢٧٢م:

---

(١) المرجع السابق ص ٤١ وارجع لأول مذكور.

* أوريجانوس: عالم من علماء الكنيسة (١٨٥ - ٢٥٤م) كان أبوه (ليونيذس) من معلمي الفصاحة فاعتنى به وقرأ عليه تآليف أفلاطون والرواقيين والكتاب المقدس. تعاطى تفسير الدين المسيحي، وأسفار الكتاب المقدس.
وأشهر تآليفه في دفاعه عن النصرانية وقد اعتبرها العلماء أكمل دفاع عن النصرانية قبل العصر النيقاوي. أنظر بطرس البستاني / دائرة المعارف، ج ٤ ص ٦٣٧، ٦٣٩.

(١) أنظر / المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والإسلام ص ١٣٨.

« ان الله جوهر واحد وأقنوم . وان المسيح انسان محض »[1].

وفي بولونيا نادي (سرسينس) بوحدانية الله، وبشرية المسيح، مقررا أن الإله لا يحل في البشر.

وقد استمرت عقيدته هذه في طائفة الموحدين في بولونيا الذين قاموا يدعون الى تطهير المسيحية من أدران الوثنية، وجهالة التجسيد. ولاقى أفراد هذه الطائفة من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم الى هجر وطنهم الى مختلف البلاد، فلاحقهم العذاب أينما حلوا»[2].

وفي أسبانيا يجهر – المصلح الأسباني – (سرفتيوس) برأيه في وحدانية الله، وانكار ألوهية المسيح، فيتقرر احراقه حيًا سنة ١٥٥٣م[3].

ويقول الفيلسوف (تُولستويْ) – ردّاً على القول بألوهية المسيح – :

« إنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقية – كما كان يفهمها هو – أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة ، التي شوهت وجه التعليم المسيحي، حتى أخفته عن الأبصار، تحت طبقة كثيفة من الظلام.

إن أولئك الشرّاح والمفسرين يدعون يسوع إلها دون أن يقيموا على ذلك الحجة، ويستندون على أقوال لاتدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله أو ابن الله»[4].

---

(١) محمد مجدي مرجان / الله واحد أم ثالوث ص ٤٥.
وانظر كذلك : بطرس البستاني / دائرة المعارف ج ٥ ص ٧٠٤.

(٢) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والإسلام ص ١٣٩.

(٣) انظر : محمد الغزالي / التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام / ص ١٠٢.

(٤) محمد مجدي مرجان / الله واحد أم ثالوث ص ١١٠.

ولا يزال في وقتنا الحاضر كنائس تؤمن بعقيدة التوحيد. في هولندا وانجلترا، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية(١).

ثانيا : القائلون ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته:

كان بجوار هؤلاء الموحدين ، آخرون كثيرون ممن دخلوا المسيحية وفيهم رواسب الوثنية، ففهموا المسيحية على حسب ما عرفوه أولاً، وتمثلوها حسبما استكنّ في نفوسهم من آراء ومعتقدات سابقة ...

« وكانت العامة بين حبلين قويين ، وكل حبل في يد عصبة من أولي القوة. فحبل التوحيد، ومعه العقل، ومعه الأصل، ومعه السيادة للتوحيد. وحبل تأليه المسيح، ومعه القوة، حيث أخذ يجتذب اليه العامة، وعمل على أخذهم بعاملين :

عامل الاستهواء : جاءهم من الناحية التي يحبونها ، وأرضى شهوتهم فيها، وهي ناحية تقديس المسيح - عليه السلام - .

وعامل السلطان : وتمكينه من الرقاب ، وتغريب من لايقول هذه المقالة واضطهاده، وإبعاده عن حظيرة المسيحية، ولعنه ، وطرده ، وتصويره للناس بصورة من لايقدس المسيح ، ولا يرجو له وقارا واجلالا.

كانت العامة بين هذين الحبلين، وهذين العاملين مع فقْد الكتب المسيحية القاطعة في الاستدلال، والتي توقف المغالين عند حدّ الاعتدال، وقد كانت كفة التوحيد هي الراجحة حتى بعد مجمع نيقية، لكن جاءوا بعد ذلك وأُخفتوا صوت المنادين بالتوحيد، وحيل بينهم وبين ما يدعون اليه، ولم يمكنوهم من أن تصل

(١) انظر المهندس/ أحمد عبد الوهاب : طائفة الموحدين ص٦٢.

دعوتهم الى العامة، فصار العامة لايسمعون بعد ذلك إلا جانبا واحداً، وخاضعين لعامل واحد، وهو الخروج عن نطاق التوحيد، فتّم للحكام والقسيسين ما أرادوا، واختفى دين المسيح - عليه السلام - وقام دين البطارقة والقسيسين»[1].

وقد تنبأ القديس (بطرس) بوجود كثرة من المعلمين والمفسرين أمثال برنابا ممن ينكرون ألوهية المسيح.

ويصف بطرس هؤلاء المعلمين الموحدين بالكذب والضلال، لإتيانهم بالبدع المهلكة، ولكنه يقرر أن كثيرين من أفراد الشعب سيتبعون دعوتهم الكاذبة - على حد تعبيره - الى الوحدانية.

يقول بطرس في رسالته الثانية :

« كان أيضا في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضا معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك، واذ هم ينكرون الرب (يسوع) الذي اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكا سريعا، وسيتبع كثيرون تهلكاتهم ...»[2].

ويعترف (يوحنا) بكثرة الذين خرجوا من صفوفهم معارضين تأليه الأقنوم الثاني (المسيح)، ولكنه يقرر أن ذلك الإنكار، وتلك المعارضة من علامات قيام الساعة، وأن يوم القيامة قد آتى.

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١٥٢ / ١٥٣ ط٣.

(٢) ٢ : ١ ، ٢ .

يقول يوحنا في رسالته الأولى :

« قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون ، ومن هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة، منّا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منّا، لأنهم لو كانوا منّا لبقوا معنا ... من هو الكذاب الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو ضد المسيح، الذي ينكر الأب والابن، كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضا، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضا »[1].

ويعلق الأستاذ/ محمد مجدي مرجان – متهكما – على قول يوحنا هذا. ويقول : « وتمرّ تسعة عشر قرنا من الزمن لاتقوم فيها الساعة، مخيبة نبؤة القديس يوحنا، ويكثر عدد المنكرين لألوهية الابن»[2].

ويبو أن هذه العقيدة (عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته) بدأت بدايتها الأولى في حياة المسيح – عليه السلام – ، فقد نقلنا سابقا عن انجيل (برنابا) أن المسيح – عليه السلام – غضب من بطرس وانتهره قائلا له :

« اذهب وانصرف عني » عند قول بطرس له « « انك المسيح ابن الله ».

وكذلك تدل كلمات المسيح التي رواها عنه برنابا والتي قرّر فيها بشريته وعبوديته لله، ولعن وتبرأ من كل مَنْ زعم أنه ابن الله، أو أنه اله – تدل هذه الكلمات على أنه كان هناك من يقدسه على هذا النحو، ويرفعه فوق مرتبة البشرية الى مرتبة البنوة والألوهية، وأن المسيح – عليه السلام – قد توجّه الى هؤلاء باللعن والبراءة منهم ، مشهدا كل من في الأرض على اقراره ببشريته،

---

(١) ٢ : ١٨ – ٢٤.

(٢) الله واحد أم ثالوث ص ٥٢.

وخضوعه لكل أحكام البشرية كما نقلنا سابقا قوله من انجيل برنابا.

ولولا أن المسيح - عليه السلام - كان يقابل من بعض الناس بمثل هذا التقديس لما قال هذه الكلمات منكراً عليهم غلوهم في حقه، وتقديسهم له.

ثم كانت هناك تلكم الشخصية التي قامت بانماء هذه العقيدة (عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته) في عقول المسيحيين، وقد أجادت دورها في ذلك أيما اجادة لتصل الى مبتغاها، وهو هدم المسيحية معنويا من الداخل، وتخريب عقيدتها، والانحراف بها عن جادة التوحيد.

تلك الشخصية هي شخصية بولس اليهودي العدو اللدود للمسيحية وللمسيحيين، والذي تنسب اليه المسيحية الحالية أكثر مما تنسب الى سواه حتى ان كلمة «الرسول» اذا أطلقت انصرفت - عندهم - اليه وحده، ومع ذلك فقد بقي الى آخر أيامه يهوديا في عقله وخلقه كما يؤكد ذلك (ول ديورانت)[١].

فلنمض في كيفية تقريره لعقيدة بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته، وبالتالي شيوعها بين الناس، واعتقادهم بها، حيث إن رسائله الأربع عشرة - والتي بدء في كتابتها منذ عام ٤٥م حتى نهاية عام ٦٥م - تعرض في صورة مفصلة الكثير من عقائد الديانة المسيحية، وشرائعها ، وعباداتها، وأخلاقها وتوجّه قسطا كبيرا من عنايتها الى توضيح عقيدة ألوهية المسيح وبنوته لله ومبدأ التثليث، بولس هذا - كما ذكرنا - قد كان له دور واضح في التحريف في الديانة المسيحية عقيدة وشريعة، منذ أن دخلها بعد اختلاقه

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص ٢٥٠

قــصة دخولــه فيها[1].

فهو واضع أركان علم اللاهوت المسيحي، وهو الذي ادعّى أن المسيح ابن الله، وأخذ يبشر بذلك.

« ... وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله»[2].

وأن له طبيعتين : إلهيه وانسانية، تجسّد « واتخذ صورة عبد ... »[3].

« لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه ... »[4].

ويجاهر المؤرخ المسيحي (هـ. ج. ولز) معترفا أن بولس قد نقل الى الديانة المسيحية الكثير من أفكار زمانه ومصطلحاته، فهو الذي قال عن المسيح أنه ابن الله، وأنه نزل ليقدم نفسه قربانا ويصلب عن خطيئة البشر. يقول ولز :

« ... بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى، ولا سمعه، وكان اسمه في الأصل شاول، وكان من مضطهدي المسيحيين، ثم اعتنق المسيحية فجأة، وغيّر اسمه الى بولس، وكان شديد الاهتمام بعقائد

---

(١) لقصة دخول بولس في المسيحية تراجع الكتب الآتية :
- أ - سفر الأعمال : ٩ : ٣ - ٦.
- ب - قصة الحضارة / ول ديورانت ج ٣ ص ٢٥٢ / ٢٥٣.
- ج - دائرة المعارف / بطرس البستاني ج ٥ ص ٦٩٩ - ٧٠٢.
- د - محاضرات في النصرانية / الشيخ محمد أبو زهرة ص ٨٧ ط٣.
- هـ - النصرانية والاسلام / محمد عزت الطهطاوي ص ٢٤٦.

(٢) سفرأعمال الرسل ٩ : ٢٠.

(٣) فيلبي ٢ : ٦ ، ٧.

(٤) غلاطية ٤ : ٤.

زمانه، فنقل الى المسيحية كثيرا من أفكارهم ومن ذلك قوله : ان المسيح ابن الله نزل ليصلب، ويفدي البشرية[١]، وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية.

وقد صادفت فكرة ألوهية المسيح أرضا خصبة في عقول الذين لهم معرفة بالفلسفات التي سبقت المسيحية، وساعد على هذا ما صادفه المسيحيون من الأضطهادات المدمرة والتي استمرت أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة ٣١٣م»[٢].

« ان الأفكار التي بشّر بها بولس لم تكن غريبة عن دنيا الرومان وقتئذ، فقد كانت عبادة الاله مثرا من الديانات المنتشرة، والمسيح الإله هو صورة طبق الأصل من خصائص الإله مثرا ...»[٣].

وقد استطاع بولس بنشاطه، وذكائه، وحيلته البارعة، وقوة تأثيره في نفوس الجماهير، وسيطرته على مشاعرهم أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية، وأن يفرض ما ارتأه على المسيحيين فيعتنقوه دينا، ويتخذون قوله حجة واهمين أنه وحي أرسل به، ورسالة قام بتبليغها، فخدع التلاميذ المخلصين للمسيح، وحملهم على نسيان ماضيه، وأضعف ذواتهم بجانب شخصيته القوية التي كان تأثيرها شديدا على الجماهير ... »[٤].

---

(١) انظر رسالة بولس الى أهل رومية ٨ : ٣ ، وغلاطية ٦ : ١٤.

(٢) نقلا عن المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والإسلام ص٢٦١/ ٢٦٢ دون أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه النص.

(٣) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والإسلام ص ٢٥٠.

(٤) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص ٢٤٩.

« أعرفكم أيها الأخوة الانجيل الذي بشرت به ، أنه ليس بحسب انسان، لأني لم أقبله من عند أنسان، ولا علّمته ، بل باعلان يسوع المسيح »(١).

وأشاع القول بألوهية المسيح، وبنوته متأثرا – كما ذكرنا – بالمثرائية، وغيرها من الديانات الوثنية السابقة التي كانت منتشرة ومعروفة عند اليهود والرومان.

« ومن الطريف المعجب أن الآباء المسيحيين عندما جبهوا بكثرة أوجه الشبه بين المسيحية والمثروية كان أقصى ما تفتقت عنه أذهانهم الخصبة في تعليل ذلك هو أن الشيطان بدأ محاربة الإيمان الصحيح من قديم، بأن جعل المثروية تحاكي سلفا الغوامض المسيحية المستقبلة»(٢).

وما أن ألقى بولس هذه البذرة « بذرة عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته » على الملأ حتى لقيت أرضا خصبة فترعرعت ونمت، واعتنقها الجميع متأثرين بما سبقهم من ثقافات وفلسفات. وقد شاعت وذاعت هذه العقيدة التي أشاعها بولس حول ألوهية المسيح وبنوته حتى تسربت الى الأناجيل فقررتها وأصبحت بفعل تقريرها لها عقيدة عامة، ليس فقط بمجرد اشاعتها بين الناس، ولكن بتسجيلها في الأناجيل التي كتبت خلال هذه الفترة ومن بينها الأناجيل الأربعة التي انتهى اليها الاختيار في مجمع نيقية – كما ذكرنا من قبل – واذا لم يكن لدينا شئ من الأناجيل التي أهدرت قيمتها في مجمع نيقية، وحرّمت قراءتها ، ومن ثم لانستطيع أن نذكر ما كان منها متضمنا لعقيدة التوحيد ، بريئا من القول ببنوة المسيح لله وألوهيته – على نحو ما رأيناه في انجيل برنابا – ، وما كان منها متضمنا النص على عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته. فإننا يكفينا من

---

(١) غلاطيه ١ : ١١ ، ١٢.

(٢) عصام الدين حفني ناصف / المسيح في مفهوم معاصر ص ٨٨.

هذا النوع الأخير ما ذكرته الأناجيل الأربعة من تلك العقيدة حتى أصبحت بذلك عقيدة مقررة بين المسيحيين – كما ذكرنا آنفا – وان كنا نلاحظ أن هذه الأناجيل الأربعة تتفاوت في تقرير هذه العقيدة فبينما تقتصر الأناجيل الثلاثة (متّى ومرقس ولوقا) على تقرير عقيدة البنوة ، نجد انجيل يوحنا قد زاد عليها تقريره لعقيدة ألوهية المسيح أيضا منفردا وحده بتقرير هذه العقيدة.

وسوف نرجئ ذكر ما ورد في هذه الأناجيل من النصوص التي يستشهد بها المسيحيون القائلون ببنوة المسيح لله – تعالى –، وألوهيته على عقيدتهم هذه الى مكانها من الفقرة التالية التي سنتحدث فيها عن أدلة النصارى على عقيدتهم في البنوة والألوهية التي يأخذونها من كتابهم المقدس – في زعمهم – وذلك بعد أن ننتهي من هذا التأريخ، لظهور تلك العقيدة واعتمادها في المجامع المقدسة، ولدى الفرق المسيحية.

وأيّا كان الأمر فقد أصبح القول ببنوة المسيح لله – تعالى – وألوهيته – كما ذكرنا – عقيدة شائعة بين الناس ومقررة فيما بين أيديهم من الأناجيل التي يتعبدون بقراءتها ويأخذون عقيدتهم منها، والتي بفضلها أخذت تلك العقيدة حظّها من الثبات والاستقرار في الأوساط المسيحية.

وبرغم كل هذا فلم تخل تلك الحقبة من الموحدين الذين يقولون ببشرية المسيح، وينفون عنه القول ببنوته لله – تعالى – وألوهيته على نحو ما رأيناه في عقيدة برنابا الحواري ، متمثلة في انجيله ، وعلى نحو ما ذكرناه عن أريوس قسيس الاسكندرية، وفرقة أبيون في اعتقادهم بوحدانية الله عز وجل وبشرية المسيح، وأنه هو والروح القدس مخلوقان لا إلهان. وعلى نحو ما رويناه عن نسطور وعن بولس السميساطي في انكارهم ألوهية المسيح واقرارهم بانسانيته الحضة ... وغيرهم كثير(١).

---

(١) انظر ص ٢٨٠ – ٢٨٥ من هذا الفصل .

وقد ظل الخلاف محتدما خلال هذه الفترة بين الموحدين وبين القائلين ببنوة المسيح لله – تعالى وألوهيته ، حتى كان مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وفيه تقررت بصفة رسمية تلك العقيدة الأخيرة ووقفت الدولة في صفها ضد القائلين ببشرية المسيح – عليه السلام –.

وفيما يتعلق بهذا المجمع وما اتخذ فيه من قرارات عقدية فقد سبق أن أرجأنا الحديث عن العقيدة التي قررها هذا المجمع الى موضعها هنا.

ويرجع انعقاد هذا المجمع – كما ذكرنا من قبل – الى سببين :

أولهما : عام :

وهو اختلاف الطوائف المسيحية الأولى حول شخصية المسيح، أهو رسول من عند الله كسائر الرسل ، أم له صلة خاصة بالله، أكبر من مجرد كونه رسولا، وهي صلة البنوة لله عز وجل.

ثانيهما : خاص ومباشر :

وهو ما دار من خلاف بين داعية مصر آنذاك (آريوس) المنكر لألوهية المسيح وبنوته لله تعالى ، والمقر بوحدانية الله، وبين الكسندر بطريرك الاسكندرية الذي يتزعم القول بألوهية المسيح.

وقد كان على مذهب آريوس خلق كثير، وقد أخذ على عاتقه مقاومة كنيسة الاسكندرية، فيما تبثّه بين الناس، وتدعو اليه من ألوهية المسيح. فقام (آريوس) محارباً ذلك، مقراً بوحدانية المعبود، منكرا ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية.

ولم تألُ جهدا كنيسة الاسكندرية وبطاركتها فى محاربة (آريوس) فى

آرائه، وحكمها عليه بالابعاد والطرد من الكنيسة.

وقد «شجر نزاع عنيف بين الآريوسيين، وبين بقية رجال كنيسة الاسكندرية، وانتقل النزاع الى بقية المدن، وبلغ نبأ هذا النزاع أسماع الامبراطور قسطنطين، وكان قد وطّد العزم على أن يحتفظ بوحدة الكنيسة صيانة لوحدة الامبراطورية، فبعث (هوسيوس)، أسقف قرطبة فى أسبانيا برسالة الى الاسكندرية يرجو فيها زعماء الكنيسة فضّ هذا الاشكال، إبقاء على وحدة المسيحية.

ولما عاد الأسقف الى الامبراطور أبلغه أن المسألة جد خطيرة، وأقنعه بعقد مجمع الأساقفة لفضّ هذا النزاع وغيره من أسباب الخلاف الأخرى[1].

«فاجتمع فى مدينة نيقية عام (٣٢٥م) ثمانية وأربعون وألفان أسقفا، وكانوا مختلفي العقائد والآراء. فمنهم من يقول :

ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منّا فى جوهره، وان ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى صحبته النعمة، فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، فلذلك سمى «ابن الله».

ومنهم من يقول : ان المسيح وأمه إلهان من دون الله.

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح... الى آخر ما هنالك من تلك الآراء[1].

وافتتح المجمع تحت رئاسة (قسطنطين) الذى سمع مقاله كل فرقة وكان يهدئ من عنف الجماعات المتنازعة، وأمرهم أن يتناظروا لينظروا الدين الصحيح،

---

(١) حبيب سعيد / فجر المسيحية ص ١٤٩.

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٣ ، ص ٢٢ ، ٢٣.

لكنه جنح الى رأي القائلين بألوهية المسيح، وأصدر الوثيقة الإيمانية التي تنص على ما يأتي :

« نؤمن بالله الواحد الأب، مالك كل شئ وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه، قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، الله حق من اله حق جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شئ من أجلنا، ومن أجل معشر البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسّد من روح القدس، وصار انسانا، وحبل به، ولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام بيلاطس، ودفن، ثم قام في اليوم الثالث، وصعد الى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجئ تارة أخرى بين الأموات والأحياء ... »(١).

وقد أصدر المجمع مرسوما امبراطوريا، يحذّر كل من يخالف ذلك الميثاق وتلك العقيدة. هذا نصه :

« والجامعة المقدسة، والكنيسة الرسولية، تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه، وانه لم يوجد قبل ان يولد، وانه وجد من لاشئ، أو من يقول: ان الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول : انه قابل للتغيير»(٢).

وهكذا تقررت عقيدة ألوهية المسيح، وبنوته لله تعالى، وأخذت طابعا رسميا، تؤيده قوة السلطان التي أيّدت كنيسة الاسكندرية، الممثلة للفلسفة الأفلاطونية، لكن ...

---

(١) انظر : الشهرستاني / الملل والنحل ج ٢ ص ٦٣.

(٢) الدكتور / أحمد شالبي / المسيحية ص ١٤٥ طه.

ما هو موقف الموحدين من قرارات مجمع نيقية ؟

وهل استسلموا لقرارات هذا المجمع ولم يقاوموها ؟

ان هذه القرارات، وهذا الحرمان والطرد، لم يفتّ في عضد الآريوسيين، بل أخذوا يقاومون ويقاومون، وتعرضوا نتيجة لذلك لانتصارات وهزائم، بين مدّ وجزر، حتى وجدوا ثقة قسطنطين، وعطفه عليهم - كما ذكرنا من قبل - وذلك سنة (٣٢٨م)، حيث أمر بعودة (آريوس) وأشياعه من المنفى الى كنائسهم، وعقدوا مجمعا اقليميا في صور سنة (٣٣٥م) - لدفن قرارات مجمع نيقية - وقد حضره بطريرك الاسكندرية - آنذاك - (اثناسيوس)، ووجد نفسه الوحيد بين المجتمعين الذي يعتقد بألوهية المسيح ويدافع عنها.

وقد اشتد الخلاف بينه وبين الآريوسيين، فوثبوا عليه، وأوسعوه ضربا حتى كادوا أن يقتلوه[1].

وانتهى الأمر بخلع (أثناسيوس) من كرسي كنيسة الاسكندرية، ونفيه. وبقي في منفاه حتى موت قسطنطين الذي قسّم البلاد على أولاده الثلاثة - كما قلنا من قبل[2].

« وقد اشتدّ نفوذ الآريوسيين في عهد (قسطنطنيوس) الذي وافق على طلبهم بتعيين (جريجوريوس) أسقفا على الكرسي الاسكندري»[3].

---

(١) انظر : ابن تيمية / الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٨.
وكذلك : الدكتور احمد شلبي / المسيحية ص ١٤٥.

(٢) انظر ص ٢٨٣ من هذا الفصل.

(٣) المهندس احمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين ص ٢٥.

وأخيراً قرر (قسطنطنيوس) تحت تأثير شقيقه (قسطنس) اعادة (أثناسوس) إلى كرسي الاسكندرية الذي جعل العقيدة تقوم على الثالوث، وحارب بعنف مخالفيه في الرأي والمعتقد، واشتهر بقسوته على الآريوسيين»[1].

و« ترجع كل المصائب التي لحقت بالعقيدة المسيحية، وحولتها من التوحيد الى الشرك والتثليث الى تدخل الأباطرة الرومان، الذين كان همهم الأول والأخير تثبيت حكمهم، وفرض السلام على الامبراطورية بمختلف الوسائل، ومن بينها تطويع الدين لخدمة هذه السياسة.

فهذا قسطنطين الوثني – كما رأينا – الذي اتخذ صفة عالم اللاهوت المسيحي، وفرض على مجمع نيقية تلك الصيغة التي قررت ألوهية المسيح وأزليته، وأنه من جوهر الله»[2].

قسطنطين هذا الذي « كان يأمل أن يكون ملكا مطلق السلطان ... قد بدا له أن النظام الكهنوتي، وسلطان الكنيسة الدنيوي يقيمان نظاما روحيا يناسب نظام الملكية، وهيكل هذا النظام العجيب بما فيه من أساقفة، وقساوسة، يصبح أداة لتهدئة البلاد، وتوحيدها، وحكمها ...

لذا اضطر أن يتحسس كل خطوة يخطوها بحذر؛ لأن الوثنية كانت هي الغالبة على العالم الذي يعيش فيه، ولذلك ظل يستخدم ألفاظا توحيدية*

---

(١) المهندس احمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين ص٣٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣١.

* يبدو أن (ول ديورانت) لا يقصد بهذا الكلام الصيغ التى تدعو الى توحيد الله، وإلاّ فإن ذلك لا يرضي الوثنيين بحال، وانما يقصد صيغا توحّد بين المسيحية والوثنية، بحيث لا ينفر منه الوثنيون، وبحيث تتوحّد الامبراطورية المكونة من وثنيين ومسيحيين.

يستطيع أن يقبلها كل وثني. فقام خلال السنين الأولى من سلطانه بتجديد بناء الهياكل الوثنية، واستخدم في تدشين[1] القسطنطينية شعائر وثنية ومسيحية معا ...»[2].

وقد تلا هذا المجمع مجامع مسكونية عديدة كلها قامت وأقرت القول بألوهية المسيح وبنوته، وألوهية روح القدس.

ففى هذا المجمع (مجمع نيقية) - كما رأينا - تقررت عقيدة ألوهية المسيح وبنوته، وفى مجمع القسطنطينية الأول المنعقد سنة (٣٨١م) تقررت عقيدة ألوهية روح القدس كما سنفصل القول فى ذلك فى الفصل التالى.

أما مجمع أفسس الأول المنعقد سنة (٤٣١م) فقد تقررت فيه عقيدة أن مريم العذراء القديسة ولدت «الهنا ربنا يسوع، الذى هو مع أبيه في الطبيعة الالهية، ومع الناس فى الطبيعة الناسوتية».

وفى مجمع خلقيدونية المنعقد سنة (٤٥١م) تقررت عقيدة أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين غير متحدة، وخالفته في ذلك الكنيسة المصرية كعادتها، حيث ذهبت الى أن المسيح ذو طبيعة واحدة. ومن هذا المجمع بدأ الانشقاق وتشعّب، ولازال حتى الآن، ولن يلتئم أبدا.

وان هذه المجامع لم تقتصر على تقرير عقائدها تلك، واقرارها على الناس، وارغامهم على قبولها، بل انها لجأت الى الجبروت فنفت، وطردت، وعذبت كل من خرج ويخرج عن قراراتها[3].

---

(١) في افتتاح القسطنطينية ودخولها.

(٢) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٣٨٨ - ٣٨٩ بتصرف.

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٣ ص٣٧ بتصرف.

وقد تبنت الطوائف المسيحية القديمة – من ملكانية ونساطرة ويعاقبة – عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته، واستمرت الطوائف الحديثة (الأرثوذكس والكاثوليك...) على نفس هذه العقيدة، وليس لديهم من دليل عقلى يستندون اليه، وكل مايستندون اليه فى تقريرها هو الكتاب المقدس.

فنجد فرقة الملكانية تذهب الى أن عيسى – عليه السلام – اله تام كله، وانسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر ... وأن مريم ولدت الاله والانسان، وأنهما معا شئ واحد ابن الله. – تعالى الله عن كفرهم –.

وهذا هو مذهب الكاثوليك فى الابن، حيث يقولون :

ان مريم ولدت يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الالهية، ومع الناس فى الطبيعة الانسانية. فهو طبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد[1].

وأطلقوا لفظ الابوة والبنوة على الله – عز وجل – وعلى المسيح عليه السلام[2].

وفرقة النساطرة مثل الملكانية فى ذلك سواء بسواء الأ أنهم قالوا : ان مريم لم تلد الاله وانما ولدت الانسان، وان الله – تعالى – لم يلد الانسان، وانما ولد الاله. وان اللاهوت قد غمر المسيح بعد ولادته. – تعالى الله عن كفرهم[3].

وان الابن والأب هما جوهران، وأقنومان، طبيعتان. جوهر قديم، وجوهر

---

(١) الشهرستاني / الملل والنحل ج٢ ص ٦٢.

(٢) ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل ج١ ص ٤٩.

(٣) المرجع السابق ج١ ص ٤٩.

محدث، اله تام، وانسان تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولا حدوث المحدث، لكنهما صارا مسيحا واحدا، مشيئة واحدة[1].

أما فرقة اليعاقبة، ويمثلهم فى الوقت الحاضر : الأرثوذكس. فيقولون :

«ان المسيح هو الله تعالى، وان الله - تعالى عن عظيم كفرهم - مات وصلب، وقتل. وان العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وان الله تعالى عاد محدثا، وان المحدث عاد قديما وانه - تعالى - كان فى بطن مريم محمولا به[2].

فمريم لم تلد انسانا عاديا - حسب اعتقادهم - بل ولدت ابن الله المتجسد، لذلك هى حقا أم الاله.

وكان هذا الاتجاه حول طبيعة المسيح من الأسباب التى فصلت الكنيسة الشرقية (الأرثوذكس) عن الكنيسة الغربية (الكاثوليك).

وأيّا كان اختلاف الطوائف المسيحية فى تصورهم لبنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته - كما يزعمون - فانهم جميعا يستندون فى عقيدتهم هذه - كما قلنا - الى ماورد تقريراً لها فى الكتاب المقدس، سواء فى الأسفار القديمة، أو الأناجيل الأربعة. وهى الأدلة التى سنعرضها فى الفقرة التالية، ونعقبها بابطال ابن تيمية لها فيما بعد.

---

(١) الشهرستانى / الملل والنحل ج٢ ص ٦٥.

(٢) ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل ج١ ص ٤٩.

٤ - أدلة القائلين ببنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته من الكتاب المقدس وبطلانها :

هذا هو تاريخ انحراف المسيحية عن خط التوحيد، حتى أصبح المتدينون بها يدينون بالقول ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته.

وهم يستندون في تقرير عقيدتهم هذه الى ما يزعمونه من أنهم لم يبتدعوها من تلقاء أنفسهم، ولكنهم يقررون في شأنها ماقرره كتابهم المقدس، فهي في نظرهم عقيدة دينية أصلية طبقا لما جاء في هذا الكتاب.

ويستشهد القائلون بذلك بنصوص من الكتاب المقدس سواء في عهديه القديم والجديد، أو فيما يتضمنه هذا الكتاب من الرسائل والأسفار.

وسنكتفي هنا بذكر بعض ماورد في الأناجيل والرسائل؛ لأننا وجدنا ابن تيمية قد أكثر من ذكر النصوص الواردة في التوراة التي استدل بها النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته، وذلك في ردّه عليهم، وابطاله لعقيدتهم كما سنرى فيما بعد.

ومما جاء في تلك الأناجيل متضمنا القول ببنوة المسيح لله تعالى، ما أورده (متّى) في انجيله :

«فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه، وصوت من السموات قائلا :

هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت[١].

---

(١) ٣ : ١٦، ١٧.

وقد جاء الصوت بنفس هذه الكلمات عند تجلى المسيح :

«وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيّرة ظللّتهم، وصوت من السماء قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا[1].

وحكى (مرقس) في انجيله قصة الرجل الهارب الذي به روح نجسة، فقال عنه : انه حين « رأى يسوع من بعيد ركض، وسجد له، وصرخ بصوت عظيم، وقال : مالى ومالك يايسوع ابن الله العلى...»[2].

وإذا أتينا الى انجيل (لوقا) فإننا نجد فيه ما يستشهدون به على عقيدهتم هذه. من ذلك :

قول الملاك جبرائيل لمريم : «وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيما، وابن العلى يدعى، ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه»[3].

وقوله لها كذلك : «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله[4].

ويزيد (يوحنا) على ماتضمنته الأناجيل الثلاثة من تقرير بنوة المسيح لله تعالى – يزيد على ذلك تقريره لألوهيته أيضا كما ذكرنا من قبل.

---

(١) انجيل متّى ١٧ : ٥ . وكذلك انجيل لوقا ٣ : ٢١ . ٢٢ .
وانظر كذلك متّى (٢٦ : ٦٣ – ٦٦) حيث تحكي هذه الفقرات كيف أن كهنة اليهود قد حاكموا المسيح؛ لأنه قال انه ابن الله .

(٢) ٥ : ٦ . ٧ وكذلك ٣ : ١١ . ٩ : ٧ . ١٥ : ٣٩ .

(٣) ١ : ٣١، ٣٢.

(٤) انجيل لوقا ١ : ٣٥ وانظر كذلك ١ : ٤١.٨.٢٨.١٠:٢٢.

ومما جاء في ذلك قوله : «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، هذا كان البدء عند الله. كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضئ في الظلمة والظلمة لم تدركه.

كان انسان مرسل من الله اسمه (يوحنا) هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتيا الى العالم، كان في العالم، وكّون العالم به، ولم يعرفه العالم، الى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم، ولامن مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله.

والكلمة صار جسدا، وحلّ بيننا، ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوا نعمة وحقا[1].

وروى (يوحنا) على لسان المسيح ذكره لأبوة الله له، حيث قال مجيبا اليهود : «أبي يعمل حتى الان وأنا أعمل، فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه؛ لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا: ان الله أبوه معادلا نفسه بالله.

فأجابهم يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا، إلاّ ماينظر الأب يعمل؛ لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك، لأن الأب يحب الابن ويريه جميع ماهو يعمله، سيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم، لأنه كما أن الأب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضا

---

(١) ١ : ١٤

يحيى من يشاء. لأن الأب لايدين أحدا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن؛ لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب من لايكرم الابن لايكرم الأب الذي أرسله.

الحق الحق أقول لكم : ان من يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي الى دينونة، بل قد انتقل من الموت الى الحياة. الحق الحق أقول لكم : إنه تأتى ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون»

ولا يقتصر النصارى في الاستشهاد على عقيدتهم ببنوة المسيح لله تعالى من الأناجيل فقط ، بل يستشهدون على ذلك بما جاء في الرسائل أيضاً . من ذلك ما جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين من قوله :

" فإن لنا رئيس كهنة عظيم ، قد اجتاز السموات ، يسوع ابن الله فلنتمسك بالاقرار . " (٢)

وجاء على لسان (بولس) أيضاً قوله : " مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا بل المسيح يحيا فيّ ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه فى الايمان ايمان ابن الله الذي أحبني ، وأسلم نفسه لأجلي . " (٣)

وفي تعقيبنا على هذه النصوص نقرر هنا مايأتي تفصيله في نهاية هذا الفصل من أن ألفاظ الأبوة والبنوة في الكتاب المقدس لم تكن معبّرة عن العلاقة بين الله والمسيح فقط ، بل بينه وبين غيره من الأنبياء ، بل وبقية المؤمنين . ومن ثم فليس أبوّة حقيقة أو بنوة حقيقية ، وإنما هي تعبّر – لو صحت نسبتها الى

---

(١) ٤ : ١٤ وانظر كذلك الرسالة نفسها ١ : ١-٣ ، ١ :١٠-١٢،١٣:٨.

(٢) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٢: ٢٠. وانظر كذلك ٤ : ٤.

الله والى المسيح – عن علاقة القرب بين المسيح وبين الله ، واختصاص الله له بمحبته وتقريبه ، ولا شئ غير ذلك .

ومما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح ما وصف به المسيح نفسه – كما يزعمون – بالأزلية ، حيث روى عنه يوحنا من قوله لليهود :

" الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن " (١)

وقوله أيضا : « والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم »(٢)

كما وصف المسيح نفسه بالوجود في كل مكان. من ذلك ما حكاه (متّى) في انجيله على لسان المسيح من قوله : « وأقول لكم أيضا : ان اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شئ يطلبانه، فإنه يكون لهما من قِبل أبي الذي في السموات؛ لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم»(٣).

وكذلك وصف المسيح في الأناجيل بأنه ديّان الخلق أجمعين يوم الحساب. من ذلك : ما جاء من قوله لليهود :

« لأن الأب لايدين أحدًا ، بل قد أعطى الدينونة للابن »(٤).

ووصف المسيح نفسه بالعلم بكل شئ فقال :

« كل شيء قد دفع إليّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا

---

(١) ٨ : ٥٧.

(٢) ١٧ : ٥ وانظر كذلك الانجيل نفسه ١٧ :٢٤.

(٣) انجيل متّى ١٨ : ١٩ – ٢٠ وانظر كذلك انجيل يوحنا ٣ : ١٣.

(٤) انجيل يوحنا ٢٢ : ٢٣.

أحد يعرف الأب إلا الأبن. ومن أراد الابن أن يعلن له»[1].

وأسند الى المسيح في أسفار النصارى قدرته على احياء الموتى. من ذلك : ما جاء في يوحنا[2] حول قصة لعازر، وكيفية احيائه، واخراجه من القبر حيا، حيث ذهب يسوع ومعه جماعة من اليهود الى القبر، وقد وضعت عليه الحجارة. فقال لهم يسوع :

« ارفعوا الحجر، قالت له مرثا أخت الميت : يا سيد قد أنتن؛ لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع : ألم أقل لك : ان آمنتِ ترين مجد الله، فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا، ورفع يسوع عينيه الى فوق، وقال : أيها الأب، أشكرك؛ لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتنى. ولما قال هذا، صرخ بصوت عظيم: لعازر، هلمّ خارجا فخرج الميت، ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع : حلوه، ودعوه يذهب.

وطلب الى النصارى أن يتعبدوا باسمه كما يتعبدون باسم الله عز وجل.

«عمدوا الناس باسم الأب والأبن والروح القدس»[3] ويقولون:

ومن هنا قَبِل المسيح تألهيه من توما حين وصفه بالربوبية والألوهية، وقال له : «ربي والهي، فقال له يسوع : لأنك رأيتنى ياتوما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا»[4].

---

(١) انجيل متّى ١١ : ٢٧.

(٢) ١١ : ٣٩ – ٤٤.

(٣) انجيل متّى ٢٨ : ١٩.

(٤) انجيل يوحنا ٢٠ : ٢٦ – ٢٩.

وجاء في الرسالة الى العبرانيين مايستدل به المسيحيون على وصف المسيح بالقدرة على كل شئ. جاء في ذلك :

«الله بعد ماكلّم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شئ، الذى به أيضا عمل العالمين، الذى هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وكل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة فى الأعالى»[١].

كما جاء فى أسفار المسيحيين ما يستدلون به على وصف المسيح بعدم الفناء والتغيّر. من ذلك قولهم فى شأن المسيح :

«أنت يارب في البدء أسست الأرض، والسموات هى عمل يديك، هى تبيد، ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغير، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى»[٢].

وجاء أيضا : «يسوع المسيح هو أمس واليوم والى الأبد»[٣].

هذا بعض ما تضمنه العهد الجديد من النصوص التى تقرر بنوة المسيح لله – تعالى – وألوهيته، فإذا كان ماقررته من ذلك وارداً على ألسنة بعض المؤمنين بالمسيح سواء كانوا فى عهده أو في عهد كتابة هذه الأناجيل والرسائل من بعده، فإنه يكون تصديقا لما قلناه من قبل من بدء هذه العقيدة فى حياة المسيح عليه السلام.

---

(١) ١ : ١ – ٣.

(٢) رسالة بولس الى العبرانيين ١ : ١٠ – ١٢.

(٣) المرجع السابق ١٣ : ٨.

أما ما أوردته تلك الأناجيل على لسان المسيح - عليه السلام - من ذلك، فهو مما ألصق به وهو منه برئ؛ لمنافاته لعقيدة التوحيد التى جاء بها كغيره من الرسل، إذ يستحيل أن يصف المسيح نفسه بأوصاف الله عز وجل من الأزلية والأبدية، والعلم المطلق بكل شئ، والوجود فى كل مكان ... الى غير ذلك من الصفات والأفعال الخاصة بالله عز وجل.

واذا كنّا قد أقمنا الأدلة القاطعة على تحريف الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى، فمن البديهى جدا أن تتضمن هذه الأسفار مايدل على العقائد المنحرفة التى انحرف اليها النصارى، لكن وجودها فى أسفارهم ليس دليلا على صحة تلك العقائد، فإذا دلت على أن عقائدهم الباطلة عقائد دينية مستقاة من أسفارهم، فإنها لا تدل على أن تلك العقائد صحيحة، بل هى ونصوص الأسفار الدالة عليها من الأمور الباطلة فى ميزان الدين والعقل الصحيح.

ولو فرض - جدلاً - أن شيئا من هذه الأقوال قد جاء على لسان المسيح - عليه السلام - مما يتضمن وصفه لنفسه بالبنوة والألوهية، فإن بالضرورة ليس بالمعنى الذى يقصده المسيحيون من هذه الألفاظ، فإن هذه الألفاظ قدوردت فى الأسفار الكتابية بمعان أخرى ذكرها ابن تيمية فى معرض ردّه على المسيحيين الذين يحتجون على قولهم ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته بما ورد فى أناجيلهم من النص على ذلك.

وكذلك فعل غيره من العلماء فى إبطالهم لاستشهادات النصارى على عقيدتهم الباطلة هذه من الكتاب المقدس.

– لو فرض ذلك لابدّ وأن يؤول لفظ البنوة والألوهية فى حق المسيح بما لايتنافى مع العقيدة الصحيحة فى الله والمسيح، ككونه دالا على تكريمه وقربه من الله أوْ دالاً على رئاسته الدينية وشرفه وكونه متكلما باسمه، حاكما بحكمه، عاملا بوصاياه... الخ لاسيما اذا علمنا أن أسفار العهد القديم كانت تطلق لفظ البنوة على أسرائيل وعلى داود وغيرهما كما كانت تطلق لفظ الألوهية علي موسى – عليه السلام – وعلى غيره من قضاة بنى اسرائيل بهذه المعانى، كما سيأتى تفصيل القول فيه عند تعقيبنا على هذا الفصل، بنكر التأويلات الصحيحة لما ورد في الأناجيل من ألفاظ الأبوة والبنوة والألوهية... الخ. ليست إذن بنوة المسيح وألوهيته – حتى ولو فرضت صحة هذه النصوص – بنوة وألوهية حقيقية، بل مجازية يجب أن تؤوّل نصوصهما بما لا يتضمن فسادا في العقيدة، ولا مخالفة للتوحيد، ولتتفق مع النصوص المحكمة فى العقيدة.

زد على ذلك ما أوردناه هنا من نصوص – على فرض صحة نقله – لابدّ وأن يفهم على ضوء بقية ماتضمنه الكتاب المقدس من خصائص البشرية للمسيح – عليه السلام – وسوف نتناول هذه الخصائص بالعرض والتحليل في تعقيبنا على هذا الفصل، حيث يتبيّن لنا دلالة الكتاب المقدس على بشرية عيسى – عليه السلام – المنافية لألوهيته المزعومة.

أمّا ما أسند إلى المسيح من أفعال الله – عز جل – فهو نوع من التحريف الذى ألحقه المسيحيون بعقيدتهم التوحيدية الصحيحة. وماداموا قد انحرفوا فألّهوا المسيح فمن الطبيعى أن يضيفوا اليه أفعال الألوهية. واذا كان تأليههم المسيح اعتقاد باطل – كما سيأتى بيانه –، فإن اضافتهم اليه أعمال الألوهية يعّد أمراً باطلاً هو الآخر، فإن مقتضى استحالة الألوهية فى حق المسيح هو استحالة أفعالها فى حقه كذلك.

والذى يتمعّن فيما يستدلون به هنا من نصوص، يجد أنها لا تتضمن فى الحقيقة وصف المسيح لنفسه بالأزلية – كما يزعمون –، بل أقصى ما فيها تقدير الله لنبوته، وتمجيده له فى قدره السابق، قبل أن يخلق الخلايق. وهذا أمر وارد فى حق كل نبى من الأنبياء.

أما المعجزات كمعجزة إحياء الموتى، فلم يفعلها المسيح باعتباره إلهاً قادرا على كل شئ، وانما فعلها بالقدرة التى منحها الله له، وبعد أن تضرع الى الله الذى أرسله طالباً تأييده، كما يبدو من النص السابق. وليس في هذا مايدل على ألوهيته، ولكنه يدل على نبوته، وتأييد الله له بهذه المعجزات.

أما ما يزعمونه من جلوس المسيح على يمين الرب، لدينونة الخلائق، فذلك أمر باطل. دفعهم اليه غلوهم فى حق المسيح. فالله هو مالك يوم الدين، وهو المتفرد بحساب الخلائق فى ذلك اليوم.

ولو فرض وأن تعميد الناس انما يكون باسمه مع اسم الله والروح القدس – مما تضمنه انجيل متّي – فهذا ليس على سبيل المشاركة في الألوهية، وانما على سبيل البركة باعتباره نبيّ لله.

وبديهي أن عيسى – عليه السلام – لايمكن أن يرد على لسانه اقراره لـ (توما) في وصفه له بالألوهية، وهو النبي الداعي الى التوحيد، وسوف يجيب ربه يوم القيامة – اذا سأله عن تأليه الناس له – قائلا : { ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم}[1].

---

(١) سورة المائدة / آية ١١٧.

وغاية القول : إن ما يستشهد به النصارى على عقيدتهم في المسيح – عليه السلام – إما أن تكون شواهد مكذوبة النسبة إلى المسيح – عليه السلام – أو محرّفة في نقلها وترجمتها، أو تكون متضمنة لألفاظ مؤولة لاينبغي فهمها إلا في ضوء استعمال الكتب المقدسة لها، وعلى ضوء بقية النصوص الأخرى التي تتضمن النص على بشرية المسيح – عليه السلام – وغيره من الأنبياء.

وسوف يتضح بجلاء بطلان ما يستشهد به النصارى على عقيدتهم في المسيح، بعد أن نعرض فيما يأتي ابطال ابن تيمية، وغيره من العلماء لما يستدل به النصارى من أدلة أخرى غير تلك التي أوردناها وأبطلناها في هذا المقام.

ب – إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوّة المسيح لله – تعالى – وألوهيته :

يذكر ابن تيمية أن عقيدة اليهود والنصارى في شأن المسيح – عليه السلام – على طرفي نقيض.

فاليهود لم يعطوا المسيح حقه الذي منحه الله اياه، فزعموا أنه ولد زنا، وأنه كذاب وساحر، ولم يؤمنوا به.

أما النصارى، فقد غالوا في تعظيمه لدرجة تأليهه، فقالوا عنه : إنه الله وابن الله، بل صار من يقول فيه القول الحق من علمائهم، وعبّادهم يجمعون لهم مجمعا، ويلعنونهم فيه على وجه التعصب، واتباع الهوى ، والغلو فيمن يعظمونه[1].

---

(١) انظر / الجواب الصحيح ج٢ ص ٨٨.

ويبطل ابن تيمية عقيدة النصارى هذه في بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته، وأدلتهم عليها من جهات متعددة.

فهو يبطلها بإبطال أدلتهم عليها من الكتاب المقدس- عندهم - ، وكذلك بابطال استدلالهم عليها - في زعمهم - بالقرآن الكريم.

وهو يبطلها كذلك بما يكشف عنه من تناقضها مع عقيدتهم هم في الله فضلا عن تناقضها مع العقائد الصحيحة في النبوات الصادقة، سواء قبل المسيح وبعده.

وهو يبطلها كذلك ببيانه لما تستلزمه تلك العقيدة من تناقضات ومحالات عقلية.

ثم يبطلها أخيرا ببطلان استناد النصارى في بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته الى ما يصدر عنه من معجزات، يفضل بها غيره من الأنبياء، وتدل على ألوهيته كما يزعمون.

وهكذا يتعقّب ابن تيمية هذه العقيدة فيبطلها من مختلف الجهات.

وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال :

١ - ابطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم بالكتاب المقدس :

المقصود هنا - كما يقول ابن تيمية : بيان بطلان احتجاج النصارى على أن المسيح هو الله، أو ابن الله، أو أنه كلمة الله الخالقة. وأنه ليس لهم في ظاهر القرآن ولا باطنه حجة كما ليس لهم حجة في سائر كتب الله، وانما

تمسكوا بآيات متشابهات، وتركو المحكم[1] كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله :
{هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله}[2]
والآية – كما يقول ابن تيمية – نزلت في النصارى[3] فهم مرادون من الآية قطعا[4].

وقبل أن يتوجّه ابن تيمية بإبطالاته التفصيلية لاستدلالات النصارى على عقيدتهم بكتابهم المقدس، يوجّه لهذا الاستدلال نقضا اجماليا يبطل به اعتمادهم من حيث المبدأ في اثبات تلك العقيدة على النصوص التى يأخذونها من هذا الكتاب؛ لما يلزم ذلك من الدور الباطل. فيقول :

إن «اثبات النصارى أن المسيح هو الله إمّا أن يكون بالعقل أو بالسمع، والعقل لا يثبت ذلك، بل يحيله، وهم لا يدّعون ثبوت ذلك بالعقل. – بل غاية ما يدّعون إثبات إمكانه بالعقل لا إثبات وجوده مع أن ذلك أيضا باطل – وانما يدّعون ثبوت وجوده بالسمع، وهو ما ينقلونه عن الأنبياء من ألفاظ يدّعون ثبوتها عن الأنبياء، ودلالتها على أن المسيح هو الله – كسائر من يحتج بالحجة السمعية، فان (غايته)[5] بيان صحة الاسناد دون بيان دلالة المتن. وكلا المقدمتين باطلة – ولكن يقال لهم – في هذا المقام :–

(١) أنظر تعريف المحكم والمتشابه هامش ص ٥٤١، ٥٤٢ من هذه الرسالة.

(٢) سورة آل عمران / آية ٧.

(٣) على أحد الأقوال. انظر الرازى / التفسير الكبير المجلد الرابع ج٧ ص ١٨٧.

(٤) ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٢ ص ٣٠٤.

(٥) في الكتاب (المرجع) مكتوبة (عامة) ولايستقيم المعنى بذلك.

«أنتم لا يمكنكم اثبات كون المسيح هو الله الاّ بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب الاّ باثبات أن الحواريين رسل الله معصومون، ولا يمكنكم إثبات أنهم رسل الله الاّ باثبات أن المسيح هو الله، فصار ذلك دورا ممتنعا*.

فإنه لا تعلم الهية المسيح الاّ بثبوت هذه الكتب، ولا تثبت هذه الكتب الاّ بثبوت أنهم رسل الله، ولا يثبت ذلك الاّ بثبوت أنه الله، فصار ثبوت الالهية متوقفًا على ثبوت الهيته، وثبوت كونهم رسل الله متوقفا على كونهم رسل الله، فصار ذلك دورا ممتنعا»[1].

فليس للنصارى حجة لا في ظاهر نصوص الكتب المقدسة ولا باطنها كما سيبيّن لنا ذلك ابن تيمية.

وسنستعرض في هذا المقام إبطال ابن تيمية لاستدلالات النصارى على بنوة المسيح وألوهيته بالتوراة ثم بالانجيل.

أولا : ابطال أدلتهم من التوراة :

أ - يستشهد النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح لله - تعالى - وأبوة الله له : وبالتالى على ألوهية المسيح - يستشهدون ببعض نصوص التوراة التى تتضمن هذه الألفاظ الدالة على تلك العقائد، فقد قالوا - كما ذكر عنهم شيخ الاسلام :

---

* الدور هو : توقف الشيء على نفسه، أي يكون هو نفسه علة لنفسه، بواسطة أو بدون واسطة. والدور مستحيل بالبداهة العقلية.
أنظر : عبد الرحمن الميدانى / ضوابط المعرفة / ص ٣٣٣ ط٢.

(١) الجواب الصحيح ج١ ص٣٥٧.

نحن معشر النصارى لم نسمِ المسيح بهذه الأسماء من ذات أنفسنا، بل الله سماه بها، وذلك أنه قال على لسان موس النبي في التوراة مخاطبا بني اسرائيل «أليس هذا الأب الذى صنعك وبراك واقتناك[1]»[2].

أى أن أسم الأب، أو كلمة الأب قد استعملت في التوراة بالنسبة لله – عز وجل –، فلم يكونوا – في نظر أنفسهم – هم المبتدعين لتلك الكلمة في حق الله – عز وجل – ولا ما تستتبعه تلك الكلمة من البنوة بالنسبة للمسيح.

وقد أجاب ابن تيمية على ذلك بقوله :

إن في هذا الكلام أنه سماه أبا لغير المسيح – عليه السلام – وهذا نظير قوله لاسرائيل : « أنت ابني بكرى[3]»، ولداود « ابني وحبيبي »[4]

وقول المسيح : «أبى وأبيكم»[5]. وهم يسلّمون أن المراد بهذا في حق غير المسيح بمعنى الرب، لا بمعنى التولّد الذى يخصّون به المسيح.

ثم إن هذا الدليل الذى يستدلون به على بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته هو حجة عليهم، فاذا كان في الكتب المتقدمة تسميته أبا لغير المسيح، وليس المراد بذلك الا معنى الرب، علم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الرب، فيجب حمله في حق المسيح على هذا المعنى، لأن الأصل عدم الاشتراك في الكلام، وأن أستعماله في المعنى الذى خصو به المسيح، انما يثبت اذا علم أنه

---

(١) النص موجود في سفر التثنية (٣٢ : ٦) ولفظه : «أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وانشأك».

(٢) نقلا عن الجواب الصحيح ج٢ ص ١٢١.

(٣) سفر الخروج ٤ : ٢٢ و٢٣.

(٤) مزمور ٨٩ : ٢٦، ٢٧.

(٥) يوحنا ٢٠ : ١٧.

أريد به المعنى الذى ادعوه في المسيح، فلو أثبت ذلك المعنى بمجرد أطلاق لفظ الأب لزم الدور. فانه يعلم أنه أريد به ذلك المعنى، من حيث يثبت أنه كان يراد به في حق الله هذا المعنى، ولا يثبت ذلك حتى يعلم أنه أريد به ذلك المعنى في حق المسيح. فاذا توقف العلم بكل منهما على الآخر لم يعلم واحد منهما. فتبين أنه لا علم عندهم بأنه أريد في حق المسيح بلفظ الأب ماخصوه به في محل النزاع.

ثم أنه لا يوجد في كتب الأنبياء وكلامهم اطلاق اسم الأب، والمراد به أب اللاهوت ولا اطلاق اسم الابن، والمراد به شيء من اللاهوت، ولا كلمته ولا حياته، بل لا يوجد لفظ الابن الاّ والمراد به المخلوق، فلا يكون لفظ الابن الاّ لابن مخلوق، وحينئذ فيلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت، وهذا يبطل قولهم :

ان الابن وروح القدس صفتان لله، وان المسيح اسم للاهوت والناسوت.

فتبيّن أن نصوص كتب الأنبياء تبطل مذهب النصارى، وتناقض أمانتهم...[1]

ب - قالوا (أى النصارى) : وقال داود في الزبور في المزمور المئة والعاشر :

«قال الرب لربى اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطىء قدميك»[2]

ووجه استدلالهم بهذا الدليل هو قولهم :

---

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ١٢٣.

(٢) فقرة / ١.

«لا يمكن أن نجد لهذا التعبير حلا، من غير الايمان بالمخاطبة الأزلية بين الآب والأبن، واليقين بأن الله الناطق كان يكلّم ذاته الالهية»[1]

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك من وجوه :

أحدها : أنه لا يجوز أن يراد بربى شيئا من صفات الله، فانه لم يسمِ داود ولا أحد من الأنبياء شيئا من صفات الله ربا ولا ابنا، ولا قال أحد لشيء من صفات الله : يارب ارحمنى، ولا قال لعلم الله أو كلامه أو قدرته : يارب. واذا لم يكونوا يسمون صفات الله ربا، فلو كان المسيح صفة من صفاته لم يجز أن يكون هو الله المراد بلفظ الرب، فكيف وناسوته أبعد عن اللاهوت أن يراد بذلك؟

فعلم أنهم لم يريدوا - داود وغيره - بذلك لا اللاهوت ولا الناسوت .

الثاني : انه قال : «قال الرب لربى...» فأضاف اليه الثاني دون الأول، لأنه هو ربه الذى خلقه، وعامة ماعند النصارى من الغلو أن يقولوا :

إله حق من إلهٍ حق، ويجعلونه خالقا بأن يجعلوه أحق من الأب بكونه ربّ داود. فهذا لم يقولوه. وهو ظاهر البطلان.

الثالث : انه قال : «لربي»، وهذ يراد به السيد، كما قال يوسف : {إنه ربي أحسن مثواى}[2]، وقال لغلام الملك :{أذكرنى عند ربك}[3]، وقال تعالى : {فأنساه الشيطان ذكر ربه}[4]

---

(١) القس الياس مقار / ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ١١٧.

(٢) سورة يوسف / آية ٢٣.

(٣) سورة يوسف / آية ٤٢.

(٤) سورة يوسف / آية ٤٢.

ولهذا ذكر الأول مطلقا، والثاني مقيدا، فيكون المعنى : وقال الله لسيدى، قال رب العالمين لسيدى، وسماه سيدا تواضعا من داود، وتعظيما له لاعتقاده أنه أفضل منه»[1]

ج – ومن النصوص التى استشهد بها النصارى علي عقيدتهم من التوراة ما جاء على لسان داود في الزبور الثانى من قوله : «قال لى (الرب) : انت ابني وأنا اليوم ولدتك»[2]

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك من وجوه :

أحدها : ان هذا ليس فيه تسمية صفات الله (علمه وحياته) ابنا، وليس فيه حجة لشيء مما تدّعون.

الثانى : ان هذا حجة عليهم، فإنه سمى داود ابنا، فعلم أن اسم الابن ليس مختصا بالمسيح –عليه السلام – بل سمى غيره من عباده ابنا، فعلم أن أسم الابن ليس لصفاته، بل هو اسم لمن رباه من عبيده.

وحينئذ فلا تكون تسميته ابنا لكون الرب أوصفته اتحدت به، بل كما سمى داود ابنا، وكما سمى اسرائيل ابنا فقال : «أنت ابنى بكرى»، وهذا في كتبهم كماذاك في كتبهم، فلا حجة فيه؛ لأن قول غير المعصوم ليس بحجة.

الثالث : إن قوله : «وأنا اليوم ولدتك» يدل على حدوث هذا الفعل، وعندهم تولّد الكلمة – التى سموها الابن – من الأب قديم أزلى، كما قالوا في أمانتهم :

---

(٢) الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٣٧/٢٣٨.

(١) فقرة /٧.

«وبرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، واله حق من اله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو الأب في الجوهر، الذى به كان كل شيء ».

فهذا الابن عندهم مولود من الأب قبل كل الدهور، وذلك ولده في يوم خاطبه بعد خلق داود، فلم يكن فى هذا المحدَث دليل على وجود ذلك القديم.

الرابع : انه اذا كان الأب في لغتهم هو الرب الذى يربّي عبده أعظم

مما يربي الأب ابنه، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة، فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختار.

والنصارى قد يجعلون الخطاب الذى هو ضمير لغير المسيح، يراد به المسيح. فقد يقولون : المراد بهذا المسيح. وهذا باطل، لا يدل اللفظ عليه.

وبتقدير صحته فهو يدلّ على أن المسيح هو الناسوت المخلوق، وهو المسمى بالابن. كقوله : «وأنا اليوم ولدتك»، واللاهوت عندهم مولود من قبل كل الدهور. وحينئذ فإن كان المراد به : يوم ولادته، فالمعنى خلقتك، وان كان يوم اصطفاه، فالمراد : اليوم اصطفيتك واجتبيتك، كأنه قال : اليوم جعلتك ولداً وابنا على لغتهم»(١).

وغاية ما يقال للنصارى في احتجاجهم بما ورد في التوراة من ألفاظ البنوة والأبوة والولادة أن كل هذه الألفاظ تستعمل في حق غيرالمسيح، فلها إذن معنى غير المعنى الذى يريده النصارى في حق المسيح، فلا وجه عند النصارى في أن يتحكموا ويفرضوا ما يفرضونه من المعاني لتلك الألفاظ خاصة بالمسيح،

---

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٣٨/٢٣٩.

مادامت ترد بمعان أخرى، هذا لو صح ورود تلك الألفاظ، فما بالك ورواية غير المعصوم لا يمكن القطع بصحة ثبوتها، ومن ثَم لا يمكن الاحتجاج بها.

ثانيا : إبطال أدلتهم من الإنجيل :

يستشهد النصارى على عقيدتهم في بنوة المسيح لله، وأبوة الله له، وبالتالي على ألوهية المسيح - يستشهدون ببعض نصوص الأناجيل التى تتضمن هذه الألفاظ دالة على تلك العقائد، فقالوا - كما ذكر عنهم شيخ الاسلام (١) - بورود ذلك في الإنجيل في قوله :

««عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس»(٢)

وقد ردّ ابن تيمية على ذلك بقوله :

«هذا النص هو عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة، وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصاً ولا ظاهراً، فان لفظ الابن لم يستعمل قط في الكتب الالهية في معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه، ولا سموا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سمواعبيده أو عباده ابنه أو بنيه، واذا كان كذلك فدعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله، وكلامه، دعوى في غاية الكذب على المسيح. وهو حمل للّفظ على مالم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازا، فأي كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا. ولو كان لفظ الابن يستعمل في صفة الله لسميت حياته ابنا، وقدرته ابنا، فتخصيص العلم بلفظ الابن دون الحياة خطأ ثانٍ لو كان لفظ الابن يستعمل في صفة الله، فكيف إذا

---

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ١٣١.

(٢) متّى ٢٨ : ١٩.

لم يكن كذلك...

بل ظاهر هذا الكلام أن يعمدوهم باسم الأب الذى يريدون به في لغتهم الرب، والابن الذى يريدون به في لغتهم المربّى، وهو هنا المسيح. والروح القدس الذى أيّد الله به المسيح من الملك والوحى وغير ذلك. وبهذا فسّر هذا الكلام من فسّره من أكابر علمائهم»[1].

٢ - ابطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم بالقرآن الكريم:

يستدل النصارى على صحة عقيدتهم في بنوة المسيح لله - عز وجل - بما يدّعونه ويتأوّلونه كعادتهم من آيات الكتاب الحكيم فيقولون :

(١) «انه قد جاء في هذا الكتاب - يقصدون القرآن الكريم - الذى جاء به هذا الانسان - أى محمد صلى الله عليه وسلم :- {انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه}[2] ويقولون :

وهذا يوافق قولنا : «ان المسيح لاهوت وناسوت»، إذ قد شهد (القرآن) أنه انسان مثلنا بالناسوت الذى أخذ من مريم، وكلمة الله وروحه المتحدة فيه. وحاشا أن تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين. فأشار بهذا الى اللاهوت الذى هو كلمة الله الخالقة»[3].

---

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ١٣١ - ١٣٤ بتلخيص.

(٢) سورة النساء / آية ١٧١.

(٣) نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٧٩.

وقد ردّ ابن تيمية على استشهادهم هذا في كتابه الجواب الصحيح[1] - بقوله : «ان دعواكم - أيها النصارى - على محمد صلى الله عليه وسلم أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت كما تزعمون أنتم فيه. هى من الكذب الواضح المعلوم على محـــمــد صلى الله عليــه وسلم، الذى يعلم من دينه بالاضطرار كما يعلم من دينه تصديق المسيح - عليه السلام - واثبات رسالته».

فلو ادعى اليهود على محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان يكذّب المسيح - عليه السلام - ويجحد رسالته، كان كدعوى النصارى عليه أنه كان يقول : أنه ربّ العالمين، وان اللاهوت اتحد بالناسوت، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر فيما بلغه عن الله - عز وجل - بكفر من قال ذلك، وبما يناقض ذلك في غير موضع. كقوله تعالى : {لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا...} الآية[2].

وقوله تعالى : {لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}[3].

وقوله تعالى : {وقالت اليهود عزير بن الله وقالــت النصــارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون}[4].

---

(١) ج٢ ص ٢٧٩/٢٨٠ بتصرف قليل.

(٢) سورة المائدة / آية ١٧.

(٣) سورة المائدة / آية ٧٢.

(٤) سورة التوبة / آية ٣٠.

الى غير ذلك من أمثال هذه الآيات.

فكيف يزعمون أن القرآن يثبت لاهوت المسيح وهو يكفّر صراحة - كما رأينا - من يثبت بنوته لله - تعالى - وألوهيته.

(٢) ويقولون أيضا في استدلالهم على ألوهية المسيح يآيات الكتاب الكريم في موضع آخر : ان الله قد سماه كذلك في هذا الكتاب (خالقا)، حيث قال : {واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني}[١].

فأشار (والكلام للنصارى) بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذة من مريم؛ لأنه كذا قال على لسان داود النبي - عليه السلام - :

«بكلمة الله خلقت السموات والأرض[٢] أى ليس خالق الاّ الله، وكلمته، وروحه. ويقولون :

وهذا مما يوافق رأينا، واعتقادنا في السيد المسيح لنكره؛ لأنه حيث قال: {أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله} الآية[٣].

أى باذن اللاهوت الكلمة المتحدة في الناسوت[٤].

وقد أجاب ابن تيمية على ذلك بقوله :

«ان جميع ما يحتج به النصارى من هذه الآيات - وغيرها - هو حجة عليهم لا لهم. وذلك من وجوه :

---

(١) سورة المائدة / آية ١١٠.

(٢) مزمور ٣٣ - ٦ ولفظه «بكلمة الرب صنعت السموات، وبنسمة فيه...».

(٣) سورة آل عمران / آية ٤٩.

(٤) نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٨٧.

الوجه الأول: ان الله لم يذكر عن المسيح خلقا مطلقا، ولا خلقا عاما. كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى، فأول ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم {اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم}(١).

وقال تعالي : {هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى...}الآية(٢).

فذكر عن نفسه بأنه الخالق البارىء المصور، ولم يصف قط شيئا من المخلوقات بهذا لا ملَكا ولا نبيا.

كذلك قوله تعالى : {الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل له مقاليد السموات والأرض}(٣).

وقال تعالى : {وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم}(٤).

ووصف نفسه بأنه ربّ العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، وأنه له الملك وله الحمد، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه على كل شىء قدير، وبكل شىء عليم... ونحو ذلك من خصائص الربوبية، ولم يصف شيئا من مخلوقاته لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بشىء من الخصائص التى يختص بها، والتى وصف بها نفسه سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة العلق / آية ١ – ٥.

(٢) شورة الحشر / آية ٢٤.

(٣) سورة الزمر / آية ٦٢.

(٤) سورة الأنعام / آية ١٠٠، ١٠١.

وأما المسيح – عليه السلام – فقال فيه : {واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني...} الآية[1].

وقال المسيح عن نفسه : { أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحي الموتى باذن الله...} الآية[2].

فلم يذكر الاّ خلق شيء معين خاص باذن الله، فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك.؟!

الوجه الثاني : انه خلق من الطين كهيئة الطير. والمراد به :

تصويره بصورة الطير. وهذا الخلق يقدرعليه عامة الناس، فانه يمكن أحدهم أن يصوّر من الطين كهيئة الطير، وغير الطير من الحيوانات. والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيرا باذن الله – عز وجل – وليس مجرد خلقه من الطين، فان هذا أمر مشترك.

الوجه الثالث : ان الله أخبر أن المسيح إنما فعل التصوير المحرم والنفخ باذنه تعالى، وأخبر المسيح – عليه السلام – أنه فعله باذن الله، وأخبر الله أن هذا من نعمه التى أنعم بها على المسيح – عليه السلام –، كما قال

---

(١) سورة المائدة / آية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران / آية ٤٩.

تعالى : {ان هو الاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل}[1].

وقال تعالى له : { ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني واذ تخرج الموتى بإذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات...} الآية[2].

وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وانما هو عبد الله، فعل ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك غيره من الأنبياء. وصريح بأن الآذن غير المأذون له، والمعلِّم ليس هو المعلَّم، والمنعِم عليه وعلى والدته ليس هواياه، كما ليس هو والدته.

الوجه الرابع : إنهم قالوا : أشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت، ثم قالوا في قوله : {بإذن الله} أى باذن الكلمة المتحدة في الناسوت. وهذا يبيّن تناقضهم وافتراءهم على القرآن؛ لأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله، ففرّق بين المسيح وبين الله، وبيّن أن الله هو الآذن للمسيح. وهؤلاء زعمهم أن مراده بذلك أن اللاهوت المتحد بناسوت المسيح هو الخالق، وهو الآذن، فجعلوا الخالق هو الآذن، وهو تفسير للقرآن بما يخالف صريح القرآن.

الوجه الخامس : إن اللاهوت اذا كان هو الخالق لم يحتج الى أن يأذن لنفسه، فانهم يقولون : هو اله واحد، وهو الخالق، فكيف يحتاج أن يأذن

---

(١) سورة الزخرف / آية ٥٩.

(٢) سورة المائدة / آية ١١٠.

لنفسه، وينعم على نفسه؟!

الوجه السادس: ان الخالق اما أن يكون الذات الموصوفة بالكلام، أو الكلام الذى هو صفة للذات، فإن كان هو الكلام، فالكلام صفة لا تكون ذاتا قائمة بنفسها خالقة، ولو لم تتحد بالناسوت، واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لوكان الاتحاد ممكنًا، فكيف وهو ممتنع؟!

وان كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام، فذاك هو الله الخالق لكل شيء ربّ العالمين، وعندهم هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب فلا يكون هو الخالق لكل شيىء، والقرآن يبيّن أن الله هو الذى أذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير، فتبيّن أن الذي خلق من الطين كهيئة الطير ليس هو الله، ولا صفة من صفاته، فليس المسيح هو الله، ولا ابن قديم أزلي لله، ولكن عبده فعل باذنه.

الوجه السابع : قولهم : فأشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبى : «بكلمة الله خلقت السموات والأرض». فيقال لهم :

هذا النص عن داود حجة عليكم، كما أن التوراة والقرآن، وسائر ماثبت

عن الأنبياء حجة عليكم، فان داود – عليه السلام – قال : «بكلمة الله خلقت السموات والأرض» ولم يقل : ان كلمة الله هى الخالقة، كما قلتم أنتم : انه أشار بالخالق الى كلمة الله.

والفرق بين الخالق للسموات والأرض وبين الكلمة التى بها خلق السموات والأرض أمر ظاهر معروف، كالفرق بين القادر والقدرة. فإن القادر هو الخالق، وقد خلق الأشياء بقدرته، وليست القدرة هى الخالقة...

فالله تعالى يخلق بقدرته ومشيئته وكلامه، وليست صفاته هي الخالقة.

الوجه الثامن: إن قول داود - عليه السلام - «بكلمة الله خلقت السموات والأرض» يوافق ما جاء في القرآن والتوراة، وغير ذلك من كتب الأنبياء. ان الله يقول للشيء : {كن فيكون}، وهذا في القرآن في غير موضع، وفي التوراة قال الله : «ليكن كذا، ليكن كذا».

الوجه التاسع : قولهم : لأنه ليس خالق الاّ الله وكلمته وروحه،

ان أرادوا بكلمته كلامه، وبروحه حياته فهذه من صفات الله، كعلمه وقدرته، فلم يعبر أحد من الأنبياء عن حياة الله بأنه روح الله، فمن حمل كلام أحد من الأنبياء بلفظ الروح انه يراد به حياة الله، فقد كذب عليه، ثم يقال : هذا كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته، وحينئذ فالخالق هو الله وحده وصفاته داخلة في مسمى اسمه، لا يحتاج أن تجعل معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن بأن الله له شريك في خلقه، فان الله لا شريك له. ولهذا لما قال تعالى : {الله خالق كل شيء}، دخل كل ماسواه في مخلوقاته، ولم تدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه، لأن هذه داخلة في مسمى اسمه ليست أشياء مباينة له...

وان أرادوا بكلمته وروحه المسيح، أو شيئا اتحد بناسوت المسيح، فالمسيح - عليه السلام - كله مخلوق كسائر الرسل، والله وحده هو الخالق...

الوجه العاشر : إن داود - عليه السلام - لا يجوز أن يريد بكلمة الله المسيح؛ لأن المسيح عند جميع الناس هو اسم للناسوت، وهو عند النصاري اسم اللاهوت والناسوت لما اتحدا، والاتحاد فعل حادث عندهم، فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوت ولا مايسمى مسيحا، فعلم أن داود لم يرد بكلمة الله المسيح،

ولكن غاية النصارى أن يقولوا : أراد الكلمة التى اتحدت فيها - أى مريم - بجسد المسيح، لكن الذى خلق بإذن الله هو المسيح، كما نطق به القرآن بقوله : {ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين}[1].

فالكلمة التى ذكرها، وانها هى التى بها خلقت السموات والأرض ليست هى المسيح الذى خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله.

فاحتجاجهم بهذا (أى بأن المسيح باعتباره كلمة الله خلق أشياء) على (الكلمة الخالقة باذنه) هذا احتجاج باطل، بل تلك الكلمة التى بها خلقت السموات والأرض لم يكن معها ناسوت حين خلقت باتفاق الأمم، والمسيح لابدّ أن يدخل فيه الناسوت، فعلم أنه لم يرد بالكلمة المسيح[2].

(٣) ويستشهد النصاري أيضا على صحة بنوة المسيح لله وألوهيته بقوله تعالى : {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب...} الآية[3]

فقالوا :

قد عنى بقوله : (مثل عيسى) اشارة الى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكر هنا اسم المسيح، انما ذكر عيسى فقط.

وكما أن آدم خلق من غير جماع ومباضعة، فكذلك جسد المسيح خلق من غير جماع ولا مباضعة، وكما أن جسد ادم ذاق الموت، فكذلك جسد المسيح ذاق الموت.

---

(١) سورة آل عمران / آية ٤٥.

(٢) أنظر : الجواب الصحيح ج٢ من ص ٢٨٧ الى ص ٢٩٣.

(٣) سورة آل عمران / آية ٥٩.

وقالوا كذلك :

وقد يبرهن على عقيدتنا أيضا بما ذكره القرآن عن المسيح من أن الله ألقى كلمته الى مريم، وذلك حسب قولنا : ان كلمة الله الأزلية الخالقة حلت في مريم وتجسدت بانسان كامل[1].

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك بما يأتي :

أولا : «ان قوله تعالى : {ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون}. كلام حق. فانه سبحانه خلق هذا النوع البشرى على الأقسام الممكنة؛ ليبيّن عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فانّ حواء خلقت من ضلع آدم، وهذ أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء؛ فلهذا شبّهه الله بخلق آدم الذى هو أعجب من خلق المسيح، فاذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الانسان، أفلا يقدر أن يخلقه من أمرأة هى من جنس بدن الانسان؟ وهو سبحانه خلق آدم من تراب، ثم قال له (كن) فكان لما نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له (كن) فكان. ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتا وناسوتاً، بل كله ناسوت، وكذلك المسيح كله ناسوت.

وهذا كله يبين به إن المسيح عبد ليس بإله، وأنه مخلوق، كما خلق آدم.

---

(١) أنظر :ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٩٤.

وقد أمر (الرسول صلى الله عليه وسلم) أن يباهل[1] من قال أنه اله فيدعوا كل من المتباهلين أبنائه ونسائه وقريبه المختص به ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء يدعون الله أن يجعل لعنته على الكاذبين، فإن كان النصارى كاذبين في قولهم : هو الله، حقت اللعنة عليهم. وإن كان من قال ليس هو الله بل عبد الله كاذبا، حقت اللعنة عليه، وهذا إنصاف من صاحب يقين يعلم أنه على الحق.

والنصارى لما لم يعلموا أنهم على حق نكلوا عن المباهلة. وقد قال تعالى

---

(١) معنى المباهلة : نبتهل أى نتباهل بأن نلعن الكاذب منا. والبُهلة والبَهلة بالضم والفتح : اللعنة. وقد جاء في شأن المباهلة ما يلى :

«قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران، ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يؤل أمرهم : العاقب : أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذى لا يصدرون الاّ عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد، لهم ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بنى بكر بن وائل، أسقفهم، وحبرهم، وامامهم، وصاحب مدراسهم...

وناظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، وأنزل فيهم صدر سورة آل عمران، ولمّا ظهرت حجته عليهم، وتبيّن لهم أنه رسول الله اليهم، أمره الله أن لم يجيبوه أن يدعوهم الى المباهلة، فقال تعالى : {فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين} سورة آل عمران / آية ٦١.

فلما دعاهم الى المباهلة طلبوا أن يمهلهم حتي يشتوروا، فاشتوروا، فقال بعضهم لبعض : تعلمون أنه نبي، وأنه ماباهل قوم نبيا الاّ نزل بهم العذاب، فاستعفوا من المباهلة فصالحوه، وأقرّوا له بالجزية عن يد وهم صاغرون؛ لمّا خافوا من دعائه عليهم، لعلمهم أنه نبي، فدخلوا تحت حكمه، كما يدخل أهل الذمة الذين في بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله، وأدّوا اليه الجزية عن يد وهم صاغرون وهم أوّل من أدّى الجزية من النصارى.

أنظر ابن هشام / السيرة النبوية ج٢ ص ١٥٨، ١٦٠، ١٦١.

أنظر كذلك / ابن تيمية / الجواب الصحيح ج١ ص ٥١، ٥٧.

وانظر كذلك عن المباهلة مسند الامام أحمد ج١ ص ٤١٤.

عقب ذلك : {إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلاّ الله...} الآية[1] تكذيبا للنصارى الذين يقولون : هو إله حق من إله حق فكيف يقال : إنه أراد أن المسيح فيه لاهوت وناسوت وأن هذا الناسوت فقط دون اللاهوت.؟

وبهذا ظهر الجواب عن قولهم : أعني بقوله (عيسى) أشارة الى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة؛ لأنه لم يذكر الناسوت هاهنا اسما للمسيح، انما ذكر عيسى فقط.

فإنه يقال لهم : عيسى هو المسيح بدليل قوله تعالى : {إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه...} الآية[2] وقوله تعالى : {ما المسيح بن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل...} الآية[3] فأخبر أن المسيح ليس هو ابن الله وانما هو ابن مريم، والذى هو ابن من مريم هو الناسوت، وأنه ليس إلاّ رسول.

وقال تعالى : { وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قوله بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون}[4].

وقال تعالى {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا}[5].

---

(١) سورة آل عمران / آية ٦٢.
(٢) سورة النساء / آية ١٧١.
(٣) سورة المائدة / آية ٧٥.
(٤) سورة التوبة / آية ٣٠.
(٥) سورة المائدة / آية ١٧. وانظر هذا الرد في الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٦ بتلخيص.

ثانيا : وقولهم : «وقد يبرهن أيضا (أى على عقيدتهم في المسيح من أنه إله وابن إله) بما ذكره القرآن عن المسيح من أن الله ألقى كلمته الخالقة الى مريم، وذلك حسب قولنا نحن معشر النصارى : ان كلمة الله الخالقة الأزلية حلت في مريم، واتحدت بانسان كامل»[1]

فيقال لهم : «أما قول الله في القرآن فهو حق، ولكن ضللتم في تأويله كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الأنبياء، ومابلّغوه عن الله، وذلك أن الله تعالى قال : {اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت ربّ أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر. قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون}[2].

ففي هذا الكلام وجوه تبيّن أنه مخلوق، ليس هو ما يقوله النصارى، منها: أنه قال (بكلمة منه)، وقوله : (بكلمة منه) نكرة في الاثبات، يقتضى أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى.

ومنها : أنه بيّن مراده بقوله : (بكلمة منه) أنه مخلوق، حيث قال : {كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}[3]

وقال في الآية الأخرى : {ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}[4]

---

(١) نقلاً عن ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٩٤.

(٢) سورة آل عمران / آية ٤٥ – ٤٧.

(٣) سورة آل عمران / آية ٤٧.

(٤) سورة آل عمران / آية ٥٩.

وقال تعالى أيضا : { ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون}(١)

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبيّن أنه قال له : (كن) فكان، وهذا تفسير كونه (كلمة منه).

وقال :(اسمه المسيح عيسى بن مريم)، فأخبر أنه «ابن مريم»، وأخبر أنه وجيها في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق. والله تعالى وكلامه الذى هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك.

وقال تعالى على لسان مريم : {أنّى يكون لى ولد}، فتبيّن أن المسيح الذى هو الكلمة هو ولد مريم، لا ولد الله سبحانه وتعالى...

فمع هذا البيان الواضح الجلي، هل يظن ظان أن مراده بقوله :

(وكلمته*) أنه اله خالق، أو أنه صفة لله قائمة به، وأن قوله : (وروح منه) المراد به : أنه حياته، أو روح منفصلة من ذاته؟!(٢)

ويستمر ابن تيمية في الردّ عليهم فيقول :

«أمّا قوله : (وكلمته)* فقد بيّن مراده، أنه خلقه بـ (كن)، وفي لغة العرب

---

(١) سورة مريم / اية ٣٤.

(٢) الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢٩٩ / ٣٠١ بتلخيص .

* أي في قوله تعالى : { يا أهل ا لكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيس بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ... } من سورة النساء آية / ١١٧ التي عقّب عليها شيخ الإسلام بهذا الكلام.

التى نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر، فيسمى المخلوق خلقا، كقوله تعالى : {هذا خلق الله}. ويقال : درهم ضرب الأمير، أى مضروب الأمير؛ ولهذا يسمى المأمور به أمرا، والمقدور قدرة وقدرا، والمعلوم علما، والمرحوم به رحمة...

ثم يقال للنصارى : فلو قُدّر أن المسيح نفس الكلام، فالكلام ليس بخالق، فان القرآن كلام الله وليس بخالق، والتوراة كلام الله وليست بخالقة، وكلمات الله كثيرة وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز أن يكون خالقا (ولا ربًا ولا الهًا) فكيف وليس هو الكلام، وانما خلق بالكلمة، وخصّ باسم الكلمة؛ لأنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذى خلق عليه غيره، بل خرج عن العادة، فخلق بالكلمة من غير السنّة المعروفة في البشر»[1].

ولنا في هذا المقام كلمة :

بعد ردود ابن تيمية على النصارى فيما يستشهدون به على عقيدتهم من آيات القرآن، فاذا كانوا يستشهدون بآيات القرآن على أنها من كلام الله، أو من كلام محمد صلى الله عليه وسلم، ليأخذوا جملة العقيدة التى أوحى بها الله أو العقيدة التى يعتقدها محمد صلى الله عليه وسلم - ليأخذوا ذلك من جميع نصوص القرآن الواردة في الموضوع، فلا يقتصرون على جملة هنا أو جملة هناك، فالتعبيرات القرآنية عن المسيح بأنه كلمة الله أو روح من الله، لابدّ وأن تفهم على ضوء الآيات الأخرى التى تنفي ألوهية المسيح وبنوته، وتكفّر من يقول بهما، والتى تثبت براءة المسيح ممن يؤلّهه أو يؤلّه أمه، والتى تثبت كذلك اعترافه

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ٣٠١ / ٣٠٢ بتلخيص. وانظر كذلك للمؤلف نفسه مجموع الفتاوي الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ، ص ٢٧٧/٢٧٦.

ببشريته.

على ضوء ذلك كله لابدّ وأن تفسّر الآيات التى وصفت المسيح بأنه كلمة الله، وروح منه، والاّ فهو ايمان ببعض الكتاب، وكفر بالبعض الآخر كما هو ديدنهم.

فسواء اعتبر النصارى القرآن كلام الله أو كلام محمد صلى الله عليه وسلم فلابدّ من أن يأخذوا العقيدة القرآنية في المسيح من كل ماجاء في حقّه من آيات.

وهذا هو مافعله شيخ الاسلام، حيث جمع في مناقشتهم بين مايستشهدون به من آيات القرآن، وماغضوا الطرف عنه من الآيات الأخرى، وبذلك يكون التصور الكامل للعقيدة القرآنية في المسيح، وفي نفس الوقت يظهر بطلان استشهادهم على عقيدتهم الزائفة بآيات القرآن من جهة، وبطلان عقيدتهم نفسها من جهة أخرى.

٣- ابطال ابن تيمية لعقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته لمخالفتها للعقيدة الصحيحة في الله :

أولا : يبطل ابن تيمية دعوى النصارى ببنوة المسيح لله وألوهيته بقوله : لقد جاء النصارى من القول فى حق الله تعالى، وحق المسيح بما لو عرض على السماء لانفطرت أو على الأرض لا نشقت، أو على الجبال لانهدت. والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون من الخطأ، لايقولون على الله إلا الحق، ولاينقلون عنه إلا الصدق، فمن ادعى فى أخبارهم ما يناقض صريح المعقول، أو صحيح المنقول كان كاذبا، بل لابدّ أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح أو ذلك المنقول ليس بصحيح.

وكلام المسيح – عليه السلام – الموجود فى انجيل (متّى) – على فرض صحته – «عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس»

هذا الكلام ان كان صحيحا عن المسيح – عليه السلام – فانه أراد بالابن نفسه هو (الناسوت)، ولم يرد به صفة الله – كما يدعى النصارى – فتأولوا كلامه على خلاف ظاهره تأويلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول. فليس للمسيح خصوصية فى كلام الأنبياء توجب أن يكون هو الله وابن الله، ولكنهم يقولون منكر من القول وزورا، بل «ليس كلام المسيح ولا كلام سائر الأنبياء، ولاكلام غيرهم ان كلمة الله القائمة بذاته – سبحانه وتعالى – تسمى ابنا، ولا روح قدس، ولا تسمى صفته القديمة ابنا ولا روح قدس، ولا يوجد قط فى كلام الأنبياء اسم الابن واقعا إلاّ على مخلوق. والمراد فى تلك اللغة أنه مصطفى محبوب لله، كما ينقلون أنه قال لاسرائيل « أنت ابنى بكرى»، ولداود : « أنت أبنى وحبيبى». وان المسيح قال للحواريين : «أبى وأبيكم» فجعله أبا للجميع ، وهم كلهم مخلوقون. فيكون اسم الابن واقعا على المسيح، الذى هو

ناسوت مخلوق. فعمد هؤلاء الضُّلال فجعلوا اسم الابن واقعا على اللاهوت، قديم أزلي، مولود غير مخلوق. وزعموا ان المسيح ابنه بالطبع، وهو القديم الأزلى المولود غير المخلوق، وغير المسيح ابنه بالوضع وهو المخلوق.

وهذا التفريق هم أحدثوه وابتدعوه، ولا يوجد قط فى كلام المسيح ولا غيره أنه سمى القديم الأزلى ابنا، ولا جعل له ابنا قديما، مولودا غير مخلوق، ولا سمى شيئا من صفات الله قط ابنا» .

«فجعلوا لفظ الاب مشتركا بين معنيين، وأثبتوا لله طبعا، ،جعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع، وهذا يقرره قول من يفهم منه أنه ابنه البنوة المعروفة في المخلوقين، وأن مريم زوجة الله...

ومعلوم أن الاشتراك على خلاف الاصل، وآن اللفظ إذا استعمل فى عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئا فى القدر المشترك أولى من جعله مشتركا اشتراكا لفظيا، بحيث يكون حقيقة فى خصوص هذا وخصوص هذا، أو يكون مجازا فى احداهما، فان المجازوالاشتراك على خلاف الأصل، هذا إن قُدّر أن لفظ الابن استعمل في نطق الله - كما يزعم النصارى - فكيف اذا لم يوجد فى كلام الأنبياء أنهم قالوا لفظ الابن وأرادوا به شيئا من صفات الله، لا كلامه، ولا علمه، ولا غير ذلك، بل لم يوجد استعمال لفظ الابن فى كلام الأنبياء إلا فى شئ مخلوق، ونحن إذا فّسرناه ببنوة التربية كنا قد جعلنا اللفظ مفردا متواطئا، وهم يحتاجون أن يجعلوا اللفظ مشتركا أو مجازا فى أحد المعنيين، فكان تفسيرهم مخالفا لظاهر اللغة التى خوطبوا بها، ولظاهر الكتب التى بأيديهم، وتفسيرنا موافقا لظاهر لغتهم، وظاهر الكتب التى بأيديهم. وحينئذ فقد تبيّن أنه ليس مع النصارى حجة لا سمعية ولا عقلية توافق ما ابتدعوه،

ولكن فسّروا كلام الانبياء بما لا يدل عليه»[1].

وهكذا تفعل النصارى - وأمثالهم من أهل التحريف - بكلام الأنبياء، يحدثون لهم لغة مخالفة للغة الأنبياء، ويحملون كلام الأنبياء عليها[2].

ثانيا : ويبطل ابن تيمية دعوى النصارى «تولّد الابن من الأب» بما يلزم ذلك القول من تجزء الذات الالهية، وانفصال بعضها عنها، أو صدور شيء عنه وعن غيره، وكون ذلك اضطرارا وايجابا وهو ما يخالف العقيدة الصحيحة فى الله التى جاء بها الأنبياء عليهم السلام. يقول ابن تيمية :

«لم يبق للتولد الا معنيان :

أحدهما : أن ينفصل عنه جزء.

والثانى : ان يحدث عنه شئ، اما باختياره كأن يتكلم، واما بغير اختياره وقدرته، كحدوث الشعاع عن النار والشمس.

وكل من الأمرين لايكون الا عن أصلين، ولا بدّ أن يكون حادثا لا يكون من صفاته اللازمة له، فيمتنع أن يتولد عنه شئ أن لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما.

والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته ممتنع عند أهل الملل، المسلمين واليهود والنصارى، وسائر الأمم، سوى طائفة من المتفلسفة يقولون : انه موجب بذاته،

---

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ٩٩ ، ١٠٠ أنظر كذلك للمؤلف نفسه : مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٨٢ .

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٣ ص ١٨٧ .

مستلزم لما يصدر عنه، فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد. والنصارى تكّفر هؤلاء لكن قد ضاهوهم فى القول، كما قال تعالى : {وقالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون}[1]...

وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولداً جعلوه حادثا منفصلا عنه.

فأمّا جعل صفته القائمة به ولداً له ومولودا، فهذا لا يعرف عن غير النصارى فإذا أثبتوا له ولدا وآبنا غير مخلوق، والصفة القائمة به، اللازمة له لم تتولد عنه، ولاتسمى ابنا ولا ولدا عند أحد من الأنبياء وغيرهم، تعيّن أن يكون الولد : إمّا جزءا منفصلا عنه، واما معلولا له، صادرا عنه بغير قدرته ومشيئته. وأىّ القولين قالوه، فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل.

وبعض علمائهم وإن أنكر ذلك، ولكنهم يقولون بما يستلزم ذلك، ويشبهونه بالشعاع من الشمس، ويقولون عنه: الروح، هو منبثق من الله خارج منه.

وهذا كله يناسب الولادة التى هى خروج شئ منه، أو حدوث شئ عنه، بغير اختياره ومشيئته، ولا بدّ له – مع ذلك – من محل يقوم به، فان الشعاع لا يقوم الاّ بالأرض.

والأمر المنبثق الخارج من غيره اما أن يكون جوهرا قائما بنفسه أو صفة قائمة بغيرها.

فإن كان جوهرا فقد انفصل من الرب جزء. وان كان عرضا، فلا بد له من محل، فيكون متولدا عن أصلين.

---

(١) سورة التوبة / آية ٣٠ .

وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل تشبيه باطل، فان ذلك يحصل بقدرة الانسان ومشيئته، وهو حادث بعد أن لم يكن.

هذا إذا عرف أن مايقوم بقلب الانسان من علم وحكمة، يقال : انه يتولد عنه. ويقال : انه ابنه، مع أن هذا أمر غير معروف فى اللغات، ولو كان معروفا فى لغة بعض الأمم لم يجزْ أن يفسر به كلام الأنبياء أن لم يكن معروفا في لغتهم.

وأمّا مايدعونه، فانهم يقولون : ان الكلمة لازمة لذات الله أزلاً وأبداً، وهى مولدة منه، مع أنها غير مصنوعة، فهذا كلام متناقض وباطل...»[1].

وعند تفسير ابن تيمية لسورة الأخلاص فى فتاواه يدلي بنفس المعنى تقريبا فيقول :«الصمد هو الذى لم يخرج منه شئ، بمعنى انه لا يفارقه شئ منه، ولهذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد، وذلك أن الولادة والتولد، وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون الاّ من أصلين، وما كان من المتولّد عينا قائمة بنفسها فلابدّ لها من مادة تخرج منها، وما كان عرضا قائما بغيره فلابد له من محل يقوم به. فالأول : نفاه بقوله : (أحد)، فان الأحد هو الذى لا كفؤ له ولا نظير، فيمتنع أن تكون له صاحبة. والتولد انما يكون بين شيئين.

قال الله تعالى : {أنّى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شئ، وهو بكل شئ عليم}[2].

فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه، فإن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم، وبأنه خالق كل شئ وكل ماسواه مخلوق له، ليس فيه شئ مولود له.

---

(١) الجواب الصحيح / ج٣ ص ١٨٥ ، ١٨٧ .

(٢) سورة الأنعام / آية ١٠١ .

والثانى : نفاه بكونه سبحانه (الصمد)، وهذا المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من الأصلين، كتولد الحيوان من ابيه وأمه بالمنى الذي ينفصل من ابيه وأمه، فهذا التولد يفتقر إلى أصل آخر، وإلى أن يخرج منهما شئ، وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى، فإنه (أحد)، فليس له كفؤ يكون صاحبة ونظيرا، وهو (صمد)، لا يخرج منه شئ، فكل واحد من كونه أحدا، ومن كونه صمدا يمنع ان يكون والدا، ويمنع ان يكون مولودا بطريق الأولى والأحرى»[1].

ثالثا : وفى معرض رد ابن تيمية على قول ابن البطريق على لسان النصارى : ان كلمة الله الخالقة التى بها خلق كل شئ من جوهره ليست مخلوقه ولكن مولودة منه. يقول :

«مالم يعلم بالمعقول، فليس في المنقول مايدل عليه، وأنتم لا تدعون أنكم عرفتموه بالعقل، لكن بما نقل عن الأنبياء. وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته، وروح القدس بحياته، فعن أى نبى تنقلون أن علم الله وحكمته مولوده منه، وأنه يسمى ابنا، وأن علمه وحكمته خلق كل شئ، وأن حياته خلقت كل شئ، وأن علمه خالق وآله ورب، وحياته خالقه وآله ورب، وليس فى الأنبياء من سمى شيئا من صفات الرب ولدا له ولا ابنا، ولا ذكر أن الله ولد شيئا من صفاته. فدعواكم أن صفته القديمة الأزلية ولدت مرتين، مرة ولادة قديمة أزلية، ومرة ولادة حادثه من فرج مريم، كذب معلوم على الأنبياء لم يقل أحد منهم : أن الله ولد، ولا أن شيئا من صفاته ولده، لا ولادة روحانيه ولا ولادة جسمانية...»[2].

«وكل ولادة فى الكتب الالهية التى عندكم وغيرها، فهى ولادة حادثة

---

(١) مجموع الفتاوى ، الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٤٠ / ٢٤١ .

(٢) الجواب الصحيح / ج٣ ص ٥٦ .

زمانية. وكل مولود، فهو محدث مخلوق زمانى، ليس فى الكتب ولادة قديمة أزلية، ولا مولود قديم أزلى، كما ذكرتم ذلك فى أمانتكم وغيرها.

فلو كان ماذكرتموه ممكنا فى العقول، لم يجزأن تجعلوه موجودا واقعا، وتقولوا : الأنبياء أرادوا ذلك، الأ أن يكونوا بينوا أن ذلك مرادهم.

فإذا كان كلامهم صريحا فى أنهم لم يريدوا ذلك، والمعقول الصريح يناقض ذلك، كان ماقلتموه كذبا على الله وعلى أنبيائه ورسله ومسيحه، وكان باطلا فى المعقول....

ثم يقال : أنتم قلتم: «ان الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم، واحتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها» وقلتم : «ان مريم حملت بالاله الخالق وولدته، الذى هو الأبن».

فاذا جوّزتم أن تكون مريم هى أمّا للخالق الذى هو الابن، حملته وولدته فَلِمَ لا يجوز أن تكون زوجة للخالق الذى هو الأب، مع أن الخالق التحم من مريم...

واذا كان هذا ممتنعا وقبيحا، فذاك أشد امتناعا وقبحا»(١).

رابعاً : يورد ابن تيمية في وجه النصارى تنزيه الله لنفسه عمّا يعتقده النصارى من الصاحبة والولد، خلافا للعقيدة الصحيحة فيه عز وجل، فيقول :

لقد نزّه الله نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد، فقال تعالى : {ألا إنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون}(٢) وقال تعالى: {وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح ج٢ ص ٦٠ – ٦٢ باختصار وتلخيص .

(٢) سورة الصافات / آية ١٥١ ، ١٥٢ .

بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم}[1]. وقال تعالى : {لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد}[2].

وأمّا اتخاذ الولد، ففى مواضع متعددة كقوله تعالى : {وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك }[3] وقوله تعالى : { وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون }[4]. وقوله : { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون }[5]. وقوله : {ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض..} الآية[6].

وقوله : { لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء ...} الآية [7].

ثم قال : «وأهل الكتاب يذكرون فى كتبهم تسمية عباد الله الصالحين والمصطفين أبناء وتسمية الله أبا. وهذا اذا كان ثابتا عن الأنبياء فانهم لا يعنون به الاّ معنى صحيحا.

واللفظ قد يكون له فى لغة معنى، وله فى لغة أخرى معنى غير ذلك. والمراد بهذا الولد والابن، لاينافى كونه مخلوقا مربوبا عبداً لله عز وجل.

---

(١) سورة الأنعام / آية ١٠٠/١٠١ .

(٢) سورة الأخلاص / آية ٣ . ٤ .

(٣) سورة الإسراء / آية ١١١ .

(٤) سورة البقرة / آية ١١٦ ، ١١٧ .

(٥) سورة الأنبياد / آية ٢٦ .

(٦) سورة المؤمنون / آية ٩١ .

(٧) سورة الزمر / آية ٤ .

وأما تسمية شئ من صفات الله ابنا أو ولدا، فهذا لايعرف عن أحد من الأنبياء، ولا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى.

فمن فسّر كلام الأنبياء بغير لغتهم المعروفة، فهو ممن بدل كلامهم وحرفه، والنصارى من هؤلاء[1]».

خامسا : يقول النصارى :« ان الأب - عندهم - هو ابتداء الاثنين، والابن هو النطق، الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل»[2].

ويعلق ابن تيمية على قولهم هذا ، فيقول :

« قولكم : الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والابن : النطق، الذي هو مولود منه، كولادة النطق من العقل، قولكم هذا باطل؛ لأن صفات الكمال لازمة لذات الرب عزّ وجل أولا وآخرا، لم يزل ولا يزال حيا عالما قادرا، لم يصر حيًا بعد أن لم يكن حيًا، ولا عالما بعد أن لم يكن عالما.

فان قلتم : ان الأب الذي هو الذات هو ابتداء الحياة والنطق، اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق، فان ما كان ابتداء لغيره يكون متقدما عليه أو فاعلا له. وهذا في حق الله باطل.

أما قولكم : ان النطق مولود منه كولادة النطق من العقل، فان المولود من غيره متولّد منه، فيحدث بعد أن لم يكن كما يحدث النطق شيئا فشيئا، سواء أريد بالنطق العلم أو البيان. فكلاهما لم يكن لازما للنفس الناطقة، بل حدث فيها واتصفت به بعد أن لم يكن، وان كانت قابلة له، ناطقة له بالقوة، فاذا مثّلتم

---

(١) أنظر : الجواب الصحيح / ج٣ ص / ١٨٥ .
وكذلك مجموع الفتاوى الجزء الرابع من تفسير المجلد ١٧ ص ٢٦٨/٢٧٥ .

(٢) نقلاً عن ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٢ ص ٩٠ .

تولّد النطق من الرب كتولده من العقل، لزم أن يكون الرب كان ناطقا بالقوة، ثم صار ناطقا بالفعل، فيلزم إنه صار عالما بعد أن لم يكن عالما، وهذا من أعظم الكفر وأشده استحالة. فهو لا شئ غيره، يجعله متصفا بصفات الكمال بعد أن لم يكن متصفا بها، اذ كل ما سواه فهو مخلوق له، وكماله منه، فيمتنع أن يكون هو جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملا، وذلك دور ممتنع في صريح العقل، اذا كان الشئ لايجعل غيره متصفا بصفات الكمال حتى يكون هو متصفا بها، فإذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفا بها، لزم الدور الممتنع، وتبيّن بطلان كون نطقه متولّدا منه، كتولّد النطق من العقل، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له، ما هو مبدأ لها، متقدم عليها، أو فاعل لها»[1].

سادسا : ويقول النصارى أيضا : « ان المتحد بجسد المسيح هو الكلمة الذي هو العلم»[2].

وقد أجاب ابن تيمية على قولهم هذا، مثبتا بأن كلامهم هذا حجة عليهم لا لهم، حيث قال لهم :

« ان العلم صفة، والصفة لاتخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضا فهو عندكم خالق السموات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الاله المعبود وهو الاله الحي العالم القادر، وليس هو نفس الحياة، ولا نفس العلم والكلام فلو قال قائل : يا حياة الله، أو ياعلم الله، أو يا كلام الله، اغفر لي وارحمني، واهدني، كان هذا باطلا في

---

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ١٣٣ / ١١٤ .

(٢) نقلاً عن ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٢ ص ١١٥ .

صريـــح العقل؛ ولهـذا لم يجوّز أحد من أهل الملل أن يقال للتوراة أو الانجيل أو غـيـر ذلك من كـلام الله: اغـفـر لي وارحـمني، وانما يقـال لـلاله المتكلم بهـذا الكلام: اغفر لي وارحمني.

والمسيح – عليه السلام – عندكم – هو الاله الخالق، الذي يقال له : اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفس علم الله، وكلامه، لم يجز أن يكون الها معبودا، فكيف اذا لم يكن هو نفس علـم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه، حيث قال له : كن فكان ؟

فـتـبيّن من ذلك أن كلمـات الله كـثـيرة لا نـهاية لهـا، وفي الكتب الالهـيـة كالتوراة، أنه خلق الأشياء بكلامه، وكان في أول التوراة أنه قال : ليكن كذا، ليكن كذا ...

ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة، بل غايته أن يكون كلمة واحدة، إذ هو المخلوق بكلمة من كلمات الله عز وجل.

وان أمـانـتكم التى وضـعـهـا أكابركم بحـضـرة (قـسطنطين) وهـى عقـيدة إيمانكم التى جعلتموها أصل دينكم تناقض ما تدعونه من أن الإله واحد، وتبين أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه، وهذان أمـران معروفان فى دينكم ... فإن (الأمـانة) التى اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها : «نؤمن بإله واحد، أب ضابط للكل، خالق السموات والأرض، كل مايرى، وما لايرى ، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور على نور، اله حق من اله حق، من جوهر أبيه، مولود غيـر مخلوق، مسـاو للأب فى الجوهر، الذى به كان كل شيء ...».

فـفى هذه الأمـانة التى جعلتمـوها أصل دينكم، ذكـر الإيمان باله واحـد،

خالق السموات والأرض، خالق مايرى وما لايرى، فهذا هو ربّ العالمين الذى لا إله غيره ولاربّ سواه، وهو الذى دعت جميع الرسل إلى عبادته وحده لاشريك له، ونهوا أن يعبد غيره.

ثم قلتم : « ويرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور، اله حق من اله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو الأب في الجوهر.

فصرحتّم بالإيمان – مع خالق السموات والأرض – برب واحد، مخلوق مساو للأب، ابن الله الوحيد.، وقلتم : هو اله حق من اله حق من جوهر أبيه.

وهذ تصريح بالإيمان الهين أحدهما من الآخر.

وعلم الله القائم به، أو كلامه، أو حكمته القائمة به التي سميتموها ابنا، ولم يسمّ أحد من الرسل لصفة الله ابنا، ليس هو اله حق من اله حق، بل إله واحد، وهذه صفة الإله، وصفة الإله ليست بإله، كما أن قدرته وسمعه وبصره، وسائر صفاته ليست بآلهة، ولأن الإله واحد، وصفاته متعددة، والإله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها، والصفة قائمة بالموصوف، ولأنكم سميتم الإله جوهرا، وقلتم : هو القائم بنفسه، والصفة ليست جوهرا قائما بنفسه. وأنتم فى هذه الأمانة قد جعلتم الله والداً هو الأب، ومولوداً وهو الإبن، وجعلتموه مساوياً له في الجوهر. والمساوى ليسَ هو المساوى . فلا يساوى الأب في الجوهر إلا جوهر، فوجب أن يكون الإبن جوهرا ثانيا، وأنتم تقولون مع ذلك : إنما نثبت جوهرا واحدا. وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله تعالى : { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له

كفوا أحد}[1] ... »[2]

٤ - إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح لله وألوهيته باستلزامها المحالات العقلية :

أولاً : يذكر ابن تيمية أنه لوكان الأب والإبن الهين خالقين قديمين - كما يعتقد النصارى - واحتاج أحدهما إلى الآخر، للزم من ذلك امتناع احتياج أحدهما إلى الاخر فى وجوده، أو فيما يتم به وجوده؛ لما فى ذلك من الدور السبقى[3] المستحيل. بينما أن تلك هى عقيدة النصارى الباطلة التى يثبتون فيها قوام الأب فى خالقيته بالإبن الذى جعله واسطة فى الخلق، بحيث لاتتم خالقيته إلاّ به، وما يصير به الإبن قوام للأب على مقتضى عقيدتهم الباطلة هو مستفاد من الأب، وفى نفس الوقت فإن الإبن محتاج إلى الأب فى وجوده، فكلاهما محتاج إلى الآخر. وهذا باطل - كما قلنا - لما فيه من دور سبقى مستحيل.

---

(١) سورة الاخلاص .

(٢) الجواب الصحيح / ج٢ ص ١١٥/١١٨ بتصرف قليل ، وكذلك المرجع نفسه ج٢ ص ٢٤٩ / ٢٥٠

وأنظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموع الفتاوى الجزء الرابع من تفسير المجلد ١٧ ص ٢٧٥ / ٢٧٧

(٣) الدور السبقّي أو القَبْليّ هو : أن يكون وجود الشئ سابقاً علي وجوده نفسه وفي هذا تناقض ظاهر . مثال : الكون وجد بنفسه من العدم المطلق .

ففي هذا الكلام دور مرفوض عقلاً ، اذ يقتضي أن يكون الكون علة لنفسه ، وأن يكون معلولاً لها بآن واحد ، والعلّة تقتضي سبق المعلول ، وبما أن العلّة بحسب الدعوى هي نفس المعلول ، فإن هذا الكلام يقتضي أن يكون وجود الشئ سابقاً على وجوده نفسه . أي أن يكون الكون بوصفه علّة هو موجود ، وبوصفه معلولاً هو غير موجود مع أنه شئ واحد لا شيئان . فهو اذن (موجود وغير موجود) في آن واحد . وهذا تناقض .

أنظر / عبد الرحمن الميداني / ضوابط المعرفة ص ٣٣٣ / ٣٣٤ .

يقول ابن تيمية :

« إن ذلك المخلوق (أى المسيح) إن قدّر أنه موجود بنفسه، قديم، أزلى – على عقيدتهم – فليس هو مخلوقا، ومع هذا فيمتنع أن يكون كل من القديمين الأزليين محتاجا إلى الآخر، سواء قدّر أنه فاعل له، أو تمام الفاعل له، أو كان مفتقرا إليه بوجه من الوجوه لم يكن موجوداً إلاّ به، فإن الموجود لايكون موجوداً إلا بوجود لوازمه، وما لايتم وجوده إلاّ به، فكل ما قدر أنه محتاج إليه لم يكن موجوداً إلاّ به، فإذا كان كل من القديمين محتاجاً إلى الآخر، لزم أن لاّ يكون هذا موجوداً إلاّ بخلق ذلك مابه تتم حاجة الآخر، وأن لاّ يكون هذا موجوداً إلاّ بخلق ذلك مابه تتم حاجة الآخر.

والخالق لايكون خالقاً حتى يكون موجوداً، ولايكون موجوداً إلاّ بلوازم وجوده، فيلزم أن لاّ يكون هذا موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً، ولايكون ذاك موجودا حتى يجعله الآخر موجوداً، إذْ كان جعله لما لم يتم به وجوده يتوقف وجوده عليه، فلا يكون موجوداً إلاّ به، فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما إلى الآخر فى وجوده، أو فيما لايتم وجوده إلاّ به، وهذا هو الدور القَبْلى الممتنع باتفاق العقلاء.

وأما الدور المعىّ، وهو أنه لايوجد هذا إلاّ مع هذا، ولاهذا إلاّ مع هذا كالأبوة مع البنوة، وكصفات الرب بعضها مع بعض، وصفاته مع ذاته، فإنه لايكون عالماً إلاّ مع كونه قادراً، ولايكون عالماً قادراً إلاّ مع كونه حياً، ولايكون حياً إلاّ مع كونه عالماً قادراً، ولاتكون صفاته موجودة إلاّ بذاته، ولاذاته موجودة إلا بصفاته، فهذا جائز فى المخلوقيْن اللذين يفتقران إلى الخالق الذى يحدثهما جميعاً كالأبوة والبنوة، وجائز فى الرب الملازم لصفاته تعالى.

وأمّا إذا قدّر قديمان أزليان ربان فاعلان امتنع أن يكون أحدهما محتاجاً إلى الآخر. اذ كان وجوده لايتم إلاّ بما يحتاج وجوده إليه، ولايكون فاعلاً لشيء إن لم يتم وجوده، فيمتنع مع نقص كل منهما عن تمام وجوده، أن يكون فاعلاً لغيره تمام وجود ذلك الغير؛ ولهذا لم يقل بهذا أحد من الأمم.

ولكن الذى قاله النصارى : أنهم جعلوا قوام الخالق تعالى بالمخلوق.

فيقال لهم : هذا أيضاً ممتنع فى صريح العقل، أعظم من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر. وإن كان هذا أيضاً ممتنعاً، فإن المخلوق مفتقر فى جميع أموره إلى الخالق، فيمتنع مع فقره فى وجوده وتمام وجوده إلى الخالق، أن يكون قوام الخالق به؛ لأن ذلك يقتضى أن يكون (المخلوق) مقيما له (أى للخالق)، وأن يكون تمام وجوده (أى الخالق) به (بالمخلوق)، فيكون المخلوق لاوجود لشيء منه إلاّ بالخالق، فالقدر الذى يقال : أنه يقيم به الخالق هو من الخالق، والخالق خالقه، وخالق كل مخلوق، فلا وجود له (أى للمخلوق)، ولاقيام إلاّ بالخالق، فكيف يكون به قيام الخالق ...؟» (1)

ثانياً : يقول سعيد بن البطريق على لسان النصارى : انهم يقولون :

« إن من عظيم تدبيره ، وكمال عدله، وجليل رحمته أن بعث كلمته الخالقة التى بها خلق كل شيء من جوهره، ليست مخلوقة، ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور ... »(2)

---

(1) الجواب الصحيح ج٣ ص ٧١ – ٧٣ .

(2) نقلاً عن ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٣ ص ٥١ .

وبين ابن تيمية ما يترتب على ذلك من محالات، كجعل الكلمة خالقاً ومخلوقاً بها. والخالق لايكون مخلوقاً به. وتعدد الخالقين إذا كان المسيح بعض كلمات الله، حيث يكون البعض الآخر خالقاً كالكلمة التى هى المسيح، بل ويترتب على ذلك أن يكون المسيح هو كل كلام الله، إن كان المراد بالكلمة كلام الله كله ... إلى غير ذلك من اللوازم العقلية الباطلة.

وفى ذلك يقول ابن تيمية :

« قولكم : بعث كلمته الخالقة التى بها خلق كل شيءقد نطقت الكتب بأن الله يخلق الأشياء بكلامه، فيقول له : كن فتكون. هكذا فى القرآن والتوراة وغيرهما، لكن الخالق هو الله يخلق بكلامه، ليس كلامه خالقاً، ولايقول أحد قط : ان كلام الله خلق السموات والأرض.

والتوراة كلام الله والإنجيل كلام الله، ولا يقول أحد : أن شيئا من ذلك خلق السموات والأرض.

فقول هؤلاء : إن كلمته هى الخالقة، وأنه خلق بها، كلام متناقض. فإنها إن كانت هى الخالقة لم تكن هى المخلوق به، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

فكلمة الله الخالقة – حسب قولهم – هل هى كلام الله كله؟ أم هى بعض كلام الله؟ أم هى المعنى القائم بالذات القديم الأزلى؟ أم حروف وأصوات قديمة أزلية؟، أم هى الذات المتكلمة.؟

فإن كانت هى الذات المتكلمة، فهى الأب والرب، وتكون هى الموصوفة بالحياة، فلايكون هناك كلام مولود، ولاكلمة أرسلت، ولا غير ذلك مما ذكروه. وهذا خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هى الأب عندهم.

وإن قالوا : بل هى كلام الله كله .

قيل لهم : فيكـون المسيح هـو التـوراة والإنجيل والقرآن وسـائر كلام الله.

وهذا لايقولونه، ولم يقله أحد، ولايقوله عاقل.

وإن قـالوا : أنهـا هـى المعنـى القـائم بالذات القـديم الأزلى، أو الحـروف والأصوات القديمة الأزلية.

قيل لهم هذان القولان، وإن كانا باطلين، فإن قلتم بهما، لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كله. فإن هذين (أى القولين) – عند من يقول بهما – هما جميع كلام الله ، والتوراة والإنجيل وسائر كلام الله عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله وهو الحروف والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين.

وإن قلتم : أن المسيح بعض كلمات الله فحينئذ لله كلمات أخرى غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقاً، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً إذ كنتم تقولون : الكلمة هى الخالقة، وهى المخلوق بها، فقولوا عن سائر كلمات الله : أنها خالقة مخلوق بها. وحينئذ يتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.

وإذا كانت كلمات الله لانهاية لها كان للخالق خالقون لانهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر.

وبالجـملة : أى شيء فـسروا به الكلمـة تبـيّن به فـسـاد قـولهم، ولكنهم يتكلمون بما لايفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض، وإنمـا عندهم تقليد من أضلهم كـمـا قـال تعـالى : {يأهل الكتـاب لاتغلوا فـى دينكم غـيـر الحق ولاتتـبعـوا أهواء قـوم قـد ضلوا من قـبل، وأضلوا كـثـيـرا وضلوا عن سـواء

السبيل}[1]،[2].

ويرتّب ابن تيمية على عقيدة النصارى بهبوط الكلمة والتحامها من مريم – يرتّب على ذلك تعدد الخالقين زيادة على استحالة هذا التصور فى التحام الكلمة بمريم، وخروجها منها، وتناقض اعتبار المخلوق به خالقاً.

فيقول : « وإذا كان قد بعث كلمته الخالقة، وهبطت والتحمت من مريم، فهل نفسه ربّ العالمين هبط والتحم من مريم، أم ربّ العالمين نفسه لم يهبط ولم يلتحم من مريم، وإنما هبط والتحم الكلمة التى أرسلها.

فإن قلتم : هو نفسه هبط والتحم، كان الأب الوالد للكلمة هو الذى هبط، والتحم، وكان الأب هو الكلمة، وهذا مناقض لأقوالكم.

وإن قلتم : إن المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الأب، بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق، فيكون هناك خالقان، خالق أرسل فهبط والتحم، وخالق أرسل ذلك فلم يهبط ولم يلتحم ... » [3].

« ولو قال قائل : أن الشمس ستلد فى جوف امرأة، وخرجت من فرج تلك المرأة لكان كل عاقل يعلم فساد قوله، وينسبه إلى الجهل العظيم أو الجنون، وسواء قال : أن الشمس نفسها نزلت أو لم تنزل.

وأنتم تقولون : إن ربّ العالمين سكن فى بطن مريم، ويقول أكثركم – كالملكية واليعقوبية – انه خرج من فرج مريم، ولو قال قائل عن ماهو أصغر

---

(١) سورة المائدة / آية ٧٧ .

(٢) الجواب الصحيح ج٣ ص ٥٤ / ٥٦ .

وانظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٧٦ / ٢٧٧ .

(٣) الجواب الصحيح ج٣ ص ٥٧ .

مخلوقات، كوكب من الكواكب، أو جبل من الجبال، أو صخرة عظيمة أن ذلك كان فى بطن امرأة وخرة من فرجها، لضحك الناس من قوله، فكيف بمن يدّعى بمثل ذلك فى ربّ العالمين.»[1].

ويقول ابن تيمية أيضاً :

فمع كونه جعلها (أى الكلمة) خالقة، جعل أنه بها خلق كل شيء، والذى خلق بها كل شيء هو خالق، فجعلها خالقة، وجعل خالقاً آخر، وجعل أحد الخالقين قد خلق الآخر به كل شيء، وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذى به خلق كل شيء، وجعل الكلمة الخالقة، احتجبت بإنسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرّة الأب، ومؤازرة روح القدس خلقاً جديداً ...

ومعلوم إنه إذا كان للخالق من يؤازره على الخلق، لم يكن مستقلاً بالخلق، بل يكون له فيه شريك.

فهذه الكلمة، تارة يقولون : هى الخالقة، وتارة يقولون : خلق بها الخالق فخلقت. وتارة يقولون : ان روح القدس وازرها فى الخلق ...

وهذه أقوال ينقض بعضها بعضا.

فإن كان الله هو الخالق لكل شيء، فالخالق واحد، فليس هناك خالق آخر ولا شريك له فى الخلق.

والخالق إذا خلق الأشياء بقوله : (كن) لم يكن كلامه خالقا، ولو كانت كل

---

(١) الجواب الصحيح / ج٣ ص ٨٧ .

كلمة الها خالقا لكان الآلهة الخالقون كثيرين لانهاية لهم.»[1]

ثالثا :

ويثبت ابن تيمية استحالة تفرقة النصارى بين العلم والحياة فى اعتبار الأولى متولدة من الأب، والثانية منبثقة منه مع بطلان التولّد والإنبثاق فى حق الله.

وكذلك بطلان اعتبار الصفات الإلهية متولدة منه أو منبثقة عنه لما فيه من الجمع فى أمرها بين القدم باعتبارها صفات له وبين الحدوث باعتبارها متولدة عنه رغم ما يزعمونه من قدم الكلمة مع كونها متولدة عنه، وهو زعم مستحيل لما فيه من الجمع بين النقيضين.

يقول ابن تيمية رداً على قولهم : « إن المسيح هو كلمة الله ليست (أى كلمة الله) بمخلوقة، ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور»[2]

-يقول رداً عليهم :« مَنْ مِنَ الأنبياء سمّى شيئا من صفات الله مولوداً قديماً أزلياً؟

وكيف يكون مولوداً قديماً أزلياً؟ وهل يعقل مولودا إلاّ محدثا؟

وأيضاً فإذا جاز أن تكون الكلمة التى يفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه، فكذلك تكون الحياة مولودة منه، وإن كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه. فجعْلُ إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من الأزل غير منبثقة، والأخرى ليست مولودة من الأزل، بل منبثقة مع كونه باطلاً، فهو تناقض وتفريق بين

---

(١) الجواب الصحيح ج٣ ص ٥٧ / ٥٨ .

(٢) الجواب الصحيح ج٣ ص ٥٨ .

المتماثلين. فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة الأزلية : أنها مولودة منه، فالحياة مولودة منه. وإن جاز أن يقال : أنها منبثقة، فالكلمة منبثقة.

وأيضاً فكون الصفة الها خالقا، وإثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم : إن الخالق واحد تناقض آخر.»[1]

رابعاً : ويبطل ابن تيمية عقيدة النصارى فى اعتبار المسيح الها حقا من اله حق، خالقا غير مخلوق، مساوياً للأب فى الجوهر - يبطل هذه العقيدة بما يرتّبه عليها من محالات تتعلق بذات الله عز وجل، حيث تثبت صفات الإله الواجب للمسيح المحدَث بحكم عقيدتهم فيه. ويثبتون صفات المسيح المحدَث للرب الخالق بحكم جعلهم إياه الها خالقا مساوياً لله فى الجوهر، وجعل صفات كل من الواجب والمحدث للآخر، جمع بين النقيضين كما هو ظاهر، حيث يكون الإله واجب الوجود، غير واجب الوجود في وقت واحد ، ويكون المحدث جائز الوجود مستحيل العدم فى وقت واحد. وهذا هو الجمع بين النقيضين وهو محال.

يقول ابن تيمية :

«لقد جعلتم كلمة الله هى ابنه، وهو جوهر خالق يساويه فى الجوهر، وان المسيح هو هذا الابن المساوى للأب فى الجوهر خالق العالمين وديان يوم الدين، والجالس فوق العرش عن يمين الرب، وأنه اله حق من اله حق. وهذا الذى ذكرتموه فيه من عيب المسيح وأمه ما ينتصر الله به للمسيح، ولمن افترى عليه منكم ومن غيركم»[2].

---

(١) الجواب الصحيح ج٣ ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ١٦٥ .

«فلو كان للخالق مَثَلٌ للزم أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع، والخالق يجب له الوجود والقدم، ويمتنع عليه لعدم، فيلزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديما أزليا لم يُعدم قط، وكونه محَدثا مخلوقا يستلزم أن يكون معدوما، فيلزم أن يكون موجودا معدوما، قديما محَدثا وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بدائه العقول. وأيضا فالمخلوق يمتنع عليه القدم، ويجب له سابقة العدم.

فلو وجب للخالق القديم مايجب له (للمسيح) لوجب كون واجب القدم واجب الحدوث بعد العدم، وهذا جمع بين النقيضين. فالعقل الصريح يجزم بأن الله ليس كمثله شيء»[1].

و «أنتم تلعنون من قال : ان المسيح ليس هو اله حق من اله حق، ولا هو مساو الأب في الجوهر، ومن قال : انه ليس بخالق، ومن قال : انه ليس بجالس عن يمين أبيه....

وتلعنون أيضـا مع قولكم انه الخالق، من قال : إنه الأب. والأب هو الخالق. فتلعنون من قال هو الأب الخالق، ومن قال : ليس هو الخالق، فتجمعون بين النقيضين»[2].

خامسا : ويلزم ابن تيمية النصارى فى قولهم ببنوة المسيح لله تعالى - يلزمهم بأن ذلك يقتضى ثبوت الصاحبة له سبحانه وتعالى بأى تصوّر يصوّرون به هذه البنوة، فليس ثبوت الصاحبة أبعد استحالة من ثبوت البنوة، فضلا عن كون ثبوت البنوة يستلزم ثبوت الصاحبة المحال فى حق الله عز وجل.

---

(١) الجواب الصحيح ج٢ ص ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ١٧٧ . وانظر كذلك للمؤلف نفسه : مجموع الفتاوي الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٧٦ .

يقول ابن تيمية :

«يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله البنوة المعروفة فى المخلوقات[1]، ويقولون :

ان مريم زوجة الله، وهذا لازم لعامة النصارى، وان لم يقولوه، فإن الذى يلد لابدّ له من زوجة؛ ولهذا قال تعالى :

{ أنىٰ يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم }[2].

وجعْلُ الرب ولد المولود أنكر فى العقول من إثبات صاحبة له سواء فُسّرت الولادة بالولادة المعروفة أو بالولادة العقلية التى يقولها علماء النصارى، فان من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد، ويقولون : ان الأب ولدت منه الكلمة، ومريم ولد منها الناسوت، واتحد الناسوت باللاهوت، فكما أن الأب أب باللاهوت لا بالناسوت، ومريم أم للناسوت لا للاهوت، فكذلك هى صاحبة للأب بالناسوت، واللاهوت زوج مريم بلاهوته، كما أنه أب للمسيح بلاهوته، واذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت

---

(١) ذكر ابن تيمية في فتاواه ما نصه :

« لما لم يكن للمسيح أب من البشر ، جعل النصارى الرب أباه ، وبهذا ناظر ن نجران النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : ان لم يكن هو ابن الله . فقل لنا من أبوه ؟ فعلم أن النصارى انما ادعوا فيه البنوة الحقيقية وان ما ذكر من كلام علمائهم هو تأويل منهم للمذهب ، ليزيلوا به الشناعة التى لا يبلغها عاقل ..

أنظر الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٨٢ .

(٢) سورة الأنعام / آية ١٠١

بناسوت مريم مدة قصيرة؟ واذا جعل الناسوت الذي ولدته ابنا للاهوت، فلأى شئ لا تجعل هى صاحبة وزوجة للأهوت، فان المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت، وهو عندهم اله تام وانسان تام ، فلا هوته من الله، وناسوته من مريم، فهو من أصلين : لاهوت وناسوت، فاذا كان أحد الأصلين أباه، والآخر أمه، فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار، مع أن المصاحبة قبل البنوة؟ فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟ وليس ذلك من المحال على أصلهم الاّ وهو من جنس إثبات بنوة المسيح، وأقل امتناعا»[١].

ويرد ابن تيمية على قول النصارى :

«ان مرادنا بالأب والابن، غير أبوة وبنوة نكاح، ومن أراد ولادة زوجة لعنّاه»[٢]. - يرد على ذلك فيقول :

«لفظ الولادة المعروف، إنما يكون من أصلين، وانما يكون بانفصال جزء من الأصلين، وانما يكون بحدوث المولود، سواء أريد ولادة الحيوان أو غيرها، كما تتولد النار من بين الزنادين، فإذا قدح أحدهما بالآخر، خرج منهما جزء لطيف، فاستحال نارا ثم سقط على الحراق.

وقد توسع بعض الناس في لفظ الولادة، حتى عبّر به عما يحدث عن الشئ، وان لم يكن بانفصال جزء منه، كتولد الشعاع عن النار، والشمس وغيرها، لأن هذا يحدث بشيئين أحدهما، ما يصدر عنه، من الشمس والنار.

---

(١) الجواب الصحيح / ج٢ ص ٩٦ / ٩٧ ، وانظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٨٢ ، ٢٨٦

(٢) الجواب الصحيح ج٣ ص ١٨٠

والثانى المحل القابل له الذى ينعكس عليه، وهو الجرم المقابل له الذى يقوم به الشعاع.

فأمّا ما يحدث عن شئ واحد، فلا يعرف - عند جميع العقلاء أنه يسمى ولادة إن قدر وجود ذلك، لاسيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه وحياته... ونحو ذلك . وكذلك لا يعرف ما يلزم الشئ الواحد أنه يسمى ولدا، لاسيما الصفات القديمة الأزلية لذات ربّ العالمين، الذى لم يزل موصوفا بها، بل لا تكون الولادة الاّ عن أصلين - كما قلنا -.

ولا يقول عاقل يعقل ما يقول : ان لون السماء وقدْرها متولّد عنها، ولا أن قدْر الشمس وضوءها القائم بها، اللازم لها، متولّد عنها، ولا يقول أحد : ان حرارة النار وضوءها القائم بها متولّد عنها.

وانما يقال - ان قيل - فيما ليس بقائم بها، بل قائم بغيرها، أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن، كالشعاع القائم بالأرض والحيطان، فهذا ليس قائم بها، بل قائم بغيرها، وهو حادث متولّد عن أصلين، لا أصل واحد....

والنصارى يزعمون أن كلمة الله التى يفسرونها بعلمه أو حكمته، وروح القدس التي « يفسرونها بحياته وقدرته، هى صفة له قديمة أزلية، لم يزل ولا يزال موصوفا بها.

ويقولون - مع ذلك - : ان الكلمة هى مولودة منه، فيجعلون علمه القديم الأزلى متولّدا عنه، ولايجعلون حياته القديمة الأزلية متولّدة عنه.

وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه، ولكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم .. فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته، يقال : انها ابنه وولده ومتولد عنه، ونحو ذلك، فتكون حياته أيضا ابنه وولده

ومتولدا عنه، وان لم يكن كذلك، فلا يكون علمه ابنه، ولا ولده، ولا متولدا عنه ...

فعلم أن القوم فى غاية التناقض فى المعانى والألفاظ، وأنهم مخالفون للكتب الالهية كلها، ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات، ومخالفون لجميع لغات الآدميين، وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا : تولدت الكلمة عنه، كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل.

فيقال لهم : لو قدّر أن الأنبياء سموا ذلك تولدا، فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن، وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا.

فأما صفاتنا اللازمة لنا، التى لا اختيار لنا فى اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها، فلا يقول عاقل : انها متولدة فينا وعنا.

وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له، التى لم يزل ولايزال متصفا بها متولدة عنه.

فلو قّدر أن ماذكرتموه من التولّد العقلىّ أمرا معروفا فى اللغة والعقل والشرع، لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التى فسرتم بها كلمته ابنا له ومولوداً منه، لم يزل مولودا منه؛ لأن هذا باطل عقلا وشرعا ولغة ... كما أوضحنا»(١).

وهكذا يظهر ابن تيمية ما يترتب على عقيدة النصارى من محالات عقلية تجعلها بذلك من أشد الباطل فى جانب الاعتقاد، وما يستلزم الباطل يكون باطلا مثله.

---

(١) الجواب الصحيح / ج٣ ص ١٨٠ / ١٨٣ بتصرف قليل .

٥ - ابطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على بنوة المسيح لله وألوهيته بما يزعمونه من تميزه على غيره في كيفية وجوده، ومعجزاته:

أولاً : يحتج النصارى على اختصاص المسيح بالبنوة والألوهية دون سائر الأنبياء والرسل بأنه كلمة الله الأزلية التي انفصلت عنه واتحدت بالمسيح من دون سائر البشر، فكان ابنا بالطبع وليس ابنا بالوضع، كما تطلق تلك الكلمة على غيره.

وابن تيمية يبيّن وجه تسمية المسيح بالكلمة، واستحالة انفصال علم الله وحكمته عنه واتحادهما بغيره، وأن المسيح لا يختص دون غيره من الأنبياء بما يفيض من الله سبحانه وتعالى عليهم من العلم والنور والتأييد، ومن ثم فهو ليس الها ولا ابن اله كما يزعمون. يقول ابن تيمية :

« ... وانما خصّ المسيح بتسميته كلمة الله دون سائر البشر؛ لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات، بخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، وخلقوا من ماء الأبوين (الأب والأم).

والمسيح - عليه السلام - لم يخلق من ماء رجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله له (كن)، فكان، ولهذا شبهه الله بآدم في قوله : {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} .

فإن آدم - عليه السلام - خلق من تراب وماء، فصار طينا ثم أيْبس

الطين، ثم قال له : (كن)، فكان بشرا تاما بنفخ الروح فيه، ولكن لم يُسمَّ كلمة الله؛ لأن جسده خلق من التراب والماء، وبقى مدة طويلة، يقال : أربعين سنة، فلم يكن خلق جسده ابداعيا في وقت واحد، بل خلق شيئا فشيئا، وخَلْق الحيوان من الطين معتاد فى الجملة. وأما المسيح - عليه السلام - فخلق جسده خلقا ابداعيا بنفس نفخ روح القدس فى أمه، قيل له : (كن)، فكان له من الاختصاص - بكونه خلق بكلمة الله - مالم يكن لغيره من البشر.

ومن الأمر المعتاد فى لغة العرب وغيرهم، أن الاسم العام اذا كان له نوعان خصّت أحد النوعين باسم، وأبقت الاسم العام مختصا بالنوع كلفظ الدابة والحيوان، فإنه عام في كل ما يدب، وكل حيوان. ثم لّما كان للآدمى اسم يخصه بقى لفظ الحيوان يختص به البهيم، وأمثال ذلك، فلما كان لغير المسيح ما يختص به، أبقى (الله) اسم الكلمة العامة مختصا بالمسيح...»[1].

ثانياً : ويبطل ابن تيميه قول النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته بظهور المعجزات على يد غيره من الرسل، بل ظهر على أيديهم منها ما هو أعظم من معجزات المسيح، وذلك لايدل على ألوهيتهم، لا عند النصارى، ولا عند غيرهم.

واذا كان النصارى يحتجون بتميز المسيح عمن سواه، ممن ظهرت على أيديهم المعجزات، فان ابن تيمية يسلّم لهم بأفضلية عيسى على بعض الأنبياء، ولكنه يرى أن هذه الأفضلية انما هى فى النبوة ولا ترتفع به الى مقام الألوهية بحال من الأحوال.

---

(١) الجواب الصحيح / ج٢ ص ١٦٦

يقول ابن تيمية :

«... ان النصارى عمدوا الى ما هو جسد من جنس سائر أجساد بنى آدم، وقالوا : «انه اله تام وانسان تام»، وليس فيه من الالهيه شئ. فما بقى - مع هذا - يمتنع أن يعتقد في نظائره ما يعتقد فيه.

فلو قال القائل : ان موسى بن عمران كان هو الله، لم يكن هذا أبعد من قول النصارى، فان معجزات موسى كانت أعظم، وانتصاره على عدوه أظهر، وقد سماه الله فى التوراة الها لهارون ولفرعون[1] »[2].

ثم يقول مخاطبا النصارى :

«والمعجزات التى احتججتم بها للمسيح، قد وجدت لغير المسيح، ولو قدّر أن المسيح أفضل من بعض أولئك، فلا ريب أن المسيح - عليه السلام - أفضل من جمهور الأنبياء. أفضل من داود وسليمان، وأصحاب النبوات الموجودة عندكم، وأفضل من الحواريين. لكن مزيد الفضل يقتضى الفضيلة في النبوة والرسالة، كفضيلة ابراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك لا يقتضى خروجه عن جنس الرسل، كما قال تعالى : {ما المسيح بن مريم الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون}[3] وقال تعالى : {وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربّى وربّكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار

---

(١) انظر سفر الخروج ٤ : ١٦ ، ٧ : ١

(٢) الجواب الصحيح ج٣ ص ١٧٤

(٣) سورة المائدة / آية ٧٥

وما للظالمين من أنصار}[1].

وجماع هذا القول : إن سائر ما يوصف به المسيح عندهم، ويدّعون اختصاصه به، من كونه أبناً لله، وكونه مسيحاً، وكون الله حل فيه، أو ظهر أو سكن، أو ظهرت المعجزات على يديه ... كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح. فليس للمسيح اختصاص بشي من هذه الألفاظ في كلام الأنبياء توجب أن يكون هو الله أو ابن الله، بل قد عرف - باتفاقهم واتفاق المسلمين - أن المراد بتلك الألفاظ حلول الايمان بالله ومعرفته، وهداه، ونوره، ومثاله العليّ فى قلوب عباده الصالحين. كما بيّنّا[2].

والذى يتميّز به المسيح عن غيره هو اختصاصه بلفظ «الكلمة» وكونه تجّسد من روح القدس، وهذا هو الذى خصّه به القرآن، فإن الله قال: {انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه}[3]. وفى الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من شهد أن لا اله الا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)[4].

---

(١) سورة المائدة / آية ٧٢

(٢) انظر ص ٢١٢ من هذه الرسالة

(٣) سورة النساء / آية ١٧١ .

(٤) أنظر صحيح البخاري / كتاب بدء الخلق / باب قوله تعالى : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم .... الى قوله ... فانما يقول له كن فيكون) جـ٤ ص٢٠١

وانظر كذلك صحيح مسلم - كتاب الايمان جـ١ ص ٥٧ رقم الحديث (٤٦)

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

فهذا الذى خَصه به القرآن، هو الذى خصته به الكتب المتقدمة اذ كان القرآن مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)[1].

جـ – التعقيب :

١ – الجذور التاريخية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته:

فى مقارنة يعقدها صاحب كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) بين النصرانية وماعتراها من خرافات وهرطقات فى عقائدها، وبين ما سبقها من ديانات وعقائد – فى هذه المقارنة يتبينّ لنا عمق التأثير الواضح لهذه الأديان السابقة فى النصرانية، بل إن الصورة نجدها متطابقة تماما فى تلك الأديان مع المسيحية الحالية.

ومما جاء فى تلك المقارنة، مانقله صاحب الكتاب المذكور على لسان (دوان) من قوله :

« الإله بوذا المولود من العذراء مايا، الذى يعبده بوذيو الهند وغيرهم، يقولون عنه : أنه ترك الفردوس ونزل إلى الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس؛ كى ينقذهم من الآثام، ويرشدهم صراطا مستقيما، ويحمل أوزارهم، ويفديهم مما يستحقونه من العذاب، بأخذه عنهم ما يستحقونه من القصاص.»[2]

---

(١) الجواب الصحيح جـ٣ ص ١٩٧/١٩٩ بتلخيص واختصار .

(٢) خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى ص ١١٥ نقلاً عن محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية ص ٥٩ .

وقال (هوك)- أحد المبشرين الإفرنسيين - عند تكلمه عن بوذا ما نصه :

« والبوذيون يعدون بوذا إلها تجسد، أى أنه إله ظهر بالناسوت، أتى إلى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدهم ويفديهم ويبين لهم طريق السلامة.»(١)

ويذكر الأستاذ محمد طاهر التنير أن « سكان سيام يعتقدون بإله ولد من عذراء، ويدعونه (الإله المخلص)، واسمه بلغتهم (كودم)، وأمه فتاة عذراء حسنة المنظر، أتاها وحى من الإله فهجرت الناس، وذهبت إلى الأحراج التى قلّ أن يجتازها الناس، وانتظرت الحمل بالإله، كما أتاها الوحى، وفى يوم من الأيام بينما كانت تصلى حبلت من أشعة الشمس التى وقعت عليها، وعندما أحست بالحمل ذهبت من هنالك إلى شاطىء بحيرة مابين سيام وكبوديا، وهنالك وضعت غلاما سماويا، ولما شبّ صار مثالا ومنبع الحكمة، وفعل العجائب»(٢)

ويتحدث لنا الأستاذ التنير أيضا عن دهشة الأوربيين الذين وجدوا فى بلاد الهند من يعبد إلها مخلصاً فيقول :

« وقد اندهش الأوربيون الذين ذهبوا إلى رأس كومورين فى جنوبى الهند من رؤية السكان يعبدون إلها مخلّصا يدعونه (سليفا هانا)، وإسم أبيه (تيشاكا)، وذلك الولد الإلهى ولد من عذراء، وأنه نفس فشنو العظيم المتجسّد»(٣)

---

(١) كتاب رحلة هوك المجلد الأول ص ٣٢٦/٣٢٧ نقلاً عن محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية ص ٦٠ .

(٢) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٦٣ .

(٣) دوان / خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى ص ١١٩ نقلاً عن المرجع السابق ص ٦٣ .

وكان المصريون القدماء يعتقدون « أن حورس المخلّص ولد من العذراء ايزيس، وأنه المنبثق الثانى من آمون، ويسمونه : الإبن المولود، ويصورونه إما على ايدى أمه أو على حضنها. وقد ترجم العلاّمة (شمبليون) ما يأتى عن اللغة الهيروغليفية :

أنت الإله المنعم، وابن الإله، أنت حورس المنعم، أنت الذى أعلن عنك أوزوريس أنك المولود من الالهة ايزيس.

ويقول المصريون القدماء أيضاً : أن الإله (دا) ولد من جنب أمه، لا كما يولد الناس ....

وكانوا يقولون عن ملوكهم : أنهم الآلهة، كما أن كثيرا من ملوكهم من قد ادعى الالوهية ...»[1]

« وأهالى بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله، وصوروها وعلى يدها ولدها الاله، كما هى الحال عند النصارى تماما، واسم هذه العذراء (ميليتا)، واسم ابنها المخلّص (تموز)، ويلقب بالوسيط والمخلّص، وكان يوجد فى جزيرة قبرص هيكل اسمه هيكل العذراء (ميليتا) وهو أعظم الهياكل التى كانت فى عصر اليونانيين أبان مجدهم»[2]

أما الفرس فيقولون عن (زرادشت) : « انه منبثق من نور الله، لا كما يخلق الناس، فقد خلق بغير دنس (أى أن أمّه لم يمسها ذكر)، ويدعى ابن الله ...»[3]

---

(١) محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٧ .

ويرى (بلاطو) أن اليونانيين كانوا يدعون أبطالهم فى القرون الماضية : آلهة، وأولاد الآلهة. وأنهم ظهروا بالناسوت، ومن بعد موتهم انضموا مع الآلهة، وكانوا يقربون لهم الذبائح والعبادات .. وغير ذلك.

ومن جملة أبناء الآلهة (هرقل) ابن الاله المشترى، ولد من الأم المشترية (الكمين) ملكة تيبس. وقال زوس –اله الآلهة – عن هرقل : انه ابنه ...»[١]

أما الرومان فيقول : (دوان) فى كتابه (خرافات التوراة وما يماثلها فى الأديان الأخرى» :

« كان الرومانيون يؤلهون ملوكهم، ويعبدونهم، ويقيمون لهم التماثيل.»[٢]

وهذه أسماء بعض ملوك الرومانيين الذين أُلهوا :

(روميلوس) مؤسس رومية، ويدعونه (ابن الله)، ولد من العذراء (راسيلفيا)، ويقولون عن (يوليوس قيصر) أنه ابن الله،. وقالوا أيضا : أن (أوغسطوس قيصر) انسان واله ... وقد ألّهوا (كلوريوس)، وكانوا يدعون ملوك رومية بهذه الألقاب :

ربنا ومعلمنا وسيدنا والهنا[٣].

وقد قالوا عن الاسكندر المقدونى الذى ولد قبل المسيح بـ (٣٥٦) سنة أنه اله على الأرض، وانه ابن المشترى من الام البشرية (أولمبياس) ...

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) ص ١٢٥ نقلاً عن محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٦٩ .

(٣) محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٧٠ .

وقد ألّهوا (بطليموس) أحد القواد الذين كانوا مع الاسكندر المقدونى وقد صار ملكا على مصر بعد موت الاسكندر، وكانت تدعوه (بطليموس المخلّص).

ويقولون عن (بلاتو) : انه ابن الله، وكانت ولادته فى اثينا سنة (٤٢٩) قبل عيسى – عليه السلام –، ويعتقدون أنه ولد من عذراء طاهرة نقية، وأن ايزيس الذى يقال عنه : أنه اباه، أنذر بحلم رآه فى المنام بأن لايقترب منها ولايمسها حتى تضع حملها؛ لأنها حبلى من الاله (أبولو) ..[١].

وقد اعتقد سكان رومية بالوهية سمعان السامرى الملقب (ماغوس) أو (الساحر)، وكان معاصراً للمسيح – عليه السلام – وقالوا : أنه عمل آيات وعجائب مدهشة، ووضعوا صورته مع صور الآلهة المصوّرين فى تلك المدينة...»[٢]

وهى ولاشك صور مشابهة تماما لما عليه النصارى فى شأن المسيح من جميع الوجوه.

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو :

كيف تسرّب ثالوث الشعوب الوثنية هذا إلى الديانة المسيحية السماوية المنّزلة من لدن الله تعالى.؟!

ان الأمر يدعونا الى تتبع تاريخ نزول المسيحية، وكيفية انتشارها، حتى يمكننا أن نتفهم هذا الأمر العجيب. فنقول :

كلنا يعلم أن الديانة المسيحية – مثلها مثل سائر الأديان السماوية – ما

---

(١) محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧١ /٧٢ .

هى – فى حقيقتها وجوهرها – الأ ديانة توحيد، تدعو الى وحدانية الله – عز وجل – وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته، وعدم الاشراك به. قال تعالى على لسان المسيح – مخاطبا قومه :–

{ ان الله ربى ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم }[1]. وقد سبق أن فصّلنا القول فى ذلك[2].

واذا تصفحنا الكتاب المقدس لدى النصارى، نجد أن صفحات التوراة والأناجيل قد تضمنت نصوصا كثيرة دالة على توحيد الله عز وجل، وأنه سبحانه لا شريك له ولا شبيه. من ذلك :

قول موسى عليه السلام : «الرب هو الاله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه»[3].

ويقول أيضا فى سفر الخروج : «انه ليس مثل الرب الهنا»[4].

ويخاطب داود ربّه قائلا : «يا الله مَنْ مثلك»[5].

وتورد الأناجيل مثل ذلك، فالله غير منظور[6]، ولم يره أحد[1].

---

(١) سورة آل عمران / آية ٥١ .

(٢) انظر ص ٢١٢ من هذه الرسالة .

(٣) سفر التثنية ٤ : ٣٩ .

(٤) ١٨ : ١٠ .

(٥) مزمور ٧١ : ١٩ .

(٦) انظر رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١٢ .

(٧) انظر انجيل يوحنا ١ : ١٨ .

ويقول يعقوب الحوارى : «أنت تؤمن أن الله واحد، حسنا تفعل»(١).

ويورد الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا قول المسيح - عليه السلام - معنفا قومه على عدم ايمانهم بالله الواحد بقوله : «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه»(٢).

وتزخر التوراة والأناجيل بنصوص أخرى كثيره غير هذه التى أوردناها دالة على توحيد الله عز وجل.

هذا هو مادعت اليه الديانه المسيحية الصحيحة المنزلة من عند الله. فلم يدّعِ عيسى يوما ما أنه اله أو ابن اله، أو أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر كما يزعم النصارى الآن، بل «كان قانعا بنسبه العادى ابنا لمريم منسوبا من جهة الأب الى يوسف النجار»(٣). كما كان شائعا بين الناس.

وقد اعتبر المؤرخ والعالم المسيحى (شارل جنيبير) ادعاء بنوة المسيح لله تعالى من السفه الدينى، ونفى نفياً قاطعاً أن يكون المسيح قد ادعى ذلك فيقول :

«النتيجة الأكيده لدرسات الباحثين هى : أن عيسى لم يدّع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل سوى خطأ لغوى فاحش، وضرب من ضروب السفه فى الدين»(٤).

---

(١) رسالة يعقوب ٢ : ١٩ .

(٢) فقرة / ٤٤ .

(٣) انظر الدكتور أحمد شلبي / في كتابه المسيحية ص ١٥٠ .

(٤) المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٣٩ .

اذا كانت هذه هى حقيقة الديانة المسيحية الصحيحة، فما بالنا اليوم نراها قد انتقلت من ديانة توحيد الى تعدد كالوثنيات؟

ما الذى كدّر صفوها، وأخبت ضوؤها؟

وكيف وصل هذا الانحراف اليها والى عيسى - عليه السلام -؟

الواقع ان الديانة المسيحية الصحيحة قد اعتراها كثير من الهرطقات والعقائد الوثنية الباطلة. - كما أوضحنا وكما سيأتى - من بينها قول الناس بتأليه عيسى - عليه السلام - كما فعلوا مع غيره من الأنبياء والحكماء والقادة والزعماء، فى الهند والصين وفارس واليونان وغيرها. فنقلوها بذلك من ديانة توحيد الى تعدد، دون أن يتفقوا على كنه هذا التأليه، وعلى طبيعة هذا الانسان المؤله(١).

وقد وصل هذا الأنحراف الى المسيح والى ديانته عن طريق يهود المهجر* الذين تأثروا تأثيرا كبيرا بما سبقهم من ديانات وعقائد وثنية، حيث «لم يكن هؤلاء اليهود قد احتفظوا بالصورة الأصلية الكاملة لعادات وروح اخوانهم فى الدين من أهل فلسطين، فقد لانت تلك العادات، وتلك التقاليد، ولان معها تعصبيهم وعداؤهم لـ«الأجنبى» فى ربوع هذه البلاد، التى لم تكن لترضى بهم لولا ذلك، وأقاموا صلات يومية مستمرة بمجتمعات «الكفرة» وتأثروا فى قوة وعمق بتيارات الثقافة اليونانية التى انغمسوا فيها شيئا فشيئا، فاذا ماتركنا جانبا عقيدتهم الدنية، وفروض طقوسها الأساسية، وجدنا أن هؤلاء اليهود - بعد جيلين أو ثلاثة من الهجرة - لا يفترقون فى لغتهم، ومظهرهم وثقافتهم

---

(١) انظر : محمد مجدي مرجان / المسيح انسان أم إله ص ١٨١ / ١٨٢ .

* يهود المهجر هم الذين كانوا يقيمون خارج فلسطين (في اليونان وروما وما بين النهرين) .

العامة عن الاغريق الذين يماثلونهم فى الظروف الاجتماعية، وأظهر الذين أرتقوا منهم الى أعلى مراتب التعليم اعجابا عميقا بأدب اليونان وفلسفتهم، وامتزج فكرهم بهذا الأدب، وهذا الفلسفة، الى حد الشعور بأنه لم يعد فى استطاعتهم التخلى عنهما لارضاء الشريعة الموسوية، كما لايستطيعون التخلى عن تلك الشريعة فى سبيلهما.

ولهذا نرى (فيلون) (١) وهو المثل الواضح لهؤلاء اليهود، الذين تشبعوا بالروح اليونانية - نراه فى الاسكندرية يحاول مخلصا أن يبرهن على عدم التعارض بين الوحى الذى نزل على موسى، والأحكام التى جاء بها، وبين نظريات (افلاطون)(٢) و (زينون)(٣)، وعلى أن المرء لابدّ له من الاقتناع بذلك اذا أحسن فهم مقاصد الفيلسوفين....

وكانت طوائف اليهود فى المهجر أكثر استعدادا من يهود فلسطين لمناقشة الحواريين فيما يدعون اليه، ثم للاقتناع بهم إن بدت لهم الحجة قوية. وقد أظهر هؤلاء اليهود ميلا خاصا الى ذلك.

ولذا كان الخطر كبيراً على العقيدة العيسوية - وهى العقيدة الواضحة غاية الوضوح، والتى أثبتت التجربة مرونتها الكبيرة - عندما انتقلت الى المعابد اليهودية فى بلاد اليونان : خطر الانحراف والتطبع بخصائص الفكر اليوناني .

---

(١) هو فيلون الأسكندري (٣٠ قبل الميلاد - ٥٠ بعده) ، وهو أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف باليونانية في ذلك العصر . وكان له أثر قوى لدى المسيحيين ، وقد استخدم نفر من المفكرين المسيحيين - في القرون الأولى - كتبه للوقوف على الفلسفة اليونانية ، وحاكى بعضهم منهجه في شرح الكتب المقدسة . أنظر / يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٢ .

(٢) (٤٢٧-٣٤٧ ق . م .) من مشاهير فلاسفة اليونان ، تلميذ سقراط ، ومعلم أرسطاطاليس انظر / منجد الأعلام ص ٥٥ ط ٢٦ .

(٣) هو زينون الايلي (٤٩٠-٤٣٠ ق . م .) فيلسوف يوناني ، تعلم على برفيدس . صاحب البراهين على عدم وجود الحركة . أنظر : منجد الأعلام ص ٣٤٢ ط ٢٦ .

ويتضح لنا هذا الخطر اذا علمنا ان اليهود ، في بعض مناطق المهجر، لم يكتفوا بالتطور الاجتماعى وفقا للبيئة التى يعيشون فيها، ولم يكتفوا باعادة تنظيم عقيدتهم الدينية أو -على الأقل- تفسيرها لأنفسهم بما يتفق وثقافتهم، مع صيانة جوهرها كاملا - لم يكتفوا بذلك ، بل راحوا يخلطوا باليهودية بعضا من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم، في نفس الوقت الذى كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير من المعتقدات اليهودية الأساسية لتمزجها بأديانها المختلفة ....»[١].

ويذكر لنا أيضا (شارل جنيبير) كيف أن «دعوة عيسى - عليه السلام - مرت فى عبورها من ربوع فلسطين الى أراضى المهجر بأدوار غاية فى التسلسل، وكأنها أدوار حتمية لا مردّ لها.

فمجموعة (أعمال الرسل) تقّص علينا : أن الحواريين أستمالوا الى عقيدتهم بعض يهود اليونان الذين وفدوا الى القدس فى الاحتفالات الخاصة ببعض الأعياد وعادت فئة من الحجاج الى ديارها فورانتهاء هذه الاحتفالات، بينما بقيت فئة أخرى بالمدينة المقدسة، غير أنها لم تلبث أن طردت منها، أثر مقتل الشماس (ايتين) على أيدى قضاة اليهود

وكان (ايتين) هذا قد تخصص فى شرح واذاعة الانجيل بين رحاب القدس التى ينفق عليها يهود اليونان[٢].

ورحل الأنصار الجدد المطرودون الى فينيقيا، وقبرص، وأنطاكيا، حيث

---

(١) انظر شارل جينيبير : المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٥٩ / ٦١ بتلخيص .

(٢) انظر سفر اعمال الرسل ٦ : ٩ وما يليها ، وكذلك ٧ : ٥٧ وما يليها .

راحوا بدورهم يبشرون بعيسى فى المعابد[1]، وتحدثوا أيضا الى أهل اليونان، وآمن الكثير من هؤلاء اليونانيين بالسيد المسيح»[2].

إذن كانت هناك مادة دينية ضخمة قابلة لأن تتشكل، وتتطوّر فى سهولة حسب رغبات من يريد استغلالها، حيث كانت هناك تأثيرات الشعوب السريانية والكلدانية التى عاشت بجوار اسرائيل، وتأثرت بها، وأثّرت فيها. وكذلك تأثيرات وفود الحجيج الى بيت المقدس من أبناء الجالية اليونانية. وكانت هناك بلاد مابين النهرين فى الشرق التى تتفاعل فيها التيارات الدينية النابعة من الهند وفارس والمنتهية الى أرض بابل. ثم كانت هناك البيئة المصرية من ناحية الجنوب، حيث تطورت العبادات المحلية، ونمت ونحت نحو آفاق أوسع وأشمل بتأثير الفكر اليونانى الخصب.

وأخيراً : نجد البيئة الإغريقية من ناحية الشمال (الذى نسميه اليوم بآسيا الصغرى) نجدها أكثر تعقيدا واختلاطا فى الفكر، ولكنها أيضا أكثر خصوبة واثمارا بسبب وضعها كمركز هام للديانات....

كل ذلك أدى الى تشرب بنى اسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون لثلاثة السابقة للتاريخ المسيحى[3].

هذه التأثيرات مجتمعة أو متفرقة انتقلت الى اليهود المسيحيين الذين آمنوا بالسيد المسيح وتركت بصماتها واضحة على العقيدة المسيحية الصحيحة، فأدت الى انحرافها بل وتغييرها. وكانت البذرة الأولى لهذا التأثيرات وذلك الانحراف هى ادعاء ألوهية المسيح وبنوته لله تعالى. والذى قام

---

(١) انظر اعمال الرسل ١١ : ١٩ وما يليها .

(٢) المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٦٤ / ٦٥ .

(٣) انظر شارل جينبير / المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٣٠ ، ٣١ .

بالغراس لهذه البذرة وغيرها. هو ذلك اليهودى الأنطاكى المولد (بولس) الذى كان على علم عظيم باليهودية والمتراسية، حيث «لم يكن الحواريون الاثنا عشر ليوافقوا على نعت عيسى بـ « ابن الله » مكتفين بتعبير«خادم الله» أما عند بولس فلقب «ابن الله» لقب كثير الاستعمال بالنسبة الى عيسى.

ان بعض المفاهيم الجوهرية لدى المجتمع الأول نجدها اذن غريبة أو مجهولة أوغير ذات شأن لدى الحوارى المرسل الى المشركين.

أما المفاهيم التى عرفت له فهو لم يختلقها اختلاقاً، وانما قام بتطويرها وتنميتها. ولا بدّ لنا من القول بأنه أخذها عن مصادر أخرى غير المجتمع المسيحى الذى أسسه أصحاب عيسى أنفسهم ولا بدّ لنا من الاعتقاد بأنه وجد هذه المصادر فى مجتمع من المجتمعات الهيلينيستية [١]، وأغلب الظن أن هذا المجتمع كان مجتمعا أنطاكيا»[٢].

ولم يخرج الكاتب الألمانى (هايتمولبر) عن جادة الحق عندما كتب في مقال عن (بولس) وعلاقته بالمسيح فقال : «ان بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحى الأول، ولكن الأثر انتقل اليه عن طريق المسيحية الهيلينيستيه[٣]. فهو (أى بولس) «لم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها، وهى فكرة «ملكوت الله»، ولكنه علّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، بل ولا زعيم اليهود الموعود فقط، بل أنه ابن الله، نزل إلى

(١) الهيلينيستية أو الهيلينية – نسبة الى هيلين بن ديوكاليون جد اليونان الأول – حضارة الأغريق ومثلهم وطرق معيشتهم . وتعطيناغ أثينا في عصر (بركليس) أكمل صورة لكل ذلك .... وتوصف بالهيلينية كل محاولة حديثة لإحياء المثل الأغريقية القديمة . أنظر محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣١ .

(٢) شارل جينيير / المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٩١ / ٩٢ .

(٣) نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبي / يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ١٠٢ .

الأرض، ليقدم نفسه قربانا، ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر[1].

«وللوقت جعل يكرز في المجامع أن المسيح ابن الله»[2].

«ويكاد يكون من القضايا المسلّم بها لدينا أن بيئة أنطاكيا هذه، حيث كثر المؤمنون الذين علقوا بعيسى كل الآمال وان لم يعرفوه - هذه البيئة ساعدت على التطور السريع نحو تأليه المسيح، أو هى حددت فكرة تمجيده، ان بدت لنا كلمة (التأليه) سابقة لأوانها...»[3].

وقد أبان لنا الكاتب الكبير (كالثوف) Kalthoff أن الإعتقاد بالوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل، لذلك فالإعتماد على الأناجيل لإثبات الوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب. يقول :

« أن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدّت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل، وأن هذه الصورة هي من انتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية)[4] التى كانت إذ ذاك مسيطرة، وكانت آراؤها شائعة، وتكاد تكون عامة أو عالمية.»[5]

ويقول (شارل جنيبير) : « لايسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التى استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معانى عميقة، وعلى

---

(١) الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٤٢ ط ٥ .

(٢) انظر سفر أعمال الرسل ٩ : ٢٠

(٣) شارل جينبير / المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٩٠ / ٩١

(٤) الميتافيزيقا : فرع من الفلسفة ، يبحث عن الحقيقة الأولية للوجود ، سماها أرسطو الفلسفة الأولى ، وتعرف بما وراء الطبيعة . انظر : محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٩٤ .

(٥) أنظر الدكتور أحمد شلبي / المسيحية / ص ١٤٧ ط ٥ .

قدر كافٍ من الوضوح بالنسبة إليهما ....

ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى تصور نفسه (عبد الله)، وتقدم للناس بهذه الصفة. والكلمة العبرية (عبد) كثير ما تترجم إلى اليونانية بكلمة(خادم) و(طفل) على حدّ سواء، وتطور كلمة طفل إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم ابن الله نبع من العالم الفكرى اليونانى»[1].

«ولو تجاوزنا مدينة رومة والرومان، وبيئة أنطاكية، وعبرنا البحر المتوسط، ويممنّا وجوهنا شطر شواطئه الجنوبية، فنجد هناك مدينة الأسكندرية، ومدرستها، وفلسفتها - موطن الدعاية لألوهية المسيح - التى أوى إليها فلاسفة اليونان، وتابعوا الفلسفة اليونانية والتى نراها تتجه إتجاها واضحا إلى النواحى الدينية، والبحث فى منشىء الكون ....»[2]

هذه التأثيرات كان لها أثرها فيما بعد حين اتصلت المسيحية بالأمة المصرية «حيث شاعت فى مصر عقيدة الهية جديدة تتلخص فى أن المسيح المخلّص هو ابن الله، وأن الله أرسله فداء لأبناء آدم وحواء، وأن الله وإن كان واحدا إلا أنه من أقانيم ثلاثة هى : الأب ، والإبن، والروح القدس، وأن المسيح هو الإبن وأنه ذو طبيعة إلهية.»[3]

نخلص من ذلك كله إلى أن فلسفة مدرسة الأسكندرية، وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعتا المسيحيين إلى القول بألوهية المسيح. ويقرر ذلك السيد محمود أبو الفضل حيث يقول :

«إن الإضطهاد الذى لاقاه المسيحيون فى عهدهم الأول دفعهم إلى

---

(١) المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٣ .

(٢) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ٢٤ ط ٣ .

(٣) المستشار محمد عزت إسماعيل / محمد بني الإسلام في التوراة والأنجيل والقرآن ص ١٢٧ .

الهجرة، فرحل بعضهم إلى الأسكندرية فأخذوا عن مدرستها، ورحل البعض إلى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية، ومن هذين المعينين جاءت المسيحية الحديثة.»(١)

ويثبت plliecdeter المصادر الحقيقية للإعتقاد بالوهية المسيح فيقول :

« إن معالم التنبؤ عند اليهود، وعظات الأحبار ، والخيال الشرقى، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التى ظهرت فى العهد الجديد، وكل مايمكن تقريره دون تردد هو ان تصور المسيح ورسمه كان الهدف الوحيد للمسيحية فى عهدها الأول، كما كان هدف دعاتها»(٢).

ولعل فى هذه السوابق التاريخية فى تأليه البشر وإدعاء إنبثاقهم من الإله، ما يفسّر لنا هذا الإنحراف الذى طرأ على المسيحيةوأدى إلى دخول تلك العقيدة الباطلة فيها على أيدى هؤلاء المؤمنين الأول بالمسيحية من يهود المهجر وغيرهم، المتأثرين بما شاع فى بيئاتهم من تلك العقائد الباطلة، والذين نقلوا تأثرهم هذا إلى كيفية إعتقادهم بالمسيح عليه السلام.

فعقيدة المسيحيين فى المسيح – عليه السلام – ليست فى الحقيقة عقيدة دينية استقوها من نصوص كتابهم المقدس، ولكنها كانت عقيدة وليدة التأثر بالبيئات المختلفة التى انتشرت فيها المسيحية، والتيارات الثقافية والدينية التى طرأت عليها، وكانت سابقة على كتابتهم للكتاب المقدس، فظهرت فيه كل هذه التأثيرات العقدية ولم يكن هو منبعها كما يزعمون.

---

(١) وحدة الدين والفلسفة والعلم ص ١٣١ نقلاً عن الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٥٠ ط ٥ .
(٢) نقلاً عن الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٤٧ ط ٥ .

٢ - بشرية المسيح في الانجيل ودلالتها على بطلان بنوته لله تعالى وألوهيته:

ذكرنا من قبل أن النصارى يحتجون على صحة عقيدتهم في المسيح بأنهم لم يبتدعوها من تلقاء أنفسهم، ولكنها في نظرهم عقيدة دينية مأخوذة من كتابهم المقدس. وذكرنا كذلك طرفا من نصوص الأناجيل التي يستدلون بها على صحة تلك العقيدة في زعمهم.

وقد رأينا كيف أن ابن تيمية قد تعقّب هذا الاستدلال منهم بالابطال، فأبطل دلالة النصوص التي يستدلون بها على صحة تلك العقيدة، واذا بطلت دلالة الدليل بطل المدلول.

واذا كان ابن تيمية قد أبطل أدلتهم على عقيدتهم التي يأخذونها من الأناجيل، فإننا نضيف - في هذا المقام - إلى ماقدمه البرهنة على أن الأمر في هذه القضية بعكس مايذهب إليه النصارى.

فالأناجيل لاتدل على صحة عقيدتهم - كما يزعمون -، بل هي على العكس من ذلك تدل بنصوصها على بطلان تلك العقيدة.

وهنا نودّ الاستدلال على بطلان عقيدتهم بنصوص تلك الأناجيل، ذلك أنهم اذا كانوا يؤمنون بكل مافي الأناجيل، وأنها صحيحة، فإنا سنأخذ منها مايبطل عقيدتهم في بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته. ونحن لا نقول هذا ادعاء، وإنما نقوله لما ورد في أناجيلهم التي يعتدّون بها.

ولسوف نأخذ من الأناجيل مايدل على بشرية عيسى - عليه السلام - وعبوديته لله ، وخضوعه للسنن والنواميس الكونية من أكل وشرب، ونوم وصحو، وفرح وحزن ..الخ شأنه في ذلك شأن سائر البشر. ومايدل أيضا على

نبوته، ورسالته، وأنه موحى إليه، واعترافه هو صراحة بذلك .

من ذلك، ماجاء على لسانه - عليه السلام - فى أنجيل مرقس من قوله : « فأمّا ذلك اليوم. وتلك الساعة فلا يعرفها أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الابن الاّ الأب وحده»[1].

فقد صرّح فى هذا النص بالانسانية المحضة نافياً عنه العلم المختص بالله. وهذا من أوضح الأدلة على انسانيته المحضة.

كما صرّح أيضا بالالهية والوحدانية لله تعالى، وبالرسالة لنفسه فقال : «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك أنت الاله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته»[2].

واعترف صراحة بأنه انسان وابن انسان، وأنه يتألم كثيرا، وأن ملائكة الله تؤيده فى دعوته، شأنه فى ذلك شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين جهاده مع الكفار والمشركين، وشأن غيرهما من الأنبياء. واعترافه لم يكن فى جملة واحدة نجده مصادفة بين طيات الأناجيل، ولا فى سطر واحد، وإنما هو فى عشرات الآيات بمختلف الصيغ والأساليب.

يقول عيسى - عليه السلام - فى ذلك كما يروون عنه :-

«أما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه»[3]

«أبن الانسان لم يأت ليهلك الناس، بل ليخلص»[4]

---

(1) ١٣ : ٣٢.

(2) انجيل يوحنا ١٧ : ٣.

(3) انجيل متّى ٨ : ٢٠.

(4) انجيل لوقا ٩ : ٥٦.

«أنه ينبغى أن ابن الانسان يتألم كثيراً»[١]

وجاء فى أنجيل (يوحنا) على لسان عيسى – عليه السلام :–

«الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان »[٢]

وهذا كله يدل على بطلان مايزعمونه من بنوته لله تعالى وألوهيته.

ليس هذا فحسب، بل إن رجلين من محبيه شهدا بانسانيته، ونبوته كما جاء فى أنجيل (لوقا)، حيث يقولان عنه : «كان انسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الناس»[٣]

ويقول عيسى – عليه السلام – «لأنى خرجت من قبل الله وأتيت، لأنى لم آت من نفسى، بل ذاك أرسلنى»[٤]

وهذا (بولس) رسول المسيحية – كما يصفونه – يتحدث عن عيسى – عليه السلام – فيقول : «الانسان يسوع المسيح»[٥]

بل أنه لايكتفى بذلك، وإنما يؤكد أن الله هو سيده ومولاه. فيقول «رأس المسيح هو الله»[٦]

---

(١) انجيل لوقا ٩ : ٢٢.
(٢) ١ : ١٥.
(٣) ٢٤ : ١٩.
(٤) انجيل يوحنا ٨ : ٤٢.
(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثار، ٣ : ٥.
(٦) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ : ٣.

وحين عرف (بولس) مارواه (يوحنا) فى أنجيله عن تواضع عيسى وكيف أنه بلغ من تواضعه مبلغا لدرجة أنه غسّل أرجل تلاميذه، ومسحها بالمنشفة التى كان مئتزرا بها.[1] - علّق على ذلك بأن شبّه عيسى بالعبد، حيث قال عنه : «أخلى نفسه آخذا صورة عبد ...»[2]

وصدق بولس هذه المرة، وصدق عيسى - عليه السلام - قبله، فعيسى حقا هو العبد، عبد الله ورسوله، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة فاستحق رضا الله وفاز بجنّاته.

وقد خضع عيسى عليه السلام لكافة الغرائز الانسانية، أكل كما يأكل الناس، وشرب كما يشربون. ونجد ذلك واضحا حين يتحدث عن نفسه مخاطبا اليهود «جاء ابن الانسان يأكل ويشرب، فتقولون : هو ذا انسان أكول وشريب خمر»[3]

وكم جاع عيسى فلم يجد مايأكله، وكم ظن الشىء على خلاف ماهو عليه[4]، وكم تعب وطلب الراحة، ورغب فى النوم. وكثيرا ماكان يتجول فى القرى ويدعو الناس فى الطرقات فيغشاه سلطان النوم رغم ارادته من كثرة الأرهاق.

وتحدثنا الأناجيل عن احدى المرات التى نام فيها عيسى فى ظروف كانت تستلزم اليقظة، نام فى سفينة صغيرة وسط البحر والموج وبين التلاميذ. تقول الأناجيل : إنه فى احدى المرات دخل سفينة هو وتلاميذه، فقال لهم : لنعبر الى

---

(١) أنظر انجيل يوحنا ١٣ : ٤-٥.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل فيلبى ٢ : ٦، ٧.

(٣) انجيل متّى ١١ : ١٩، وكذلك انجيل لوقا ٧ : ٣٤.

(٤) انظر انجيل مرقس ١١ : ١٢، ١٣.

عبر البحيرة فأقلعوا، وبينما هم سائرون نام، فنزل نوء ريح عظيم فى البحيرة، وكادوا يمتلئون ماء، وصاروا فى خطر، فتقدموا إليه وأيقظوه قائلين : يامعلم ، يامعلم، إننا نهلك ..[١]

عجباً من نوم الاله، وهو سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم.

ونجد عيسى أيضا قد بكى فى ظروف كثيرة : بكى على فراق أحبابه، وعلى موت أصدقائه.

أتت إليه يوما شقيقة (لعازر) صديقه، وأخبرته بموت شقيقها، فانزعج عيسى، واضطرب، وحزن، وبكى، وتأوه.

يقول يوحنا : «فلما رآها يسوع تبكى، واليهود الذين جاءوا إليها يبكون، انزعج واضطرب وقال : أين وضعتموه؟ فقالت : ياسيد، تعال، وانظر، فبكى يسوع وقال اليهود : أنظروا كيف كان يحبه ...»[٢]

وفى نصوص أخرى من أناجيلهم نرى المسيح – عليه السلام – فى غاية التذلل والخضوع لله تعالى، حيث كان مثال المتعبد الخاشع المتضرع لله ، وكان يعلم أن الصلاة هى الصلة الوثيقة، والرباط المحكم الذى يربط الانسان بخالقه، فكان يحرص – كما حرص غيره من الأنبياء – على أن يوطّد هذه الصلة بينه وبين خالقه، فكان يصلى آناء الليل وأطراف النهار، ويضرع إلى الله تعالى، ويلجأ إليه فى الكربات.

---

(١) أنظر انجيل متّى ٨ : ٢٣-٢٧، وانجيل مرقس ٤:٣٥-٤٠، وانجيل لوقا ٨ : ٢٢-٢٤.

(٢) انجيل يوحنا ١١ : ٣٣-٣٦.

والأناجيل مليئة بالحديث عن صلاة عيسى – عليه السلام – ومناجاته لربه وتضرعه إليه . ومن ذلك قوله لتلاميذه :

«اجلسوا ههنا، حتى أمضى، وأصلى هناك»[1].

«وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردا ليصلى ...»[2].

«وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى، وقضى الليل كله في الصلاة لله»[3].

ويروى لنا (لوقا) عن احدى الضائقات التى ألّمت بعيسى عندما حاول بعض اليهود قتله لاعتقادهم ضلاله وكذبه، فيهرع عيسى – عليه السلام – إلى الجبل، ويضرع إلى الله أن يخلصه من أعدائه، جاثيا على ركبتيه، مبتهلا إلى خالقه، خاشعا له ، ومتضرعا إليه، حتى يتصبب منه العرق، وتتساقط قطراته من جسده.

يقول لوقا عنه : «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضا تلاميذه، ولما صار إلى المكان، قال لهم : صلوا؛ لكى لاتدخلوا فى تجربه، وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلا : يا أبتاه، ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك، وظهر له ملاك من السماء يقويّه، واذ كان في جهاد كان يصلي بأشدّ لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ...»[4].

فهذا الخشوع والخضوع والتذلل، ليس له ما يبرره الاّ البشرية والعبودية

---

(1) انجيل متّى ٢٦ : ٣٦.

(2) انجيل متّى ١٤ : ٢٣.

(3) انجيل لوقا ٦ : ١٢.

(4) انجيل لوقا ٢٢ : ٣٩–٤٤.

التي تربط عيسى - عليه السلام - بربه، وتجعله يلجأ إليه في كل وقت.

وقد بالغت الأناجيل في قدرة عيسى - عليه السلام - على التخفي والهرب من أعدائه، فقررت أنه كان يجتاز في وسطهم فلا يشعرون به. من ذلك : مارواه (متّى) في أنجيله عندما أراد الفريسيون القبض عليه وقتله، وعرف عيسى مرادهم ففر منهم . يقول (متّى) :

«فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه كي يهلكوه، فعلم يسوع، وانصرف من هناك»(١).

وفي إحدى المرات حدثت مشادة كلامية بين عيسى - عليه السلام - وبين بعض اليهود - كما يروي ذلك يوحنا - فغضب اليهود منه، وأمسكوا بالحجارة لكي يرجموه، ولكنه استطاع التخفي والهرب منهم دون أن يشعروا به.

يقول (يوحنا) : «فرفعوا حجارة ليرجموه، أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم»(٢).

فأي اله هذا الذي يخشى أعداءه، وهو خالقهم، ويهرب منهم وهو القادر على هلاكهم؟! بل إن كان ابن اله، فأين أبوه عنه في حالته هذه ؟ ولِمَ لَمْ يجنبه كيد الكائدين، وحقد الحاقدين، ويحميه منهم، وهو القادر على ذلك ؟!.

بل ان عيسى -عليه السلام - أقرّ بأن ليس له من الأمر شيء في أكثر من مناسبة، وان الأمر مفوّض إلى الله العلي القدير. من ذلك : عندما جاءت إليه أم ابني زبدي ومعها ابناها ، فقال لها : «ماتريدين ؟ قالت : أريد أن يجلس ولداي أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك إذا جلست في ملكوتك. فقال : أيصبران على الكأس الذي أشرب؟ فقالا : نصبر، فقال : سيشربان

---

(١) ١٢ : ١٤-١٥.

(٢) انجيل يوحنا ٨ : ٦٩.

بكأس، وليس تجليسكما عن يمنى، ولا عن شمالى الاّ لمن وهب ذلك اليّ»[1].

ونراه أيضا قد نفى عن نفسه القدرة الكاملة، والمشيئة التامة عندما خاطب اليهود بأنه لايقدر أن يفعل من ذاته شيئا، لكن يحكم بما يسمع، لأنه لا ينفذ ارادته، بل ارادة الذى بعثه. فغاير بين ارادته، وارادة من بعثه وأرسله[2].

وفى موضع آخر من الأناجيل نجد عيسى - عليه السلام - قد جعل نفسه ومكانه معلومين عند اليهود، وجعل الله عندهم مجهولا. فما زاد فى وصفه لنفسه شيئا على ماوصف به غيره من الأنبياء عليهم السلام. يقول :

«لقد عرفتمونى في موضعي، ولم آتِ من ذاتي، ولكن بعثني الحق، وأنتم تجهلونه»[3].

ومن هذا المنطلق كان عيسى - عليه السلام - يناجي ربه بأنه عبد، وقد ظل كذلك إلى ختام حياته، حيث صورته الأناجيل بأنه كان خائفا، وعاجزاً عن دفع الأذى عن نفسه ، حيث شعر بوثوب اليهود عليه - كما يقولون - قال :

«الآن قد جزعت نفسي، فماذا أقول يا أبتاه ؟ فسلمني من هذا الوقت. ثم قال : ايلي، ايلي لم شبقتني؟ ومعناها : الهى الهى لم تركتنى؟»[4].

وتجربة الشيطان لعيسى تستحق التأمل، فقد جاء فى أنجيل (متّى) : «ان ابليس أخرج المسيح إلى البرية، وقال له : إن كنت ابن الله، فقل لهذه الحجارة تصير خبزا. فقال المسيح : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان، بل بكل كلمة تخرج من الله، فأخذه ابليس حتى أقامه على أعلى الجبل فى الأرض، وأراه

---

(١) انجيل متّى ٢ : ٢٠-٢٣.
(٢) أنظر انجيل يوحنا ٥ : ٣.
(٣) انجيل يوحنا ٧ : ٢٨.
(٤) انجيل متّى ٢٦ : : ٣٨-٤٢.

جميع ممالك العالم، وقال له : هذا كله لي وأنا أعطيكه، ان سجدت لي سجدة واحدة، فقال له : اغرب عني ياشيطان، فإنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد. ثم تركه ابليس، واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمة»[1] *.

وانا نتساءل مستنكرين عن كيفية ايرادهم لهذه القصة المضحكة فى كتبهم في شخص يدّعون الألوهية فيه.

فايراد هذه القصة وحدها فى كتابهم - المقدس - كاف لهدم دعوى ألوهية المسيح. ويعلّق الشيخ ابراهيم الجبهان عليها بقوله :

«لا أدرى والله كيف يؤلهون المسيح، ثم يؤمنون بانجيل يحتوى على هذه القصة المضحكة، التى تكفي وحدها لهدم كل دعوى بألوهية المسيح، وتقويض كل مرتكزات النصرانية، إذ كيف يسحب ابليس من يعتقدون ألوهيته من مكان إلى مكان دون أن يبدي أى اعتراض على الذهاب معه، مع علمه بأنه شيطان .

ثم ماذا ؟ ثم تبلغ الحماقة أو الوقاحة أو البلاهة بابليس أن يطالب من يعتقدون ألوهيته، بأن يسجد له نظير رشوة»[2].

وهذه كلها صفات انسان مهين لا اله قوى متين.

حقا ... انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

ولعل من أطرف نوادرهم ما يقرؤنه فى الصلاة :

---

(١) انجيل متّى ٤ : ١-١١. وأنظر كذلك انجيل لوقا ٤ : ١-١٣.

* راجع فى هذه المادة الكتب الآتية.

(١) الامام الغزالى / الرد الجميل لالهيّة عيسى بصريح الانجيل.

(٢) الدكتور / محمد تقى الدين الهلالى/ البراهين الانجيلية على أن عيسى داخل فى العبودية، ولاحّظ له فى الألوهية.

(٣) الأستاذ محمد مجدى مرجان/ المسيح انسان أم اله.

(٢) مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ٧٠.

«تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح الهنا، أيها الرب خروف الله، أنت وحدك القدوس المتعالى».

ففى سطر واحد سموه إلها أولا، ثم ربّا ثانيا، ثم خروفا بعد ذلك ... ثم ماذا ؟[1]

اللهم انا نبرأ اليك من هذا الهذيان ...

والواقع أن هذه النصوص التى نقلناها من الأناجيل دالة على بشرية عيسى – عليه السلام – هى غيض من فيض. ذكرنا بعضها حسبما يسمح به المقام، وتركنا بعضها الآخر، وهو كثير جدا. فليرجع إليها من أراد المزيد.

ونقْلنا لهذه النصوص هو لالزامهم بما يؤمنون به من صحتها حيث يجب عليهم لذلك أن يسلموا بكل ماجاء فيها عن بشرية المسيح فلا يعتقدون خلافه.

فهؤلاء النصارى إما أن يؤمنوا بأن كتبهم صحيحة، فتدل هذه الشواهد التى قدمناها على بطلان عقيدتهم ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته، بما تقرره من بشريته، وبما تصفه به من مظاهر هذه البشرية. وامّا ألاّ يقولوا بصحتها فيلزمهم حينئذ بطلان الاستشهاد بها على عقيدتهم.

فنحن اذا أخذنا بما تقرره هذه النصوص من بشرية المسيح، وبكل ما تضمنته من مظاهر هذه البشرية من أفعال وغرائز، وانفعالات فإننا نحكم ببطلان عقيدة النصارى فى المسيح – عليه السلام – من واقع كتبهم أنفسهم، حيث يستحيل عقلا ثبوت كل هذه الخصائص لمن يوصف بالألوهية. وفى نفس الوقت فإننا نعجب كيف يجمعون بين الإيمان بهذه النصوص مع كل ماتضمنته من وصف المسيح بالبشرية، ومظاهرها، وبين اعتقادهم ببنوته لله – عز وجل –

---

(١) أنظر الشيخ ابراهيم سليمان الجبهان/ مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ٧١.

وألوهيته؟!!!

٣ – بطلان تأويل النصارى للخصائص البشرية عند المسيح :

ولكن المسيحيين في سبيل هذه العقيدة، يعمدون إلى ماقدمناه من نصوص كتبهم، فيؤولونه بما يتفق مع تلك العقيدة، بل ويتخطون ذلك إلى أن يجعلوا بعض ماقدمناه من النصوص كدليل على بشرية المسيح دليلا على ألوهيته، وهم مخطئون في كلا المسلكين.

فأمّا تأويلهم للنصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتنافى مع ألوهيته، فإنهم يذكرون في هذا الصدد نصوصا من الأناجيل كتلك التى قدمناها سابقا مستدلين بها على بشرية المسيح، ولكنهم – كما قلنا – يؤلونها بما لايجعلها تتنافى مع اعتقادهم بألوهيته، حيث يجعلونها أثرا من آثار الناسوت المسيحي. أى الجسد الذى اتحد به لاهوته. فمظاهر البشرية التى تسندها الأناجيل إلى المسيح إنما تسندها – فى نظرهم – إلى المسيح الجسد ابن الانسان، أما المسيح الاله المتجسد فى هذا الجسد والمتحد به فإن أعماله الخارقه ومعجزاته الفائقة تدل عليه، ولا تتناقض فى نظرهم مع هذه الدعوى، أى أنه لا استحالة عندهم فى حلول المسيح الاله فى المسيح الجسد، واستقلال كل منهما بأعماله الخاصة، فالجسد له أعماله، ومظاهره البشرية، والاله له أعماله ومظاهره الالهية. وهكذا يؤلون النصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتنافى مع عقيدتهم فى ألوهيته.

ولنذكر لذلك التأويل أمثلة مما ذكره الدكتور (هانى رزق) فى هذا الصدد فى كتابه (يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته)، فهو يذكر ما أثبتته الأناجيل للمسيح من الشعور بالجوع، وتصبب العرق، والشعور بالحزن والاكتئاب، وكثرة بكائه لموت أصدقائه، وضعفه الجسدي عن حمل الصليب. يذكر كل ذلك مؤولاً

إياه بأنه راجع إلى ناسوت المسيح لا إلى لاهوته.

فيقول عن شعور المسيح بالجوع : أنه «بعد أن صام يسوع المسيح أربعين يوما شعر بالجوع، والشعور بالجوع من الخصائص الفسيولوجية للجسد البشرى، الدالة على حقيقة التجسّد. «فبعد ماصام أربعين نهارا، وأربعين ليلة جاع أخيرا»[1].

ويقول عن بذل المسيح جهده فى صلاته حتى يتصبب عرقا :

«ذكر الكتاب المقدس : أن يسوع المسيح كان يصلي بلجاجة، وجهاد حتى صار عرقه كقطرات دم نازله على الأرض، أى أنه كان يبذل أقصى درجات الجهد البشرى، وأعظم احتمال يمكن أن يعطيه الجسد الانسانى». «وإذ كان فى جهاد كان يصلي بأشد لجاجة، وصارت عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض»[2].

ويقول فى تأويله لواقعة حزن المسيح واكتئابه : «ذكر الكتاب المقدس : أن يسوع المسيح كان يحزن ويكتئب، وهذه الانفعالات والوجدانات من صفات الجسد البشرى، وهو عدم القدرة على احتمال المؤثرات العميقة المحزنة، فيكتئب لها الانسان، ويضطرب ويحزن». «ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يجهش ويكتئب. فقال لهم : نفسى حزينة جداً حتى الموت»[3].

ثم يقول الدكتور (هانى رزق) - مفسرا بكاء المسيح على صديقه (لعازر) :-

«ظهرت خاصية الانفعالية (التى هى من خصائص الطبع الانسانى)

---

(۱) انجيل متّى ٤ : ٢.

(٢) انجيل لوقا ٢٢ : ٤٢.

(٣) انجيل مرقس ١٤ : ٣٣-٣٤.

بوضوح فى واقعة بكاء يسوع المسيح (المسيح المتجسد)؛ لتأثره الانفعالى بالحدث المؤلم المحزن، وهو موت (لعازر)، إذ عندما رأى الجمع يبكون، اهتزت مشاعره، واضطربت عواطفه، وانزعج لبكائهم، وبكى مثلهم متعاطفا معهم، ومتأثرا بهم. هذا التعاطف وذلك التأثر ناتج عن خاصية الانفعالية التى هى من خصائص الطبع فى الجسد البشرى». «فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون، انزعج بالروح، واضطرب ... وبكى يسوع»(١).

وأخيرا ... يذكر ما تناقلته الأناجيل عن ضعف المسيح، وعدم قدرته على حمل الصليب الذى أُعدّ لصلبه - كما يزعمون - مفسراً اياه بأنه ضعف الناسوت البشرى للمسيح. فيقول :

«يذكر الكتاب المقدس : أن يسوع المسيح لم يحتمل حمل الصليب الثقيل عندما حمله على كتفه، وسار به إلى موضع الصلب، إذ خارت قواه. وهذا دلالة على أن الصورة الجسدية كانت فى خصائصها وسماتها. والتى من سماتها الاحتمال المحدود بحدّ معيّن، والذى إن زاد عن هذا الحدّ خار الجسد البشري، وانهارت قواه، وهذا هو ماحدث «عندما بذل يسوع المسيح آخر طاقات جهده فى حمل الصليب، ولم يحتمل، فحمله بدلا منه سمعان القيرواني*»(٢).

وهكذا نرى هذا التأويل لمظاهر بشرية المسيح باعتبارها مظاهر للمسيح البشري «ابن الانسان» الذى اتحد به المسيح الالهي - كما يزعمون - أى أن هذا التفسير لأعمال المسيح قائم على أساس القول بالحلول والتجسّد، وهو ما أفضنا فى إبطاله فى الفصل الماضى مما لانرى موجبا لإطالة القول بذكره هنا،

---

(١) انجيل يوحنا ٣٣ - ٣٥.

* قد مضى تصحيح هذا اللقب إلى (قوريني). أنظر هامش ص ٨٣ من هذه الرسالة.

(٢) انجيل متّى ٣٧ : ٢٣. وأنظر هذه التأويلات جميعها فى كتاب الدكتور (هانى رزق) المذكور من ص ١٩١ إلى ص ١٩٣.

ولكننا نكتفى بالاشارة إلى مـاذكرناه من أن دعوى حلول اللاهـوت فى ناسـوت المسيح واتحـاده به يستلزم التحيّز، والتركيب، والاحتياج فى جانب الله – عز وجل –، إلى غير ذلك من النقائض التى تتنافى مع كماله سبحانه وتعالى، حتى يصير – وهـو واجب الوجود – ممكن الوجود، وذلك تناقض. هـذا فضـلا عن أن القول بالاتحـاد بين شيئين اتحادا حقيقيا – كما يزعمونه – بين الله والمسيح قول لا يتصور تحققه فى الواقع.

فكل تبرير للمظاهر البشرية عند المسيح – عليه السلام – بأنها المظاهر الناسـوتيـة للأقنوم المتحـد من اللاهوت والناسـوت، تبـرير باطل، لبطـلان هـذا الاتحاد المزعوم. فمظاهر بشرية المسيح ثابته له باعتباره بشراً – كما قلنا – ، وكمـا تدل بصـراحة على ذلك نصـوص أناجيلهم. وهذه البـشـرية تتناقض مع دعوى بنوته لله – تعالى – وألوهيته[1].

وكما قلنا من قبل ، فإن المسيحيين لايكتـفون بتأويل مـاورد فى الأناجيل من النصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتنافى مع القول بألوهيته – كمـا يزعـمـون –، وهو الأمـر الذى أبطلنـاه آنفـا – لايكتـفـون بذلك، ولكنهم يعمدون إلى بعض هذه النصوص، وماتشير إليه من وقائع ومعجزات فى حياة المسيح، فـيجعلونها دالة على ألوهيته. وفـى هذه الصـدد يقول الدكتـور (هانى رزق) – معقبا على تأويلاته السابقة لمظاهر بشرية المسيح :–

«... على أننا نشير إلى حقيقة هامـة، وهـى وان كانت واقعة بكاء يسوع المسيح متأثرا ببكاء الباكين فى حـادثة موت (لعازر) دالة على التجسّد الحقيقي للمسيح أى دالة على ناسوته المحدود، فـإن هذه الحادثة دلّت على لاهوته، أى الوجـود الالهى الكامـل فى هذه الصـورة الانسـانية، أى هذا الوجـود الانسـانى

(١) راجع صفحة ٢٣٨ ومابعدها من هذه الرسالة.

متحدا به، بدون امتزاج، ولا اختلاط، ولا انفصال. وذلك باقامته (لعازر) من الموت بعد أن مات وأنتن، إذ كان له أربعة أيام ميتاً قائلا له : لعازر هلما خارجا» قالها يسوع المسيح الاله المتجسّد بصيغة الأمر أى بصيغة القوة والقدرة والسلطان، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل[1]. بذلك كان هذا الحدث وهو إقامة يسوع المسيح للعازر من الموت دالا على ألوهيه يسوع المسيح. أى أن يسوع المسيح ابن الانسان هو اله متجسّد، أي أن المسيح في وجوده الالهي غير المحدود الذى هو وجود الله. أى أن صورة الله ظهر فى الوجود الانسانى المحدود. أى فى صورة العبد، أى هيئة الانسان»[2].

«الذى إذ كان فى صورة الله ... أخلى نفسه، آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس»[3].

والواقع ... أنه لا دلالة فى معجزة احياء (لعازر) من الموت، ولافى غيرها من المعجزات التى صدرت عن المسيح عليه السلام – لا دلالة فى شىء من ذلك على ألوهيته كما يزعم النصارى. فهذه المعجزات جعلها الله فى أيدى الأنبياء تصديقا لهم فى رسالتهم عنه، وقد أجراها على أيديهم باذنه، وقدرته دون أن يكون لهم فيها تأثير. قال تعالى : {إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا. وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني، وتبرىء الأكمه والأبرص باذني، وإذ تخرج الموتى باذني، وإذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين

---

(١) أنظر انجيل يوحنا ١١ : ٤٣-٤٤.

(٢) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته/ص ١٩٣.

(٣) رسالة بولس إلى أهل فيلبى ٢ : ٦-٧.

كفروا منهم ان هذا الاّ سحر مبين}[1].

وقد سبق أن ذكرنا ردّ ابن تيمية على النصارى فى استشهادهم بالمعجزات على ألوهية المسيح، بأن المعجزات ليست أمرا خاصا به، بل يشاركه فيها غيره من الأنبياء. فإذا كانت دالة على ألوهيته، فإنها تدل على ألوهية غيره، ولايقول بذلك أحد حتى النصارى أنفسهم.

ثم إن معجزات المسيح ليست أفضل من معجزات غيره من الأنبياء، ولا أعظم منها، بل إن معجزات موسى عليه السلام إذا قورنت بمعجزات المسيح فاقتها.

ونحب أن نضيف إلى ماتقدم، فى شأن عدم دلالة معجزات المسيح على ألوهيته، تلك المناظرة التى جرت بين الامام (الرازى)، وبين أحد القساوسة من خوارزم فى دعوى ألوهية المسيح، لما تضمنته من ابطال استشهاده على تلك الدعوى بمعجزاته عليه السلام. فقد قال له الامام (الرازى):

«... أنتم تقولون انّ عيسى اله، لكن نقول لكم : إن الاله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب الاّ يكون جسما ولا متحيزا ولا عرضا، وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى وجد بعد أن كان معدوما، أو قتل بعد أن كان حيّا - على قولكم - . وكان طفلا أولا ثم صار مترعرعا، ثم صار شابا، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ.. وقد تقرر فى بداهة العقول أن المحدث لايكون قديما، والمحتاج لايكون غنيا، والممكن لايكون واجبا، والمتغيّر لايكون دائما.

ثم يوجّه (الرازى) كلامه للنصرانى متسائلا : ما الذى دلّك على كون

---

(١) سورة المائدة / آية ١١٠.

عيسى الها؟ فيقول النصرانى :

الذى دلّ عليه هو : ظهور العجائب على يديه، من احياء الموتى، وابراء الأكمه والأبرص، وذلك لايمكن حصوله إلاّ بقدرة الاله تعالى.

فيردّ عليه الرازي : إنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول؛ وذلك لأن ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الاله في بدن عيسى - عليه السلام - ، وعدم ظهورها منّي ومنك ليس فيه الاّ أنه لم يوجد ذلك الدليل. فإذا ثبت أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول، لايلزم من عدم ظهور تلك الخوارق منّي ومنك عدم الحلول في حقي وحقّك، بل وفى حق الكلب والسّنّور[1].

ثم قال : إن مذهبا يؤدى به القول إلى تجويز حلول ذات الله فى بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسّة والركاكة.

ويستمر الرازى فى افحام النصرانى هذا فيقول :

إن قلب العصا حيّة أبعد فى العقل من إعادة الميت حياً؛ لأن المشاكلةبين بدن الحيّ وبدن الميّت، أكثر من المشاكلة بين الخشبة، وبين بدن الثعبان. فإذا لم يوجب قلب العصا حيّة كون موسى - عليه السلام - الها وابنا للاله، فبأن لايدل احياء الموتى على ألوهية المسيح أولى.

وعندئذ انقطع النصراني، ولم يبق له كلام»[2].

ومن أمثلة تأويل النصوص التى تتضمنتها الأناجيل دالة على بشرية المسيح تأويلا يجعلها دالة على ألوهيته - كما يزعم النصارى - من أمثلة ذلك : أنهم يجعلون استغاثة المسيح بالله، بعد ما نزل به من آلالم الصلب - كما

---

(١) السنور : حيوان أليف من الفصيلة السنّورية، ورتبة اللواحم. من خير ماكله الفئر. أنظر المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٥٧.

(٢) نقلاً عن كتاب التفسير الكبير/ المجلد الرابع جـ٨ ص ٨٦-٨٨ بتصرف. وكذلك المجلد ١١ جـ٢١ ص ٢١٣.

يزعمون – قائلا : الهى، الهى لم تركتنـي؟ – يجعلون هذه الاستغاثة دالة على ألوهيته لا على بشريته. وبدونها لايكون تجسّد المسيح – المتجسّد فى نظرهم – تجسّدا حقيقيا.

يقول الدكتور (هانى رزق) فى تأويل استغاثة المسيح بالله، مستدلا بها على ألوهيته – كما يعتقد :–

«عندما فاقت الآلام، والأحزان والأوجاع الدرجة النهائية المحدودة لاحتمال الجسد البشرى للمسيح المتجسّد (يسوع المسيح ابن الانسان) أى بعد أن حوكم وأدين ظلما، وقام بحمل الصليب الثقيل وسط تعبير واستهزاء الشعب والجند به، وبعد أن بصقوا فى وجهه ولكموه ولطموه[١]، وضفّروا اكليلا من شوك، وألبسوه على رأسه، وجلدوه بالسياط، وضربوه بالقصبة على رأسه[٢]، وبعد دقّ يديه ورجليه بالمسامير، وتعليقه على خشبة الصليب، وأخيرا، بعد أن أذاقوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب. عند هذا الحدّ، وعند تلك الدرجة فاقت الآلام والأحزان والأوجاع قدرات جسده البشرى، وسحقت هذه الآلم درجة الاحتمال المحدودة لجسده الانسانى. أى لناسوته، فصرخ وجوده البشري (الانسانى) المحدود القدرات ... إلى وجوده الالهي العظيم القادر على كل شىء، إذ المسيح الاله هو الله في أقنومه الثانى ، قائلاً : إلهي، إلهي، لماذا تركتني ؟ ذلك وان كان ناسوته محدودا بهذا الجسد البشري. الاّ أن لاهوته الذى هو صورة الله لا محدود. أى أنه عندما ظهر المسيح فى الجسد (يسوع المسيح ابن الانسان)، هذا لايعني أن هذه الصورة المرئية للمسيح حدّدت وجوده فى هذه الصورة الانسانية، إذ أن المسيح الذى هو صورة الله أى وجود الله، غير محدود؛ لذلك صرخ ناسوته المحدود بقدرات الجسد البشري (وهذا

---

(١) أنظر انجيل متّى ٢٦ : ٦٧.

(١) أنظر انجيل متّى ٢٧ : ٢٩–٣١.

ضروريّ لكي يكون التجسّد حقيقيا) – صرخ إلى لاهوته، أى إلى وجوده الالهي الذى هو وجود الله غير المحدود قائلا :

إلهي، إلهي، لماذا تركتني»[1].

وهكذا ... تثبت الأناجيل بشرية المسيح، إثباتا واضحا، وبنصوص صريحة. وهكذا تبطل – كما قدمنا – كل تأويلات المسيحيين لهذه النصوص، التى حاولوا بها نفى التعارض بين ما تثبته من بشرية المسيح، وما يعتقدونه من ألوهيته. بل حاولوا أن يجعلوا بعضها – على العكس من ذلك – دليلا على ألوهيته المزعومة، ولكنها محاولات باطلة – كما رأينا –، وباطل كل ماقام عليها من القول ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته.

٤ – التأويل الصحيح لما وصف به المسيح فى الأناجيل من صفات الألوهية والربوبية والبنوة لله تعالى :

وبعد أن أبطلنا تأويلات النصارى للنصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتعارض مع اعتقادهم بألوهيته – كما يزعمون – بعد أن أبطلنا هذه التأويلات، فإننا نعمد إلى إبطال دعواهم، بأنهم لم يبتدعوا هذه العقيدة من عند أنفسهم، وإنما أخذوها من نصوص أناجيلهم المقدسة – فى زعمهم –، فهم ملتزمون بما تقرره تلك الأناجيل، ويأخذون عقيدتهم منها، كما يأخذ أتباع كل دين عقيدتهم من كتابهم المقدس.

وبرغم رأينا فى هذه الأناجيل، واهدارنا لقيمتها الدينية على نحو ما شرحناه من قبل، فإننا سنثبت أنها مع ذلك كله لا تتضمن الدلالة على بنوة المسيح لله عز وجل، ولا على وصفه بالألوهية، وأن النصوص التي يأخذونها من

(١) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ١٩٥/١٩٦.

تلك الأناجيل، ويستشهدون بها على تلك العقيدة: لا دلالة فيها على ذلك إذا بينّا التأويل الصحيح لما تضمّنته صفحات الكتاب المقدس، من الصفات التي أطلقت على المسيح - عليه السلام - كالألوهية والربوبية والبنوة لله تعالى، فإن هذا البيان يكشف لنا عن خطأ المسيحيين فيما يعتقدونه في حقّ المسيح من تلك الصفات. فهم يستدلون على ألوهية المسيح - كما شرحنا سابقا [1]- بما ورد في كتبهم من تسميته الها ورباً وابنا لله. من ذلك ماجاء في انجيل (يوحنا) عن المحاورة التي تمّت بين المسيح وتلميذه، (توما) عندما «جاء يسوع والأبواب مغلقة، ووقف في الوسط، وقال : سلام لكم، وقال لتوما : هات اصبعك اليّ هنا، وأبصر يديّ، وهات يدك، وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمنا. أجاب توما، وقال : ربي والهي. قال له يسوع : لأنك رأيتني ياتوما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا»[2].

وماجاء على لسان بطرس من قوله للاسرائيليين : لأن الموعد هو لكم ولأولادكم، ولكل الذين على بعد، كل من يدعوه الرب الهنا»[3].

أما عند (بولس) فنجد المسيح الها منذ الأزل والى الأبد :

«ولهم الآباء، وعنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الها مباركا إلى الأبد. آمين»[4].

وفي رسالة (يهوذا) جاء على لسانه في شأن المسيح :

«وينكرون السيد الوحيد : الله وربنا يسوع المسيح»[5]. وغيرها كثير.

---

(١) أنظر ص ٢٩٨ - ٣٠٥ من هذا الفصل.

(٢) ٢٠ : ٢٦:٢٩.

(٣) سفر أعمال الرسل ٢ : ٣٩.

(٤) سفر رؤيا يوحنا ٩ : ٥.

(٥) فقرة ٤.

والواقع أن «إطلاق لفظ (اله) على الأناسيّ ورد كثيرا في التوراة، فقد أطلق على موسى – عليه السلام –، كما أطلق على حكام وقضاة بني اسرائيل، وعلى غيرهم من الناس، وكان يعني في نظرهم تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريبا من الله عاملا بوصاياه»(١).

نرى في الاصحاح السابع من سفر الخروج، محادثة بين الله ونبيّه موسى يعلن فيها سبحانه لنبيّه أنه جعله الها لفرعون.

يقول في سفر الخروج : «فقال الرب لموسى : أنظر، وأنا جعلتك الها لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك»(٢).

ويعود سفر الخروج فيقرر أن الله قد جعل موسى إلها لشقيقه هارون أيضا، حيث ورد في الاصحاح الرابع منه، حديثا على لسان الله، موجها إلى موسى عن شقيقه هارون. فيقول :

«هو يكلّم الشعب عنك، ويكون لك فما، وأنت تكون له إلها»(٣).

هنا نجد أن موسى قد صار إلها لفرعون، وإلها أيضا لشقيقه هارون... ليس هذا فقط، بل إن لفظ إله أطلق أيضا على البشر العاديين من القضاة والحكّام الاسرائيليين. فداود – عليه السلام – يسمى القضاة آلهة : حيث يقول : «الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي»(٤).

وهذا يعنى أن الله موجود وحاضر في محكمة العدل، ووسط مجلس الحكم، وأن ماينطق به القضاة من أحكام إنما هو كلام الله وحكمه، وكان

---

(١) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندي/ اظهار الحق جـ١ ص ٥٥٦/٥٥٩.

(٢) عدد (١).

(٣) عدد (١٦).

(٤) مزامير داود ٨٢ : ١.

القضاة أنفسهم آلهة ينطقون بحكم الله، وينفذون مشيئته.

ومما يؤكد أن إطلاق لفظ الآلهة على الناس كان من قبيل المجاز المطلق، كإطلاق الألقاب الفخرية والأسماء الشرفية على المبرزين، بسبب صفاتهم الكريمة، وأعمالهم الهامة، بحيث إذا تغيّرت صفاتهم، أو انحطت أعمالهم سحب اللقب، وسقط الشرف.

– مما يؤكد هذا، ماحدث عند انحراف بعض هؤلاء الآلهة – قضاة اسرائيل – إذ أنهم بعد أن كانوا يقضون بين الناس بالحق، وينفذون تعاليم الله، انحرفوا عن جادة الصواب، ومالوا مع الأحساب والأنساب، وقبلوا الرشوة والعطايا من الناس، مما أغضب داود النبي عليهم، فأخبرهم بحكم الله : بخلع هذه الألقاب الشرفية عنهم، وبأنهم لا يستحقّون أن يتصفوا بصفات الآلهة، أو أبناء الآلهة، بل يستحقّون السقوط والخزى، جزاء انحرافهم، وسوء أعمالهم.

يقول لهم داود : «أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العليّ كلكم، لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون»[1].

وهذه الآية «أنا قلت إنكم آلهة »، اقتبسها عيسى من التوراة، عند قيامه بالرد على اليهود، عندما أمسكوا حجارة ليرجموه؛ لادعائه بنوة الله – كما يزعمون– .

قال اليهود لعيسى – عليه السلام :–

«لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت انسان

---

(١) مزمور ٨٢ : ٦–٧.

تجعل نفسك الها»[1].

ويردّ عيسى علي اليهود، موضحا لهم المجاز فى ذلك، ومؤكدا أنه فى هذا يشبّه نفسه بحكامهم، وقضاتهم الآلهة، الذين ينطقون بحكم الله، فهو أيضا انسان حامل كلمة الله، منفّذ لتعاليمه كأحد أبنائه.

يروى (يوحنا) هذه المحادثة على لسان يسوع :

«أجابهم يسوع : أليس مكتوبا فى ناموسكم «أنا قلت انكم آلهة»؟ ان قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدّسه الأب، وأرسله إلى العالم، أتقولون له أنك تجدّف. لأني قلت : اني ابن الله»[2] *.

أما بالنسبة للفظ (الربّ) فقد أطلق على عيسى - عليه السلام - أيضا فى الأناجيل كما ذكرنا سابقا -.

ففي الاصحاح السادس عشر من أنجيل (متّى)، أثناء المحاورة التي حدثت بين عيسى وبطرس، نرى فيها أن بطرس يطلق على عيسى لقب «رب» يقول (متّى):

«فأخذه بطرس إليه ، وابتدأ ينتهره قائلا : حاشاك يارب، ولايكون لك هذا، فالتفت، وقال لبطرس : أذهب عني ياشيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم

---

(١) انجيل يوحنا ١٠ : ٣١-٣٣.

(٢) انجيل يوحنا ١٠ : ٣٤ - ٣٦.

* أنظر / محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص ١٩٠-١٩٣.

بما لله، لكن بما للناس»[1].

ولو بحثنا عن تفسير كلمة «ربّ» التي أطلقت على عيسى لوجدنا تفسيرها في صلب الأناجيل نفسها. ففي الاصحاح الأول من أنجيل (يوحنا) يروى لنا (يوحنا) أن عيسى - عليه السلام - فى بداية دعوته كان يسير فى الطريق بمفرده، فتبعه رجلان صارا فيما بعد من تلاميذه «فالتفت يسوع ، ونظرهما يتبعانه، فقال لهما : مماذا تطلبان ؟ قالا : ربى، الذى تفسيره يامعلم. أين تمكث؟ فقال لهما : تعاليا، وأنظر، فأتيا ونظرا أين يمكث، ومكثا عنده ذلك اليوم»[2].

فها هو (يوحنا) يفسّر لنا فى صلب انجيله بأن كلمة «ربّ» تعنى : المعلم، فعيسى بالنسبة لتلاميذه هو معلمهم، وأستاذهم، كغيره من الأنبياء معلمو الشريعة، وأساتذة الديانة. وهو مايؤكده عيسى - عليه السلام - حيث يقول : «لا تدعوا لكم أبا على الأرض؛ لأن أباكم واحد الذى فى السموات ولا تدعوا لكم معلمين؛ لأن معلمكم واحد المسيح»[3].

والواقع أن لفظ «ربّ» يستعمل فى كثير من المجتمعات وخاصة فى الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم. ويتكرر اللفظ كثيرا فى أسفار العهدين، بمعنى سيد، أو معلم[4].

وقد جاء فى مزمور (داود) (١٠٩) من الزبور :

---

(١) فقرة ٢٢ ، ٢٣.

(٢) ١ : ٣٨، ٣٩.

(٣) انجيل (متّى) ٢٦ : ١٨.

(٤) أنظر : محمد مجدى مرجان/ المسيح انسان أم اله ص ١٩٣-١٩٦.
وأنظر كذلك : الشيخ رحمة الله الهندى / اظهار الحق جـ١ ص ٥٥٩.

«قال الرب لربي : أجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك».

وهذا يراد به السيد. ولهذا ذكر الأول مطلقا، والثاني مقيدا. فيكون المعنى :

وقال الله لسيدى، قال ربّ العالمين لسيدى.

وسمّاه سيدا؛ تواضعا من داود وتعظيما له، كما ذكر ذلك ابن تيمية فيما مضى(١).

وفى قول بطرس لعيسى : «يارب، كم مرّة يخطيء الىّ أخى وأنا أغفر له»(٢). معناه : ياسيد، أو يامعلم.

«وكانت لفظه «ربّ» تستعمل فى اليونانية وصفا للامبراطور فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية، كما كانت تستعمل أيضا لملوك اليهود. وكانت اللفظة لقبا من ألقاب الكرامة، خلع على كثير من الآلهة الوثنية .

ولهذا السبب ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ «الرب» أطلق أولا على يسوع فى الجماعات الأممية الناطقة باليونانية، وذلك لأنه هو الوصف الذي خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية، وكان من الهيّن على أولئك الأمم أن يقبلوا هذا اللقب الذي كان مألوفا لديهم»(٣).

« ... وحتى الآن نرى الكثيرين منا يتحدثون عن عائل الأسرة ورئيس المكان . فيقولون : ربّ الأسرة، رب الدار،. ولم يدر بخلد أحد عند سماعه هذه

---

(١) أنظر ص ٣١٢ ، ٣١٣ من هذا الفصل.

(٢) انجيل متّى ١٨ : ٢١.

(٣) ستيفن نيل/ من هو المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٤٩ نقلا عن : محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص ١٩٥/١٩٦.

الكلمة أن ربّ الأسرة هو معبود الأسرة، أو أن رب الدار هو اله الدار، بل إن هذا اللفظ لايعني سوى التكريم والتقدير للشخص الذى يطلق عليه . وما أطلق على عيسى – عليه السلام – إلاّ تقديرا له بصفته المعلم والنبي»[1].

واذا جئنا إلى عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى، واستدلالهم عليها، فإننا نرى أناجيلهم المقدسة – فى زعمهم – قد امتلأت بما يفيد أن المسيح هو ابن الله. من ذلك قولهم فيه :

«تحقّق رئيس الكهنة أنه ابن الله»[2].

«تحققت الشياطين أنه ابن الله»[3].

وكذلك يشهد (يوحنا المعمدان) أن المسيح هو ابن الله، حيث جاء فى انجيل (يوحنا) مايفيد ذلك :

«قال يوحنا المعمدان عندما نظر إلى المسيح : أنا قد رأيت وشهدت، أن هذا هو ابن الله»(٤).

وورد أيضا فى نفس الانجيل مايفيد أنه ابن الله الوحيد :

«الذى يؤمن به لايدان، والذى لايؤمن به قد دين؛ لأنه لم يؤمن باسم ابن

---

(١) محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص ١٩٧.
وأنظر أيضا ص ٨٧ من هذه الرسالة.

(٢) انجيل متّى ٢٦ : ٦٣.

(٣) انجيل مرقس ٣ : ١١.

(٤) انجيل يوحنا ١ : ٣٤.

الله الوحيد»[1]. وغيرها كثير مما سبق نكره في أول هذا الفصل.

والواقع أن «اطلاق لفظ ابن الله على المسيح في غاية الضعف؛ لأن هذا الاطلاق معارض باطلاق ابن الانسان - كما عرفنا - لأنه لايصح أن يكون لفظ «الابن» بمعناه الحقيقي، لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم مَنْ تولّد مِنْ نطفة الأبوين. وهذا محال في هذا المقام. فلابدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب بشأن المسيح»[2].

بل إن عيسى نفسه قد أوضح لنا هذا المجاز في قوله :

«إنما بنوة الله بالأعمال»[3]، فهي ليست بالتناسل والتوالد، وإنما بالعمل الصالح وصدق الايمان.

ونفس هذا المعنى ردّده (بولس) في رسالته إلى أهل رومية :

«لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله»[4].

وقد جاء في الأناجيل لفظ «ابن الله» بمعنى المؤمن الصالح الطائع، من ذلك مارواه (مرقس) في انجيله، حيث يقول :

«ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله، وأنه صرخ هكذا وأسلم الروح، وقال : حقا كان هذا الانسان ابن الله»[5].

---

(١) انجيل يوحنا ٣ : ١٨.
(٢) السيخ رحمة الله الهندى/ اظهار الحق جـ٢ ص ٤٠/٤١.
(٣) أنظر انجيل يوحنا الاصحاح الثامن.
(٤) ٨ : ١٤.
(٥) ١٥ : ٣٩.

ونقل (لوقا) قول قائد المئة فى انجيله هكذا : «بالحقيقة، كان هذا الانسان باراً»[1].

بل إن الذين يكون همهم صنع السلام فى العالم هم فى الحقيقة أبناء الله، وهذا ماذكره عيسى – عليه السلام – حين وعظهم على الجبل حيث قال : «طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون»[2].

ومن قرأ كتب اليهود والنصارى رأى فيها لقب «ابن الله» قد أطلق على آدم(٣)، وعلى داود، ويعقوب مع لقب البكر[4]، وكذلك على أفرام[5]، وعلى المسيح – عليهم السلام –، وأطلق مجموعا على الملائكة، وعلى المؤمنين الصالحين. وهذا الاستعمال كثير فى العهد الجديد كما رأينا .

وجاء فى سياق المناظرة بين المسيح واليهود من انجيل (يوحنا) مانصه :

«أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له : إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع : لوكان الله أباكم، لكنتم تحبونني .... إلى أن قال : «أنتم من أب هو ابليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا »[6].

وفى هذا المعنى ماجاء فى الرسالة الأولى من رسالتي يوحنا :

«كل من هو مولد من الله لايفعل خطيئة؛ لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع

---

(١) انجيل لوقا ٢٣ : ٤٧.

(٢) انجيل متّى ٥ : ٩.

(٣) أنظر انجيل لوقا ٣ : ٣٨.

(٤) أنظر مزمور ٨٩ : ٢٦، ٢٧، وسفر الخروج ٤ : ٢٢، ٢٣.

(٥) أنظر سفر أرميا ٣١ : ٩.

(٦) انجيل يوحنا ٨ : ٤٤.

أن يخطيء، لأنه مولود من الله. بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد أبليس»[1].

فعلم من هذه النصوص وأشباهها أن لفظ «ابن الله» يستعمل فى كتب القوم بمعنى «حبيب الله» الذى يعامله الله معاملة الأب لابنه من الرحمة والاحسان والتكريم.

وإنما تحكم النصارى بهذا اللقب، فجعلوه بمعنى الابن الحقيقى بالنسبة إلى المسيح، وبالمعنى المجازى بالنسبة إلى غيره من الصالحين، ومعنى الابن الحقيقي محال على الله تعالى – كما ذكرنا – لأنه عبارة عن الولد الذى ينشأ من تلقيح الرجل بمائه لبعض مافى رحم المرأة من البيض. فالمعنى المجازى متعّين[2].

بل إن (بولس) نفسه استعمل هذا التركيب «ابني الحبيب» استعمالاً مجازيا، حيث ورد فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس قوله عن تيموثاوس : «أرسلت اليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب»[3].

وإذا لم يفهم من اطلاق لفظ الاله – ومثله – على البشر الالوهية الحقيقية، فكيف يفهم من لفظ «ابن الله» – ومثله – البنوة الحقيقية لله تعالى، سيما إذا لاحظنا كثرة وقوع المجاز في كتب العهدين*.[4]

---

(١) ٣ : ١٠.

(٢) انظر الشيخ محمد رشيد رضا/ تفسير المنار جـ٦ ص ٣١٤ بتصرف قليل.

(٣) ٤ : ١٦.

* أنظر : سفر أشعياء : ١ : ٢ ، ٣٠ : ١، ٦٣ : ٨.

وأنظر كذلك سفر هوشع : ١ : ١٠ وكذلك انجيل متّى ٥ : ٩.

فى هذه الاصحاحات جميعها وغيرها جاء اطلاق أبناء الله على جميع بني اسرائيل.

(٤) الشيخ رحمة الله الهندى / اظهار الحق جـ٢ ص ٤٣.

وكما استخدمت كلمة «الابن» فى الأناجيل مجازا، للدلالة على التكريم والقرب من الله، فقد استخدمت كلمة «الأب» أيضا للدلالة على التعظيم والرأفة والتعلّق بالله والاعتماد عليه. ولهذا لم يخّص المسيح نفسه بهذه النسبة بين الله وبينه، وهى نسبة الأبوة، وإنما جعلها نسبة مشتركة بينه وبين غيره من الناس، ومن ذلك قوله :

«انى ذاهب إلى أبي وأبيكم ....»[1].

وقوله : «أبانا الذي فى السموات ...»[2]. أى أن الله هو الأب للجميع.

بل إنه ينفي وجود الأب فى الأرض بين الناس، ويؤكد وحدانيته «لاتدعوا لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد فى السموات ...»[3].

فهذا يدل على أن الأبوة لاتعني الأبوة الحقيقية المستلزمة للبنوة والألوهية - كما يعتقدون - وإنما تعني التعظيم والرحمة - كما ذكرنا - وغير ذلك من المعاني.

واستعمال كلمة الأب فى هذه المعانى استعمال مجازي لايجوز أن يكون مستندا لعقيدة حقيقية، أو دليلا على ثبوت عقيدة حقيقية. يقول الامام الغزالى فى ذلك : «أمّا ما تعلّق به النصارى من إطلاق الأبوة على الله عز وجل والبنوة على المسيح - عليه السلام - ظانّين بأن ذلك محصّل غرضا، أو مثبت خصوصية يقع بها الامتياز، فليس الأمر كذلك .

---

(١) أنظر انجيل يوحنا ٢٠ : ١٧.

(٢) أنظر انجيل متّى ٦ : ٩.

(٣) انجيل متّى ٢٦ : ١٨.

وبعد أن استشهد بنصوص من التوراة والأناجيل تدل على أن لفظي البنوة والأبوة إنما يراد بها المعنى المجازي فى حق الله تعالي وفى المسيح عليه السلام - كالتي ذكرنا من قبل - بعد ذلك قال :

وسرّ التجوز في إطلاق لفظ الأبوة على الله تعالى، والبنوة على المسيح، هو أن حقيقة الأبوة والبنوة غير مرادة قطعا، ولابدّ من المجاز؛ وذلك لأن الأب جبل على أن يكون شديد الحنان والرأفة والرحمة ، والشفقة لولده، حريصا على أن يجلب إليه جميع الخيور، ويدفع عنه جميع الشرور، مجتهدا على أن يوضّح له طرق الخير، ويأمره بالمبادرة إليها، مسارعا إلى تحذيره مما يفضى به إلى عقوبة أو لوم، أو ضرر دائم أو جهالة سائرة لما يراد به فى المستقبل. (هذا وضع الأب فيما نشاهده).

وأما الأبن، فوضعه أن يكون موقّرا لأبيه معظما له، شديد الحياء منه، ممتثلا أوامره، ملاقيا لها بالاجلال والتعظيم وعدم المخالفة، واقفا عندما يأمره به، وينهاه عنه.

والله عز وجل إذا قيس احسانه إلى كل نبي، ورحمته له، وشفقته عليه، وما جلبه له من الخير، ومادفعه عنه من الشر، وما بينّه له مما هو لائق بجلالة، ثم وفّقه للعمل بمقتضاه، كان مايصنعه الوالد بالنسبة إلى هذا تافها حقيرا.

ثم توقير الأنبياء أيضا لله، وحياؤهم منه، وانقيادهم لأوامره، ووقوفهم عند مناهيه، واجلالهم له، أعظم من صنيع الأبناء مع آبائهم، فهم لهم أرحم أب، وهم له أبرّ ولد، فهذا سرّ التجوّز فى اطلاق مثل ذلك.

وقد صرّح داود - عليه السلام - بما أشرنا إليه - فى مزاميره فقال :

«كما يترأف الأب على بنيه، كذلك يترأف الأب على خائفيه»[1].

فثبت بما ذكرناه أن إطلاق البنوة على المسيح غير مثبت خصوصية يقع بها التمييز.

وصريح الأنجيل ناطق بصحة هذا التأويل، وهو قوله : «وأمّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه »[2].

والنصارى - أنفسهم - الآن مقيمون على إطلاق ذلك، فإذا رأوا راهبا أو قّسيسا قالوا له : «ياأبانا» وليس هو أباهم حقيقة، ولكن مرادهم بالإطلاق : إنهم ينزلونه في الشفقة عليهم منزلة الأب، وينزلون أنفسهم في توقيره منزلة الأنبياء »[3].

ويقيم صاحب (الفارق بين المخلوق والخالق) أيضا الأدلة العقلية على بطلان القول ببنوة المسيح لله تعالى وبالتالي أبوة الله له على الحقيقة. فيقول:

«جَعْلُ المسيح «ابن الله» أي مولودا منه - كما أطلق عليه النصارى ذلك - مردود عقلا ونقلا.

أمّا من جهة العقل؛ فإن الاله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته، فولده أمّا أن يكون أيضا واجب الوجود أو لا يكون. فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه، قائما بذاته، لاتعلّق له في وجوده بالآخر. ومن كان كذلك لم يكن مولودا ألبتة؛ لأن المولودية تشعر بالفرعية والحاجة.

---

(١) سفر المزامير : مزمور ١٠٣ : ١٣.

(٢) انجيل يوحنا ١ : ١٢.

(٣) أنظر : الامام الغزالي / الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل ص ٢٨٦/ ٢٨٩ بتصرف قليل.

وان كان ذلك المولود ممكن الوجود لذاته، فحينئذ يكون وجوده بايجاده واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك فيكون مخلوقا لا ولدا.

فثبت أن من عرف أن الاله ماهو (أى مفهوم الاله وحقيقته) امتنع أن يثبت له الولد . ثم إن الولد يحتاج أن يقوم مقام والده، بعد فنائه، وهذا إنما يعقل فى حقّ من يفنى، أمّا من تقدس عن ذلك فلا يعقل الولد فى حقّه.

ثم إن الولد لابدّ وأن يكون متولّداً من جزء من أجزاء الوالد، وهذا لايعقل إلاّ فى حقّ من يكون مركّبا، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه، وهذا فى حق الواحد الأحد الفرد الواجب لذاته، محال.

هذا فى حق امتناع الولد على الله مطلقا مع عموم من يقول بذلك.

أما النصرانية التي تقول : إن عيسى حدث من غير أب ولا نطفة. فنقول : مسلّم لكم ذلك . إلاّ أن الله تعالى أخرجه إلى الوجود من غير سبق الأب، فقد حدث ودخل فى الوجود. ويقال لهم :

إمّا أن تريدوا بكونه ولدا لله تعالى، أنه أحدثه على سبيل الابداع من غير نطفة ولد.

وأمّا أن تريدوا بكونه ولدا لله تعالى، كما يكون الانسان ولدا لأبيه .

وأمّا أن تريدوا بكونه ولدا لله تعالى، أمرا ثالثا مغايرا لهذين المفهومين.

أما الأول : فباطل ؛ لأنه تعالى يحدث الحوادث فى مثل هذا العالم الأسفل بناء على أسباب معلومه. والنصارى يسلّمون أن العالم جميعه محدث، فيلزمهم الاعتراف بأنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سابقة مادة، فإذا كان كذلك، وجب أن يكون احداثه للسموات والأرض ابداعا، فابداعه لعيسى –

عليه السلام – مثله، ولو وجب أن يكون والداً له بهذا الابداع، لزم أن يكون والدا للسموات والأرض؛ لكونه أبدعهما كأبداع عيسى – عليه السلام –.

وأمّا الثاني : وهو أن يكون مرادهم من الولادة الأمر المعتاد فى الحيوانات، فهذا أيضا باطل؛ لأن تلك الولادة لاتصح الاّ ممن كانت له صاحبة، وشهوة، وينفصل عنه جزء، ويحتبس فى الرحم. وهذا لايثبت الاّ فى حقّ الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق، وغيرهما من الأغراض، وذلك على خالق العالم محال.

وأمّا إثبات الولد لله تعالى بناء على أمر ثالث مغاير لهذين المفهومين، فذلك باطل؛ لأنه غير متصوّر، ولا مفهوم عند العقل.

فثبت بالبداهة بطلان ماذهبت إليه النصارى ...»[1].

ثم قال : «وإذا علمت أن الولد مستحيل على الله – تعالى – عقلا، فاعلم أن ذلك ممتنع عليه نقلا أيضا؛ لأن الكتب السماوية كلها تنزه البارى سبحانه عن ذلك، حتى التوراة والأنجيل – مع كونهما محرفين – وماورد فيهما مما يوهم ذلك، فهو مؤول ... بما لا يتعارض مع العقيدة الصحيحة فى الله تعالى، وفى المسيح عليه السلام»[2].

ثم راح يبطل تأويلات النصارى لما فى كتبهم، مظهرا دلالة تلك الكتب – إذا فهمت على وجهها الصحيح – على بطلان عقيدتهم، على خلاف مايقصدون إليه من الاستدلال على تلك العقيدة[3].

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / ص ١١٧، ١١٨ بتصرف قليل.

(٢) المرجع السابق ص ١١٨ بتصرف قليل.

(٣) أنظر عبد الرحمن بك باجه جي زاده / ص ١١٨.

وقد سبق أن شرحنا ذلك بالتفصيل بما لاحاجة لاعادته[1].

وأخيرا ... وبعد أن أبطلنا استدلال النصارى على عقيدتهم بكتبهم نتساءل : هل هذه الكتب بوضعها الحالى وعلى ضوء دراستنا لها - فى الباب الأول من هذه الرسالة - تعتبر مصدرا صحيحا، لأخذ العقيدة المسيحية الصحيحة منها؟

الواقع أنها لاتصلح لذلك، باعتبارها عملا بشريا لأصحابها بعيدا عن الالهام بها، والحفظ الالهى لها. يقول الشيخ ابراهيم الجبهان :

«إن تأليه المسيح - صلوات الله وسلامه عليه - والإدعاء بأنه «ابن الله»، كان نكسة قاتلة، أصابت النصرانية فى صميمها، ونقلتها برمتها من دين سماوي إلى وثنية خالصة، ولم يكن هذا مستغربا من أهل كتاب عبثت به الأهواء، ولعبت به الدسائس، وتناولته الأيدى الخفية بالتحريف والتزوير، بل المستغرب ألاّ يقع مثل هذا الانحراف؛ لأن من القواعد العلمية المسلّمة : أن مابني على الباطل باطل مثله.

والنصارى إذا اعتقدوا أن المسيح هو الله، لم يبق أي معني لقولهم : إنه ابن الله، وإذا اقتصروا على وصفه بأنه ابن الله، لم يبق أي معنى لقولهم : إنه هو الله؛ لأنه لايعقل أن يكون أبا لنفسه، وابنا لها.

وان كلما ورد فى الأناجيل والرسائل - مما يشعر بألوهية المسيح أو بنوته لله - تعالى - لايصلح دليلا الاّ على عدم صحتها، ولايحتّج به الاّ عليها؛ لأن الأصل فيها أنها من وضع من نسبت إليهم، وأنه لم يوجد، ولن يوجد من

---

(١) أنظر ابطالات ابن تيمية فى هذا الفصل، وإبطال الغزالى وغيره.

يستطيع اثبات تنزيلها من الله، أو أنها من وحيه والهامه. لذلك فإن كل احتجاج بها مرفوض، الاّ لمن أراد أن يثبت تناقضها وتحريفها»(١).

وإذا كان هو موقفنا من الأناجيل ورأينا فيها، وهو رأى ينتهى إلى عدم اعتبارها كمصدر من مصادر العقيدة الصحيحة - إذا كان هذا هو رأينا فيها، فما الذى دفعنا إلى تأويل نصوصها على نحو ماسبق بيانا للمراد منها، وأنه (أى المراد منها) ليس بنوة المسيح لله تعالى، ولا ألوهيته؟.

الواقع أننا إنما فعلنا هذا مجاراة لأصحابها، بعدما قدمنا إبطال تلك العقيدة من جميع الوجوه، حيث فرضنا - جدلا - صحة ورود هذه النصوص فى حق المسيح على نحو ماوردت عليه فى تلك الكتب، وأن كاتبيها نقلوا نقلا صحيحا ما أجروه على لسان المسيح - عليه السلام - من كلمات.

ومع هذا الفرض الجدلى، لم نجد - كما رأينا - فى هذه النصوص دلالة على مايعتقدون، بل وجدنا أنه لابدّ من تأويلها بمعان أخرى صحيحة لاتتعارض مع العقيدة الصحيحة، غير تلك المعانى التى فهمها النصارى منها. وكان تأويلنا لهذه النصوص الواردة في حق المسيح - عليه السلام - مقتضى ما تضمنته تلك الكتب مما ورد في حق غير المسيح من الأنبياء، ومقتضى ماتضمنته تلك الكتب من معان وألفاظ، ولم يكن تأويلها لها أمرا خارجا عن المألوف فى أمر تلك الكتب، بل كان هو مقتضى العقل والنقل معا.

وأيضا وجدنا فى كتبهم مايقطع ببشرية المسيح وعبوديته لله، وخضوعه، وتذلّله كما ذكرنا.

---

(١) مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق النصرانية والتبشير ص ٧٢/٧٤ بتصرف.

وصدق الله العظيم إذ يقول :

{ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون}[1].

٥-دلالة القرآن على بشرية المسيح، وإبطاله لبنوته لله تعالى وألوهيته*:

وكما أثبتنا من قبل بطلان استدلال النصارى على عقيدتهم فى بنوة المسيح لله – تعالى – وألوهيته من كتبهم المقدسة – عندهم – بل أثبتنا على العكس من ذلك من نصوص هذه الكتب مايقطع ببشرية المسيح، وعبوديته لله – كما فعلنا هذا من قبل فإننا هنا نأخذ من القرآن الكريم وهو الكتاب المحفوظ والذى حفظ لنا العقيدة الصحيحة التى دعا إليها جميع الرسل – نأخذ منه العقيدة الصحيحة فى المسيح – عليه السلام – تقريراً واستدلالاً، وإبطالا للعقيدة الزائفة التى اعتقدها النصارى فى حقه عليه السلام.

فالواقع أن المسيح عليه السلام – فى ميزان القرآن – لايعدو أن يكون واحدا من الرسل الذين أرسلهم الله لهداية البشر. قال تعالى {ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة}[2].

ومن خلال تتبعنا لقصص القرآن الكريم، وكتب التاريخ القديم، نجد أن

---

(١) سورة المؤمنون / آية ٩١.

* أنظر / محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص ٢٠٢-٢٠٥.

(٢) سورة النحل / آية ٣٦.

الرسل الذين أرسلهم الله إلى هداية أقوامهم من أول زمان الخلق والتكليف هم من البشر، يمشون فى الأسواق، ويأكلون الطعام، ويعيشون ويموتون، غير أنهم أنقى البشر وخيرهم، معصومين من الخطيئة والزلل لايختارون أنفسهم للرسالة، إنما يختارهم الله لها، ويؤيدهم بالمعجزات الواضحة والخوارق والآيات بما يتفق وحال أقوامهم وأهل عصرهم وعلوم زمانهم.

وهذا وضع طبيعي، وضرورة حتمية يقتضيها تصريف الله لخلقه. فالأرض لا تسكنها ملائكة، وإنما يسكنها بشر، والقدوة لا تتم الاّ إذا كان الرسول بشرا لاتختلف ملكاته، ولا تتميز طبيعته عن طبيعة سائر الناس.

حقيقة واضحة جلاّها القرآن فى أروع بيان. يقول سبحانه وتعالى :

{ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الاّ أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لوكان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا}(١).

فهم ليسوا ملائكة، وليسوا الله متجسّدا فى صورة انسان - كما يزعم النصارى وإنما هم من البشر.

والمسيح بن مريم واحد من هؤلاء الرسل كان انسانا وابن انسان ولد كما يولد سائر الناس، وعاش كما عاشوا {ماالمسيح بن مريم الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل}(٢).

وقد أكّد الله سبحانه وتعالى عبودية المسيح له فى أكثر من موضع فى

---

(١) سورة الأسراء / آية ٩٤، ٩٥.

(٢) سورة المائدة / آية ٧٥.

القرآن الكريم، حيث ذكر أنه عبد كسائر العبيد، أنعم عليه بأن جعله آية، وذلك بخلقه من غير أب، كما سبق وأن خلق آدم.

قال تعالى :{إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل}[١].

بل أن عيسى – عليه السلام – قد أجرى الله على لسانه وهو فى المهد ماينصّ على عبوديته وخضوعه لله تعالى، حيث قال : {إنى عبد الله}[٢].

وهذا معناه : أن عيسى – عليه السلام – قد نصّ على اثبات عبوديته لله تعالى فكأنه بذلك جعل إزالة تهمة الأبوة عن الله أولى من إزالة تهمة الزنا عن أمه التي أتهمها به اليهود.

وإن دلالة أحوال عيسى – عليه السلام – على العبودية أقوى من دلاتها على الربوبية؛ لأنه كان مجتهدا فى العبادة – كما رأينا –[٣] والعبادة لا تكون الاّ من العبيد {أعبدوا الله ربي وربكم}[٤].

بل أن عيسى عليه السلام لن يأنف أن يكون عبدا الله سبحانه وتعالى، مستمرا على عبادته له تعالى، وعلى طاعته حسبما هى وظيفة العبودية. {لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ...} الآية[٥].

«فالنصارى يرون أن عيسى هو ابن الله، لأنه كان يخبر عن المغيبات،

---

(١) سورة الزخرف / آية ٥٩.

(٢) سورة مريم / آية ٣٠.

(٣) أنظر ص ٣٨٥، ٣٨٦ من هذا الفصل.

(٤) سورة المائدة / آية ٧٢.

(٥) سورة النساء / آية ١٧٢

ويأتى بخوارق العادات، والمسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة لن يتعالى ويأنف عن عبادة الله تعالى، لأن الملائكة المقربين وهم أعلى حال منه فى العلم بالمغيبات والقدرة، ومع ذلك لن يستنكفوا عن عبودية الله، فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر الضئيل الذى كان معه من العلم والقدرة»[1].

ثم إننا نجد أن القرآن الكريم لايكتفي بمجرد تقرير عبودية المسيح لله تعالى، وتقرير بشريته، وإنما يصف المسيح بخصائص البشرية كالأكل والشرب والنتيجة الطبيعية لهما {ماالمسيح بن مريم الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا ياكلان الطعام أنظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم أنظر أنّى يؤفكون}[2] فهو لا يختلف فى ذلك عن جميع الأنبياء والرسل.

ومعنى ذلك : «أن المسيح ماهو الاّ رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها».

ومقتضى الآية : هو الاستدلال على فساد اعتقاد النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته. وبيان ذلك :

أن كل من كان له اَمّ فقد حدث بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك كان مخلوقا لا الها، وأيضا إنهما كانا محتاجين إلى الطعام أشدّ الحاجة، والاله هو الذى يكون غنيا عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون الها.

فالأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على

---

(١) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد السادس جـ١١ ص ١٢٠ بتصرف.

(٢) سورة المائدة / آية ٧٥.

أنه ليس بآله ؛ لأنه لو كان الها لكان قادرا على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب، فلمّا لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون الها للعالمين.

وبالجملة : ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل»[1].

«ومن البيّن الواضح أن الذى يأكل الطعام فيتحوّل فى جسمه دما ولحما وعظما، وينضح عرقا، ويخرج فضلة لو بقيت فى الجسم لأضرته.

– من الواضح أن كائنا من هذا النمط لايمكن أن يكون الاّ بشرا خاضعا لكل قوانين البشرية التى لاتؤدى إلى نقص فى مرتبته كرسول»[2].

وقد شبّه الله عيسى – عليه السلام – في خلقه بآدم – عليه السلام – وأنه خلقه بكلمة (كن) فكان، {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ...} الآية [3].

ووجه الشبّه هو أصل الخلقه لكل منهما وهى التراب. يقول الرازى :"

«إذا جاز أن يخلق الله تعالى أدم من التراب، ولم يكن الها، فلم لايجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل، فإن تولّد الحيوان من الدم الذي يجتمع فى رحم الأم أقرب من تولّده من التراب اليابس»[4].

---

(١) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد السادس جـ١٢ ص ٦٥ بتصرف.

(٢) د. عبد الحليم محمود/ التفكير الفلسفى فى الإسلام. نقلا عن : عفيف عبد الفتاح طبّارة/ مع الأنبياء فى القرآن الكريم ص ٣٢٨.

(٣) سورة آل عمران / آية ٥٩.

(٤) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد الرابع جـ٨ ص ٨٢ بتصرف.

فهو ليس الها أزليا خالدا أو ابنا أزليا كما يقولون، بل مخلوق بكلمة الكينونة كبقية الخلق. وقد مرّ معنا فى استشهادنا بنصوص من كتبهم المقدسة - فى زعمهم - كيف أن عيسى يفرح ويحزن، وينام ويصحو، ويتعب، ويخضع لسائر النواميس الكونية، شأنه فى ذلك شأن سائر البشر.

وتأتى النتيجة الطبيعية لكل ماتقدم، فإذا كان عيسى عبدا كسائر عبيد الله، وخاضعا له كسائر الناس وهو بشر كبقية البشر ومخلوق بكلمة كن كبقية الخلق، ويجرى عليه مايجرى على سائر البشر من الاحتياج والفناء.

فهذا يقتضي أنه ليس باله ولا ابن اله - كما يزعم النصارى - لانقول ذلك ادعاء، بل القرآن قد جاء صريحا فى نفى البنوة مطلقا عن الله تعالى وأنها مستحيلة فى حقه تعالى إذ يقول : {ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله إذا لذهب كل إله بما خلق ...} الآية [١].

ويقول تعالى أيضا : {وقالوا اتخذ الله ولدا، سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}[٢].

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية :

«اشتملت هذه الآية الكريمة والتى تليها على الردّ على النصارى ومن أشبههم من اليهود ومن مشركى العرب ممن جعل الملائكة بنات الله، فأكذب الله جميعهم فى دعواهم وقولهم ان لله ولدا فقال تعالى : {سبحانه}، أى تعالى

---

(١) سورة المؤمنون / آية ٩١.

(٢) سورة البقرة / آية ١١٦.

وتقدّس وتنزّه عن ذلك علوا كبيرا. {بل له مافى السموات والأرض} أى ليس الأمر كما افتروا، وإنما له ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم، ورازقهم، ومقدّرهم، ومسخرهم، ومسيرهم، ومصرفهم، كما يشاء، والجميع له عبيد، وملك له، فكيف يكون له ولد منهم، والولد إنما يكون متولّدا من شيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك فى عظمته وكبريائه ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد، كما قال تعالى : {بديع السموات والأرض أنىّ يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم}[1].

وقال تعالى : {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد}[2].

فقرّر تعالى فى هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذى لا نظير له ولا شبيه، وأن جميع الأشياء مخلوقه له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد؟ ولهذا قال البخاري فى صحيحه عند تفسيره لآية البقرة هذه (١١٦):

أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي الحسين، حدثنا نافع ابن جبير بن مطعم عن أبن عباس رضى الله عنهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى : كذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه اياى فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه اياى فقوله إن لى ولدا. فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا)[3].

---

(١) سورة الأنعام / آية ١٠١ أنظر ابن كثير فى تفسيره جـ١ ص ١٦٠.

(٢) سورة الأخلاص.

(٣) أنظر صحيح البخارى/ كتاب التفسير / باب (وقالو اتخذ الله ولدا سبحانه) جـ٦ ص ٢٤.

وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، أنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم)[1].

هذا فيما يتعلّق بنفي البنوة مطلقا عن الله تعالى.

أما فيما يتعلّق باستدلال القرآن على بطلان القول ببنوة المسيح لله - تعالى - فنجده جلّ جلاله - خلال آيات أخر أكثر خصوصية - ينفي فيها بنوة عيسى عنه، ويلعن من أدعى ذلك، ويقيم الأدلة على كذب أدعائه. قال تعالى : (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون)[2].

ونرى الامام الرازي يتعرض لهذه الآية بالشرح والتحليل فيقول :

«وأمّا حكاية الله عن النصارى أنهم يقولون : المسيح ابن الله، فهى ظاهرة لكن فيها إشكال قوى، وهى أنّا نقطع أن المسيح - صلوات الله عليه - وأصحابه كانوا مبرّئين من دعوة الناس إلى الأبوة والبنوة، فإن هذا أفحش أنواع الكفر. فكيف يليق بأكابر الأنبياء عليهم السلام؟ .... ولعلّ لفظ «الأبن» ورد فى الأنجيل على سبيل التشريف، كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم عليه السلام - على سبيل التشريف. ثم إن النصارى لأجل عداوة اليهود، ولأجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد فى أحد الطرفين بغلو فاسد فى الطرف الثاني بالغواء

---

(١) أنظر صحيح البخارى / كتاب الأدب / باب الصبر على الأذى جـ٨ ص٣١.
وأنظر أيضا صحيح مسلم / كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب أحد أصبر على أذى، من الله عز وجلّ الحديث رقم ٥٠ جـ٤ ص ٢١٦٠. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

(٢) سورة التوبة / آية ٣٠.

وفّسروا لفظ الأبن بالبنوة الحقيقية. والجهّال منهم قبلوا ذلك ، وفشا هذا المذهب الفاسد فى أتباع عيسى عليه السلام»[1].

وقال تعالى أيضا : {وقالوا[2] اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادّا[3] تكاد السموات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا}[4].

ولو نظرنا إلى نهاية الآيات هذه لوجدناه سبحانه وتعالى يقرر بأن كل معبود فى السماء والأرض من الملائكة والناس يأتون إلى الله ويلتجئون إليه، وينقادون له مطيعين خاشعين خاضعين ذليلين {ان كل من فى السموات والأرضالاّ آتى الرحمن عبدا}[5] «وان من كان مالكا لكل السموات والأرض ولكل مافيهما كان مالكا لعيسى ولمريم، لأنهما كانا فى السموات والأرض، وماكانا أعظم من غيرهما فى الذات والصفات، وإذا كان مالكا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكا لهما أولى، وإذا كانا مملوكين. فكيف يعقل بعد هذا توّهم كونهما له ولدا وزوجة»[6].

ولو تأملنا قوله تعالى: {ماالمسيح بن مريم الاّ رسول ...} وغيرها من الآيات المماثلة ، لوجدنا كيف أن الله يقرن لفظ المسيح بكلمة (ابن مريم)،إشارة إلى أنه ابن مريم لا ابن الله.

---

(١) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد الثامن جـ ١٦ ص ٣٦/٣٥.

(٢) أى النصارى

(٣) أى منكرا وعظيما.

(٤) سورة مريم / آية ٨٨ – ٩٢.

(٥) سورة مريم / آية ٩٣.

(٦) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد السادس جـ ١١ ص ١١٩.

والقرآن الكريم يسجّل عليهم أن هذه الأقوال فيها مضاهاة لأقوال مشركي العرب بأن الملائكة بنات الله، وأن النصارى يرددون قول المشركين بالنسبة لله عز وجل.

وقال تعالى – بعد أن سرد قصة مريم وميلاد المسيح منها :–

{ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}[١].

وكما نفى الله بنوة المسيح – عليه السلام – له فقد نفى أيضا ألوهيته، حيث يزعم النصارى أنه إله وابن إله. والعمدة عندهم فى هذه العقيدة أول عبارة من انجيل (يوحنا) وهى : «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة»[٢].

فقد أطلقوا لفظ الكلمة على المسيح، فصار معنى الفقرة الثالثة من عبارة انجيل (يوحنا) «والله هو المسيح»، وهذا هو عين مانسبه القرآن إليهم،

حيث يقول تعالى – محذرا اياهم من قولهم هذا، ومؤكدا لهم كفرهم، وغلوهم فى اطراء المسيح، وتجاوزهم الحدّ فى ذلك :– {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا}[٣].

---

(١) سورة مريم / آية ٣٤، ٣٥.

(٢) انجيل يوحنا ١ : ١.

(٣) سورة المائدة / آية ١٧.

فهنا يعلن البارى تعالى للناس جميعا قدرته على كل شيء دون معارض أو منازع، فلا يقدر أحد على دفع شيء من أفعال الله أو منع شيء من مراده. فكيف يكون المسيح الها ولا يملك أن يدفع الضرّ والأذى والهلاك عنه وعن والدته. وقوله : {ومن فى الأرض جميعا} يعني أن عيسى مشاكل لمن فى الأرض، فى الصورة والخلقه والجسمية، والتركيب، وتغيير الصفات والأحوال. فهو مخلوق مثلهم[١].

وإذا كان المسيح يدعو غيره إلى عبودية الله ويخوفهم من البعد عن عبادته ويعرف تمام المعرفة على أن الشرك ظلم عظيم، وأن الظالم لا نصير له، وهو معترف بربوبية الله - إذا كان هذا هو مايدعو إليه، وهذه حالة مع ربّ العالمين، فكيف يقال عنه بعد ذلك : أنه إله. قال تعالى {لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم. وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}[٢].

«والمسيح - عليه السلام - لم يدعُ أحدا إلى إلوهيته، ولا دعا إليها أحدا من تلاميذه الذين انتشروا فى البلاد للدعوة إلى انجيله، ولم يعرفها أحد الاّ فى العشر العاشر من القرن الأول الذى كتب فيه (يوحنا) انجيله، هذا إن صح أن يوحنا الحوارى هو الذى كتبه - ولن يصح - ولايعقل أن يسكت المسيح وجميع تلاميذه عن هذه العقيدة إذا كانت هى أصل الدين - كما تزعم النصارى - بل الذى تتوفر عليه الدواعى أن يقررها المسيح نفسه فى كلامه، ويجعلها تلاميذه أول مايدعون إليه ويكررونه فى أقوالهم ورسائلهم»[٣] غير أن شيئا من هذا كله

---

(١) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد السادس جـ ١١ ص ١٩٦.

(٢) سورة المائدة / آية ٧٢.

(٣) أنظر / السيخ محمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ ٦ ص ٣٠٩/٣١٠.

لم يحصل.

والواقع أن هذه العقيدة دخيلة على المسيحية، بل هى عقيدة وثنية محضة، ذلك أن زعمهم : أن الله هو المسيح بن مريم، جزء من عقيدة التثليث المأخوذة عن قدماء المصريين والبراهمة والبوذيين وغيرهم من وثنى الشرق والغرب كما قدمنا.

وجميع فرق النصارى فى عصرنا هذا يقولون : ان الله هو المسيح ، والمسيح هو الله. تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وبقولهم هذا أوردوا المسيح - عليه السلام - يوم الحشر موردا يعتذر فيه إلى الله مما يصفونه به، ويقرّ ويعترف بعبوديته لله وحده، حيث يسأل الله عيسى على رؤوس الاشهاد - وهو سبحانه أعلم - {ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله} ورأسا يجيب المسيح على هذا التساؤل - منزها الله تعالى عما لايليق به، نافيا بشدة أن يكون قد صدر منه مثل هذا القول، ومتبرئا مما آل إليه أمر قومه من بعده - فيقول : {ماقلت لهم إلاّ ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد}[1].

وهكذا يتبيّن لنا بطلان عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته بما قدمه ابن تيمية من مختلف الأدلة العقلية والنقلية، وبما قدمه فى إبطال أدلتهم على عقيدتهم الباطلة، ثم بما عقّبنا به على تلك العقيدة من بيان جذورها

---

(٢) سورة المائدة / آية ١١٧.

فى الوثنيات القديمة، وبيان ماتضمنته الأناجيل من الشواهد على بشرية المسيح المناقضة لبنوته لله - تعالى - وألوهيته، والتأويلات الصحيحة لتلك الألفاظ إذا صحّ ورودها فى حقّه عليه السلام.

وأخيرا وليس آخرا بما عرضناه من هذه العقيدة عن القرآن الكريم فأبطلها، وكشف لنا عن العقيدة الصحيحة فى حقّه عليه السلام.

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثاني

مطابع جامعة أم القرى